1660

ثلاثية ريكيافيك ②

CRIME SERIES

CRIME SERIES

CRIME SERIES

CRIME SERIES

المصيدة

ليليا سيجورادوتير





ترجمة: آية أشرف دخانة

روايات مترجمة

2 ثلاثية ريكيافيك





المصيدة

المصيدة

تأليف: ليليا سيجورادوتير

ترجمة: آية أشرف دخانة

تحرير ومراجعة: إيزيس عاشور

مُراجعةٌ لُغوية: علي فرغلي



60 شارع قصر العيني – 11451 – القاهرة – مصر

ت: 27921943 (202+) – 27954529 (202+)، ف: 27947566 (202+)

www.alarabipublishing.com.eg

تصميم الغلاف: آلاء هيكل

Title of the original Icelandic edition: *Netið*

Published by agreement with Forlagið, www.forlagid.is

تابعونا لمعرفة أحدث إصداراتنا

@alarabipd



ليليا سيجورادوتير

المصيـدة

رواية من آيسلندا

ترجمة: آية أشرف دخانة





بطاقة فهرسة

سيجورادوتير، ليليا

المصيدة/ تأليف: ليليا سيجورادوتير، ترجمة آية أشرف دخانة.

- القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2021.

ص: سم.

تدمك: 9789773196547

1- القصص الأيسلندية

أ- دخانة، آية أشرف (مترجم)

ب- العنوان 839,693

أبريل 2011



1



قامت "سونيا" من نومها ترتجف. اعتدلت في جلستها لتتفقَّد درجة حرارة جهاز التكييف. وجدتها ثلاثين درجة في المنزل المتنقل. كانت قد غفت قليلًا ثم غلبها نوم عميق حين ذهب "توماس" للَّعب مع "دانكن"؛ صبي بعمره يسكن في المنزل المتنقل المجاور. وأثناء غفوتها، رفعت الشمس درجة حرارة المنزل المتنقل الصغير لثلاثين درجة، وحينها ارتفع صوت التكييف.

رأت في منامها قطعًا ثلجية ضخمة تسبح بمحاذاة الشاطئ الذي يقف عليه المنزل المتنقل. وبالرغم من أن فكرة بحر ثلجي على ساحل "فلوريدا" قد تكون مبهمة، بدا الحلم واقعيًا لدرجة أن "سونيا" انتظرت بضع لحظات لتتخلص من صورة الثلج وهو يقترب من الشاطئ. ورغم علمها بأن الحلم هو مجرد تخيلات، وأن تلك البرودة التي أحسَّت بها كانت في الحقيقة بسبب التكييف، فقد كانت لا تزال قلقة، رؤيتها لبحر ثلجي لم تكن تبشر بالخير.

بمجرد أن نزلت "سونيا" من السرير وخطت بقدمها على الأرض، ارتطمت إصبع قدمها الكبيرة باللوح المفكوك على الأرضية. فكرت أنها لن تستطيع تحمل ذلك المنزل المتنقل لأكثر من هذا. لكن لم يعد ذلك مهمًا، فقد حان وقت الانتقال بعدما مر عليهما ثلاثة أسابيع في هذا المكان، وهي مدة طويلة. وقد

يشكل ذلك خطرًا، لذا ستقوم غدًا بحَزم الأمتعة بهدوء والرحيل في ستار الليل دون توديع أي من الجيران. سترحل في سيارة متهالكة اشترتها نقدًا، وكانت قد دفعت شهرًا مقدمًا لإيجار المنزل المتنقل على مضض كي يوافق صاحبها.

هذه المرة، سيكون الجنوب وجهتهما، إلى جورجيا. سيذهبان للبحث عن مكان لقضاء أسبوع أو اثنين ثم مغادرته قبل الاستقرار فيه، وقبل أن تتم ملاحظتهما، قبل أن يتعقبهما "آدم"، والد "توماس" وزوجها السابق وتاجر المخدرات ومستغل البشر.

يومًا ما، بعد أن تتأكد "سونيا" أنهم قد بلغوا من الترحال ما يكفي لإخفاء أثرهم تمامًا، وأنهما آمنان، سيستقران. سيكون ذلك في مكان هادئ. ربما في الولايات المتحدة، أو ربما في مكانٍ آخر. في الواقع، لن يكون المكان مهمًا طالما يستطيعون الاختفاء فيه وسط الزحام، حيث لن تضطر إلى النظر خلفها باستمرار.

أطلّت "سونيا" برأسها تحدق في المايكروويف، وهو شيء تعودت فعله، فبداخله ما يشعرها بالأمان. صندوق النقود: صندوق أبيض بغطاء أزرق. ممتلئ بمدخراتها من عملات الدولار واليورو التي جمعتها خلال العام الذي وقعت فيه في فخ "آدم". كانت حزمة النقود تلك هي طوق نجاتها في وقت لا تجرؤ أن تثق فيه بأحد. قامت باستخراج بطاقة نقدية مسبقة الدفع من "والمارت" وزوّدتها بما يكفي لتلبية احتياجاتهم لبضعة أشهر. ولم تجرؤ على التقدم للحصول على بطاقة ائتمان عادية؛ لم ترد أن تخاطر مع "أجلا"، فهي تعلم أنها على علم بالنظام المصرفي، وقد ترجع إليه في تتبع تحركاتها.

رقّ قلبها على ذكر "أجلا". وتركت ذكرى رائحة شعرها ودفء جسدها تحت أغطية السرير غُصّة في حلق "سونيا" لم تستطع التخلص منها. ومنذ فراقهن،

أرغمت "سونيا" نفسها على العمل بجهد أكبر حتى تنشغل عنها ولا تتصل بها، فقد اختارت أن تضع آيسلندا وراء ظهرها، وصارت هذه حياتهما الجديدة هي و"توماس". كانت تدرك تمامًا أنها ستكون حياة وحيدة في بدايتها. لكن لم تكن الوحدة أكبر مشكلاتها. كان همها الأكبر هو سلامتهما؛ سلامة "توماس" بالأخص. فإذا سمحت لنفسها برفاهية الاتصال بـ"أجلا"، ستكون هناك فرصة كبيرة أن يعرف "آدم" بالأمر ويتعقبها من خلاله.

فتحت "سونيا" باب المنزل المتنقل وجلست على عتبته. كان الهواء خارجًا أكثر سخونة من الداخل. وقد رسمت شمس الظهيرة ظلالًا طويلة من الأشجار على قطعة الأرض المستديرة وسط المنازل المتنقلة. أخذت "سونيا" نفسًا عميقًا من الهواء وحاولت به التخلص من القلق الذي سببه لها الحلم. على الجانب المقابل، وقف عجوز أهتم أمام شوَّايته التي خرج منها بعض الدخان، وجلست والدة "دانكن" على كرسي مخيم خارج المنزل المتنقل المجاور تستمع إلى الراديو.

عمَّ سلامٌ في المكان، لكنه سرعان ما انتهى بسبب ضجة المرور وأبواق السيارات على الطريق السريع، حيث بدأ الناس رحلة العودة إلى المنزل من العمل.

خرج "دانكن" مسرعًا من منزله المتنقل مع كرة السلة التي كان يراوغها في كل مكان. ثم أخذ وضعية التسديد وسدد على طريقة اللاعبين الكبار، فابتسمت "سونيا". لاحظت هي و"توماس" أن أسلوبه الغريب في المراوغة لم يؤثر على دقة تسديده، فهو ماهر في اللعب. وبعد بضعة أيام فقط من اللعب معًا، أصبح "توماس" مهووسًا بها أيضًا.

- "توماس"!

ثم صاحت:

- "دانكن"! أين "توماس"؟

قفز الصبي في الهواء وسدد الكرة في سلة مثبتة في نخلة، وعندما وقف، هز كتفيه مستنكرًا.

فكررت سؤالها:

- أين "توماس"؟

أجاب "دانكن" وما زال يجعل الكرة تتقافز:

- لا أعرف، فقد نزل إلى الشاطئ للتو. لكن أتى بعد ذلك بعض الأشخاص يبحثون عنه.

- أشخاص؟ من يكونون؟

وفي وثبة واحدة، كانت "سونيا" بجانب "دانكن" الذي ترك الكرة من يديه وقال:

- فقط بعض الرفاق.

- أخبرني يا "دانكن". أين ذهبوا؟

أشار "دانكن" ناحية الغابة التي تقع بين المنازل المتنقلة والشاطئ.

ثم نادت والدة "دانكن" من على كرسي المخيم الخاص بها:

- ماذا هناك؟

لكن لم تنتظر "سونيا" حتى تجيب.

أسرعت نحو الشاطئ وهي تلاحق عرض الصور في عقلها. تتخيل مشهد الجليد على الشاطئ، وتسمع صوت قطع الثلج والأمواج تطيح بها. ثم غيَّمت

على تفكيرها البرودة التي أحضرتها تلك القطع الجليدية، وكأن الحلم يتحول إلى حقيقة. لعنت نفسها لأنها لم تشترِ المسدس الذي رأته في سوق الأغراض المستعملة في عطلة نهاية الأسبوع.

وعادت تفكر أنه ليس من المنطق أن يحلم آيسلندي ببحرٍ ثلجي؛ فهذا يعني أن ربيعًا صعبًا قادم، فالجليد قد يأتي بالدببة!

2



تنزه "توماس" على حافة الغابة فوق أحجار تأخذ شكل خطوات قادته إلى رمال الشاطئ. وصل حافي القدمين بعدما ترك حذاءه في منزل "دانكن". لكن لم يضايقه الأمر، فرمال الشاطئ ناعمة على قدميه. وسيعود لأخذه على أية حال عند عودته، قبل حتى أن تلحظ والدته أنه خلعه.

أراد فقط جمع بعض الأصداف. وخاصةً السوداء؛ فهي الأندر والأجمل. كان معظمها على الشاطئ باللون الأصفر والبني والنحاسي، وأحيانًا تلك ذات اللون الأسود، وهي التي يحتاجها لما يصنعه. كان اقتراح والدته، قالت إنه شيء فعلته في طفولتها. وبمجرد أن امتلأ صندوق السجائر بالصدف، أدرك "توماس" أن الأمر سيكون رائعًا.

جاء الصندوق من العجوز في الجهة المقابلة. وكان سيستخدمه "توماس" للاحتفاظ بصور لكرة القدم. لكن اقترحت والدته أن يقوم بتزيينه بتلك الأصداف أولًا، فأمضى "توماس" ثلاث ليالٍ يحاول تزيين الصندوق من الخارج

بشكل معين. والآن، بعدما لم يتبقَ إلا صف واحد لإنهائه، عرف أنه سيكون أفضل صندوق على الإطلاق يحفظ فيه الصور.

كان المد مرتفعًا؛ مما جعل الشاطئ ضيقًا جدًا لدرجة أنه لن يتمكن من إيجاد أية أصداف الآن. وسيضطر للعودة مرة أخرى حين يهدأ البحر.

غرز "توماس" أصابع قدمه في الرمال، ولفت انتباهه بيت النمل.

لم يكن هناك نمل في آيسلندا، فكان ذلك شيئًا جديدًا بالنسبة له، وقد وجده رائعًا. لم تكن سوى حفرة في الأرض، ولكن دخل وخرج منها النمل في صف واحد منتظم بشكل مثالي. كانوا عازمين جدًا، كأنهم يفعلون شيئًا مميزًا. ربما هو مشروع بناء خاص بهم. التقط "توماس" عصًا رفيعة وأدخلها في الحفرة على أمل الوصول لآخرها. لكن بدا أنها أعمق مما تصور. ذعر النمل حينها واندفع بشكل عشوائي لبضع ثوانٍ. لكنهم سرعان ما استعادوا انضباطهم بشكل لا يصدق وبدؤوا في إصلاح الضرر الذي لحق بمدخل الحفرة.

- "توماس"!

رفع عينيه عن بيت النمل باحثًا عمَّن نادى اسمه من الناحية الأخرى للشاطئ، عند ساحة انتظار السيارات. رأى رجلين يلوحان له بسعادة. ماذا أرادا؟ سار نحوهما مترددًا حتى وقف عند مسافة بعيدة عن المكان الذي يقفان فيه. بدا وكأنهما مكسيكيان، وقال "دانكن" إن أولئك الأشخاص يجب الحذر منهما. لم يعرف "توماس" السبب، فلم يكن هناك مكسيكيون في آيسلندا، ولم يخبره أحد من قبل بالأمر.

أجاب على الرجلين بصوت مرتفع:

- ماذا؟

فابتسم كلاهما بودٍّ. لم يبدوا خطرين. كان أحدهما يجلس على صخرة وسار الآخر باتجاه سيارة.

سأله الذي كان يجلس على صخرة:

- أتريد شراء جرو؟

إذن فهما بائعان. امتلأت "فلوريدا" بالبائعين، وكان أغلبهم مكسيكيين.

أجاب "توماس" وقد أثار الرجل فضوله:

- أمتلك واحدًا بالفعل.

فسأله الرجل وهو يرفع حاجبًا متعجبًا:

- إذن أين هو؟

هز "توماس" رأسه وقال:

- إنه بالمنزل في آيسلندا. لكن يكفي كلبٌ واحد. لن تسمح لي أمي بتربية كلب آخر. نحن فقط هنا لقضاء عطلة طويلة.

أو كان ذلك ما تمنى أنه قاله. فقد تحسنت لكنته الإنجليزية كثيرًا عما كانت، لكنه ما زال يستخدم كلمات خاطئة من حين لآخر، وذلك يضحك "دانكن".

لكن ذلك الرجل لم يضحك، بل تنهد وقال:

- حسنًا إذن، لا أعرف ماذا أفعل بالجرو في السيارة. أعتقد أنني سأضطر إلى إغراقه.

صاح "توماس" وقد اقترب أكثر:

- لا!

فسأل الرجل:

- ماذا تعتقد أن أفعل به؟ أتعرف شخصًا يستطيع أخذه؟

سأله "توماس":

- أهو كبير؟

- لا. ضئيل الحجم. حديث الولادة على ما أظن.

أحس "توماس" بألم في قلبه. فكر أنه ربما يمكنه أن يأخذ الجرو، ويعتني به هو ووالدته لبضعة أيام بينما يبحثان عن منزل له. ومؤكد أنها لن تغضب إذا عاد إلى المنزل ومعه جرو صغير أنقذه من الغرق.

قال الرجل وهو ينزل من على الصخرة:

- ألن تلقي نظرة عليه؟ إنه هنا. في السيارة.

سار الرجل حتى وصل إلى ساحة انتظار السيارات وتبعه "توماس" وهو يشعر بالذنب لتركه كلبه "تيدي" في آيسلندا وعدم رؤيته طوال تلك الفترة. كان الرجل الآخر يدخن في مقعد السائق. غضب "توماس" بشدة لأنه يدخن بالقرب من جرو صغير. والجميع يعلم كم أن الدخان مضر. لكن عندما فتح الرجل الأول باب السيارة الخلفي، تجمَّد "توماس" في مكانه بينما أدرك الأمر.

فقال وهو ينظر إلى الرجل:

- لقد ناديتني "توماس". كيف عرفت اسمي؟

3



استيقظت "أجلا" على ألم حاد في صدرها؛ وأيقنت أنها نوبة قلبية.

تقلبت على بطنها وهي تحاول التنفس بصعوبة، فوجدت نفسها وسط أرضية غرفة المعيشة، وبجانبها زجاجة شراب ملقاة، وقد تسرب منها سائل داكن على السجادة الحريرية التركية. أخذت بضعة أنفاس عميقة، لكن لم يهدأ الألم، بل امتدَّ لمعدتها كالأمواج. لم تكن تلك نوبة قلبية، بل كان حزنًا خالصًا؛ فقد حلمت بـ"سونيا".

زحفت "أجلا" إلى الأريكة، وألقت بجسدها فوقها. أيعقل أن يكون قد انتهى الأمر حقًا؟ أيمكن أن تكون "سونيا" قد اختفت من على وجه الأرض؟ ألن تلمسها مرة أخرى وتطوقها بذراعيها وترى لذة الحياة في عينيها حين تبتسم؟

نظرت "أجلا" حولها في الغرفة. كانت الستائر مسدلة، والغرفة شبه مظلمة رغم أن اليوم، حسب الوقت، لم يتجاوز منتصف النهار. لا تتذكر شيئًا تقريبًا عن الليلة السابقة، غير انتظارها في السيارة خارج منزل "سونيا" لفترة طويلة، في محاولة غريبة لأن تشعر بالقرب منها، ثم ذهبت بقية الليلة أدراج الرياح.

توقفت عيناها عند كيس الكوكايين على الطاولة، بجانبه سطران جاهزان للشم، وسطح الطاولة الزجاجي مبعثر عليه أكثر من ذلك. لا بد أنها جلست هناك لبضع ساعات.

سيتوجب عليها أن تشم السطرين وتستحم، ثم تجد شيئًا مفيدًا لتفعله. ستمدها تلك الكمية بالطاقة اللازمة لإتمام ما تريد، وستكون مبتهجة ومتفائلة ومفعمة بالثقة وفي المزاج المناسب أيضًا لمقابلة محامي الدفاع عنها، وربما لشراء بعض البقالة وتناول وجبة مشبعة. هنا تكمن المتعة في الكوكايين؛ فهو لا يغير فقط شعورك، إنه يغير نظرتك للأشياء بالكامل. يجعلك تصدق أن كل شيء سيسير على ما يرام. مالت "أجلا" في جلستها ولفَّت ورقة نقدية فئة خمسة آلاف كرونا، ثم استنشقت السطر الأول.

لكن بمجرد أن تدفقت الجرعة بجسدها وعروقها، تدفقت معها الخيبة. لم يستسلم الألم في قلبها، بل إنه زاد مع ضربات قلبها. وأحست فجأة كأنها محجوزة في زنزانة، وحيدة ومنعزلة، ثم بدأت في التعرُّق، لم يكن هناك فائدة من التحدث مع المحامي، فأية اقتراحات جديدة لن تغير شيئًا. فات الأوان. خفق قلبها بشدة لدرجة أنه كان على وشك الانفجار والخروج من صدرها. أرادت أن تعوي، أن تصيح وتصرخ وتكسر أشياء حولها، لكنها لم تفعل، فقد غلبها الإجهاد بالكامل حتى لم تستطع التحرك. شعرت بعدها بالغثيان. ورغم أن جسدها غارق في التعرق، ارتجفت وكأنها تتجمد. لقد زاد هذا الكوكايين اللعين الأمر سوءًا، وواضح أنها كانت تفرط في استخدامه مؤخرًا.

شعرت "أجلا" أنها ترتقي من جسدها إلى سقف الغرفة حيث نظرت إلى نفسها وهي ترتدي قميصًا ممزقًا وبنطالًا ضيقًا، والماسكارا ملطخة على خديها وشعرها غير مرتب ككومة قش. بدا الأمر غير واقعي، فلا يمكنها أن تكون ذلك الشخص البائس. شعرت في هذه اللحظة أنها سافرت عبر الزمن، وعادت مرة أخرى امرأة يافعة مشرقة تتطلع إلى مستقبلها، وتتساءل في خوف ودهشة عما حدث لتسوء الأمور لهذه الدرجة.

عندما عادت "أجلا" إلى نفسها، سيطر عليها الألم فجلست متحجرة حين أدركت حقيقة الأمر، وهي أن كل شيء قد انتهى؛ فهي ذاهبة إلى السجن ومدانة بالتلاعب في السوق، وتركتها "سونيا" كما تركت البلد بأكمله. لم تكن هناك فرصة لرؤيتها مرة أخرى. فقدت الشيء الوحيد الذي جعل حياتها تُحتمل منذ الأزمة المالية، رغم علمها منذ القبلة الأولى أن ذلك الشغف بداخلها مؤقت، كان انتهاء الأمر أكثر ألمًا مما تخيلَت. تدفقت الدموع على خديها وبدا أن قلبها إمَّا سينفجر من صدرها مرة أخرى، وإما سينكسر داخله.

4



بدا الشاطئ هذه المرة طويلًا بشكل لا يصدق، والرمال ناعمة تحت قدميها، فغرزت فيها مع كل خطوة، فأجهدها بذل مجهود زائد في الحركة بلا تقدم. كان الأمر أشبه بكابوسها المتكرر، حيث تركض وتركض لكنها تبقى بلا حراك.

كان الشاطئ مهجورًا، أو على الأقل هذا الجزء منه وسط الصخور فارغًا. لكن في موقف السيارات على الجانب الآخر، وقفت سيارة. استطاعت أن ترى سقفها فقط من وراء الكثيب الرملي. وبينما يخبرها حدسها أن هذا هو مكان "توماس"، أصرَّ شيء آخر على أن ذلك ليس الطريق الذي ينبغي أن تسلكه.

ضغطت بقدمها في الرمال ودفعت بجسدها حتى وصلت أخيرًا إلى الدرجات المؤدية لموقف السيارات وراء الكثيب الرملي، ورئتاها تحترقان من الإجهاد. كانت قدمها تتعثر من أثر المشي في الرمال. لكنها استخدمت يدها بدلًا من أن

تبطئ وصعدت درجات السلم على أطرافها الأربع حتى صعدت ووقفت على قدميها مرة أخرى. هرولت إلى السيارة وهي تلهث. وبينما اقتربت، فُتِح الباب وخرج رجل منها.

فسألت، بمجرد أن رأت "توماس" يجلس في السيارة:

- هل ابني بالداخل؟

لم تتردَّد، بل ذهبت مباشرةً إلى الرجل. على الرغم من أنها كانت صغيرة الحجم وليس لديها أمل في التغلب على مثل هذا الرجل الضخم، كان عليها أن تحاول، فاستجمعت طاقتها، واصطدمت به بكل قوتها. ضربته بكتفها أولًا، فتمكنت من إخلال اتزانه للحظة، فترنح وتراجع لاستعادة توازنه، بينما أمسك "سونيا" في قبضته في اللحظة نفسها، ثم أدارها بخفة دون أن يترك معصم يديها، وبدا كأنها ترقص. ولكن رقصة كتلك في موقف سيارات في "فلوريدا" كانت خطيرة، بل مميتة. وقد علمت أن الأمر له علاقة بماضيها في آيسلندا.

قام الرجل ذو الملامح المكسيكية بربط يدها خلف ظهرها بشريط، ووضع يده على رأسها، تمامًا كرجل شرطة، ودفعها داخل السيارة. أظهرت "سونيا" بعض المقاومة. لكنها أرادت حقًا دخول السيارة حيث كان "توماس". كان عليها أن تكون معه. ثم أُلقيت على المقعد بجانب ابنها الباكي وذراعاه مقيدتان خلف ظهره، مثلها تمامًا. ووُضعت قطعة من الشريط على فمه. لكن كان لا يزال بإمكان "سونيا" أن ترى شفتيه تتحركان وهو يناديها:

- أمي!

تحركت شفتاه من وراء الشريط والدموع تسيل على خديه، فمالت "سونيا" عليه ووضعت رأسها بجانب رأسه وحاولت طمأنته.

- أنا هنا يا عزيزي. والدتك معك.

أرادت أن تأخذه بين ذراعيها. لكنها لم تستطع، فاكتفت بميلها على رأسه للحظة، قبل أن يمد الرجل يده داخل السيارة ويسحبها من ظهرها، ثم مزّق قطعة من الشريط اللاصق وأغلق بها فمها.

- أرجوك لا.

كان ذلك كل ما تمكنت من قوله قبل أن يغطي الشريط الرمادي فمها. وكل ما استطاعت فعله هو التنفس من أنفها.

5



تحدث الرجلان في مقدمة السيارة بالإسبانية حتى لا تفهم "سونيا" ما يقولانه. بدوا هادئين، وهو شيء جيد، كما افترضت. لم يتصرفا كالعصابات المجنونة، بل وكأنهما في مهمة ما.

انعطف السائق يسارًا عند نزلة الطريق وتوقف أمام مدخل ساحة المنازل المتنقلة، ثم نزل الرجل بجانبه. مدت "سونيا" رأسها لترى إلى أين يتجه، فركض مباشرةً إلى منزلها المتنقل فدخل وأغلق الباب وراءه. ماذا كان يفعل؟ أكان يبحث عن المال؟ هل هناك شيء آخر يبحث عنه؟ وكيف عرف أن ذلك هو منزلهما المتنقل؟ وارتعدت من الخوف حين فكرت أن هذين الرجلين كانا بالتأكيد يراقبانهما هي و"توماس" لبعض الوقت.

تمتمت "سونيا" في محاولة لإبلاغ الرجل أنها تريد قول شيء ما. ربما ينزع عنها الشريط ليعرف ما هو. كانت ستخبره بأمر النقود في المايكروويف، في مقابل السماح لها و"توماس" بالذهاب. لكن السائق استدار لها من مقعده وأسكتها، فزاد الرعب في عينيْ "توماس" وسالت دموعه مجددًا، فقررت "سونيا" أنه من الأفضل أن تحاول التزام الصمت.

بعد لحظة، خرج الرجل الآخر من المنزل المتنقل وركض ناحية السيارة وهو يملأ جيبه بشيء ما، وفي يده الأخرى صندوق أبيض بغطاء أزرق: صندوق النقود. ربما لم يكن المايكروويف هو مكان الاختباء المثالي على أية حال. ثم قال في اللحظة التي ركب فيها السيارة بالإسبانية:

- لنرحل.

فانطلقت السيارة وأصدرت الإطارات صريرًا بينما حول السائق وجهته نحو الطريق السريع.

مالت "سونيا" على جانب وأسندت خدها على رأس "توماس" الذي ارتجف من الخوف. تمنت وقتها أن تحتضنه وتهمس له بكلمات تهدئه. لكن ما استطاعت فعله فقط هو أن تكون بقربه ليطمئن من دفئها، كما فعل حين كان طفلًا صغيرًا. أَحَبَ أن ينام على بطنها، للشعور بحرارة جسدها وسماع دقات قلبها.

قامت "سونيا" ببعض تمارين التنفس. ملأت رئتيها بالهواء وعدت أربع عدات ثم أخرجته. أبقاها ذلك مسترخية وسهَّل عليها استنشاق كمية كافية من الأكسجين من أنفها فقط. فلن تفيد "توماس" إذا أصابتها نوبة ذعر واستنفدت كل قوتها في التخبط والاضطراب. كان عليها أن تبقى هادئة لأجله؛ فكل هذا مرعب بالفعل، لا تريد أن تزيد الأمر بخوفها.

أخذوا الطريق السريع عند التقاطع التالي، باتجاه الجنوب. راقبت "سونيا" اللافتات أثناء سيرهم تحاول أن تكتشف إلى أين يتجهون. كان الأمر كله لا يصدق، ولولا الألم في ذراعيها المقيدتين لاعتقدت أنها تحلم. وأنه مجرد كابوس سخيف آخر.

ظل الرجلان صامتين في المقعد الأمامي والسيارة منطلقة على الطريق السريع، تمر بالغابات الواسعة وكأنها قطعة ملابس سميكة تغطي على المناظر الطبيعية فتجعل المنظر رتيبًا. مقارنةً بهذا، بدت آيسلندا شبه عارية بدون أشجار، تظهَر معالمها وأسرارها. الشيء الوحيد الذي تغير هنا هو اللافتات. قرأتها "سونيا" بتمعن دون أن ترفع خدها من رأس "توماس". بدا أهدأ الآن؛ إذ شعرت بذلك من وقع أنفاسه.

رأت بعد ذلك لافتة مطار "أورلاندو" الدولي، فأوجعها قلبها. إذا كانوا متجهين إلى هناك، فسيتم أخذهما لمكانٍ ما. أيمكن أن يكون هناك من يعيدهما إلى آيسلندا؟ راقبت بقلق لافتات المطار وهي تتكرر. وحين توقفت السيارة عند آخر لافتة على الطريق، تنهدت وشعرت بالخيبة الممتزجة بالارتياح.

نسيت كل ما راودها من مخاوف أثناء هذه الرحلة الغريبة؛ كأن يكون هؤلاء قاتلين مأجورين أو تاجري أعضاء أو خاطفين، وظهر واقع الأمر مع اقتراب المطار، واقعها البائس القديم. عندما توقفت السيارة في ساحة الانتظار بالمطار، وفُتح الباب، تأكدت من شكوكها.



6



كان قد حل منتصف الليل تقريبًا عندما عادت "أجلا" لشبه طبيعتها. وجهها متورم من الأسى. مرت سنوات منذ أن بكت بهذا القدر. في الواقع، لا تذكر كم مر من الوقت منذ آخر دمعة ذرفتها. وطوال الظهيرة، بقي معها تأثير المزيج الغريب من الحزن والكوكايين، فصارت تتجول في الشقة كالطيف، تلقي بنفسها على السرير وتعوي داخل الوسادة.

والآن بعد الاستحمام، أحست أخيرًا ببعض التحسن، وانتظمت أفكارها. قامت بوضع بعض المكياج ومشطت شعرها وارتدت ملابسها وارتدت حذاءً دون جورب ثم ارتدت معطفها. كان الهواء بالخارج باردًا جدًا لدرجة أنه لسع جلدها الذي كان لا يزال رقيقًا بعد الحمام، فأحكمت ربط معطفها. يبعد الفندق مسافة سير قصيرة على أية حال. وجبة شهية ستعيد لها وهجها.

- المطبخ مغلق.

قال الشاب في صالة الاستقبال ببرود بعدما قاطعت "أجلا" ما كان يلعبه على الكمبيوتر. استطاعت أن ترى اللعبة متوقفة على الشاشة أمامه وسألت:

- ألا تقدمون خدمة الغرف؟ ألا أستطيع طلب وجبة من خدمة الغرف وتناولها هنا؟

وأشارت ناحية الأريكة في زاوية الصالة، لكن الشاب هز رأسه بالنفي، وقال بابتسامة صفراء:

- خدمة الغرف خاصة بالضيوف داخل غرفهم. لهذا تسمى خدمة الغرف.

فقالت "أجلا" وهي تخرج محفظتها من جيب المعطف:

- إذن، أريد غرفة.

- ماذا؟

كررت وهي تخرج بطاقتها الائتمانية وتمررها على المكتب أمام الشاب:

- احجز لي غرفة. إذا كان ذلك ما يتطلبه الأمر لتناول شيء هنا.

أخذ البطاقة وعلى وجهه تعبير مريب:

- هل أنتِ متأكدة؟ ستحجزين غرفة فقط لطلب خدمة الغرف؟

أكدت "أجلا":

- هذا صحيح، وأنت الذي ستأخذ طلبي بما أنك من سيسجل الحجز. أريد شريحة من اللحم متوسطة الطهي، ورقائق البطاطس وبيرة.

بالكاد أغلقت باب الغرفة خلفها حين وصل الطعام. جلست بسعادة حول الطاولة تشم الرائحة بينما رفع النادل غطاء الصينية. كان اللحم مطهوًا بالكامل، لكنها لم تشعر بالرغبة في الشكوى، فهي جائعة جدًا. قامت بتقطيعه لأجزاء صغيرة وأكلت كل جزء بالغموس الذي جاء مع الرقائق، وقد عوض ذلك مشكلة طهي اللحم. مالت بعدها لإمساك الريموت ثم شغلت التليفزيون. ليس

لأنها تريد مشاهدة شيء بقدر ما كانت تريد الاستفادة بما دفعته في غرفة فقط لتناول وجبة فاخرة.

في طريق عودتها للمصعد، أخرجت من محفظتها ورقة نقدية بقيمة خمسة آلاف كرونا وأمسكتها. وبمجرد أن وصلت مكتب الاستقبال، ضربت بيدها على المكتب وهي تقول:

- كان ذلك جيدًا، شكرًا جزيلًا.

وقف الشاب خلف الكمبيوتر يراقبها وهي تخرج من المبنى، و"أجلا" متأكدة من أنها قد تركت بلاهة على وجهه. كان من السهل عليه أن يكسر القواعد ويسمح لها بطلب خدمة الغرف والأكل في زاوية الصالة. لكن هذا سيشغله عن لعبة الكمبيوتر خاصته. عليه أن يخجل من نفسه. أما هي، فلم تعتد على ترك الرجال يعترضون طريقها بقواعدهم الصغيرة.

عند عودتها إلى المنزل، شعرت أنها على طبيعتها، ثم أخذت نفسًا عميقًا استجمعت به الطاقة التي احتاجتها للتحقق من سير أمورها. جلست حول طاولة المطبخ بـ"اللابتوب" الخاص بها. ودخلت تتفقد حساب شركة "إيه جي كيه – سايمان" AGK-Cayman البنكي، فقد أخبرها المحامي الخاص بها "إلفار" أنه بعد انتهاء التحقيقات، لم يعد مكتب النائب العام يراقب تليفونها والكمبيوتر الخاص بها. ووسط تأخير التحقيقات وإجراءات المحكمة، ولحين إصدار الحكم، كان بإمكانها العمل على استثماراتها لبضعة أسابيع. فببساطة، لن تتحمل مواجهة الموقف حينها.

أما الآن، حان الوقت لأخذ نقود "كايمان": هذه الأموال اللعينة التي ليس لها أية فائدة، بل إنها تفقد قيمتها. لم يكن التغاضي عنها خيارًا صائبًا، وكان من

الصعب معرفة الخيارات الأخرى المتاحة. وعمليًا، تعتبر معجزة هذه الأيام إن تركت نقودك فترة ولم تفقد أيًا منها.

لكن ذلك لم يكن جيدًا بما يكفي بالنسبة لها. سيتوجب عليها أن تنشغل وتجد طريقة لجني المزيد. غير أن كل ما حدث مع مكتب النائب العام قد هز ثقتها بنفسها. وبرغم كل ذلك، لا تنكر أن الأمور قد سارت بشكل أفضل مما توقعته. فهي بالطبع كانت لتقضي بعض الوقت في السجن - والذي خمن "إلفار" أنه سيكون أكثر من سنة على الأرجح - ثم ظهرت التكاليف القانونية وبقية الأمور. لكن في الواقع، لم يقم المكتب بالتعمق في القضية. اطمأنوا أن التحقيقات تسير لصالحهم، بينما لم ينجحوا في توجيه الأسئلة الصحيحة. لو قاموا بهذا لرؤوا حقيقة الأمر، التي كانت سيئة. فكانت تدين بالكثير من الأموال، واحتاجت الاستثمارات لتحسين موقفها.

عبست "أجلا" وهي تتفحص الحساب. فإذا بدا "إيه جي كيه - سايمان" AGK-Cayman سيئًا، هناك احتمال كبير أن تكون الحسابات الأخرى مثله. الأمر أشبه بالمشي وسط منزل محترق. كل ذلك قد خَرِب؛ خردة محترقة لم تتم إزالتها منذ شهور. ولم يكن لديها أي فكرة عن كيفية الاستفادة من كل تلك الأموال. ستكون هذه معركة. تحسرت على رؤية ذلك الآن لأنه بالتأكيد سيبقيها مستيقظة طوال الليل.



7



فتح "آدم" باب السيارة لـ"سونيا" كأنها نجمة فيلم تصل إلى العرض الخاص. وتلاشت الابتسامة التي على وجهه حين رأى أن "توماس" مقيدًا وفمه مغلق بشريط. زجر للمكسيكيين قائلًا:

- لم يكن عليكما ربط الصبي!

فبدأ على الفور في شرح أنهما لم يملكا خيارًا آخر أمام دفاعه المستميت عن نفسه.

حاول "آدم" بحذر إمساك الشريط من على فم "توماس"، لكن السائق مد يده ونزعه بسرعة. صرخ "توماس" من الألم المفاجئ وأحدَّ "آدم" النظر إلى الرجل، الذي ضحك وكأن الأمر فكاهي. ثم أخرج سكين جيب وقرفص خلف "توماس" ليقطع الشريط الذي يقيد معصميه. كان لا يزال "توماس" يبكي، لكن بمجرد أن تحررت يداه، ألقى بنفسه في أحضان والده وأمسك به بإحكام. قطع السائق بعد ذلك الشريط حول ذراعي "سونيا"، ثم ذهب يساعدها بالشريط حول فمها. فقامت بضربه ونزعت الشريط بنفسها. بدا محكم الإلصاق.

أثناء نزعه، أتت لها فكرة الهرب، أن تجري من موقف السيارات وتبحث عمَّن يمكنه مساعدتها وأخذها للشرطة حيث يمكنها إدانة هؤلاء الرجال بتهمة الاختطاف، لكنها تجاهلت هذه الفكرة على الفور؛ فسيكون "آدم" خارج البلاد قبل ذلك بفترة طويلة، وإن حدث وبلَّغت وفعلت كل شيء، كان لا يزال

من الناحية القانونية يملك وصاية "توماس". هي المخطئة في النهاية. هي الخاطفة الحقيقية.

أثناء محاولتها لنزع الشريط من على وجهها، أخرج المكسيكي الآخر كتيبين زرقاوين صغيرين من جيبه وأعطاهما لـ"آدم". كان قد أخذ جوازي سفرهما من المنزل المتنقل، ونقودها كانت مجرد مكافأة.

صافح "آدم" يدي الرجلين عند مغادرتهما، وطلب منهما تقديم أطيب تحياته للسيد "خوسيه". فهمت "سونيا" على الفور، فقد التقت بالسيد "خوسيه" في لندن قبل بضعة أشهر، لقاءٌ تفضِل نسيانه. ما أدركته "سونيا"، أن "آدم" يعمل لدى السيد "خوسيه"، الذي امتلك عيونًا وآذانًا في الولايات المتحدة، تمامًا كما امتلك وسائل ضغط على أشخاص من جميع أنحاء العالم.

بينما ابتعد المكسيكيون، تنهد "آدم" وابتسم قائلًا وهو يهز رأسه:

- "سونيا"، "سونيا"، "سونيا". من مِنا إذن يتصرف كالأحمق؟

ثم لعب في رأس "توماس"، الذي نظر إليه في حيرة.

بدت الحقيقة تتغلغل في إدراكه تدريجيًا. وكادت "سونيا" أن ترى عقله وهو يحاول فهم الفوضى التي أحدثتها اضطرابات اليوم. قال "آدم":

- الخيار لكِ. إما أن تعودي إلى آيسلندا معي أنا و"توماس" ونبدأ مجددًا من حيث توقفنا، أو أن تقولي وداعًا لكلينا. هنا والآن.. إلى الأبد.



8



مشت "أجلا" على أطراف أصابعها حتى باب الغرفة. كان ضوء المطبخ ساطعًا، مما جعل من الصعب رؤية أي شيء في غرفة المعيشة المظلمة. وقفت في الردهة تتحسس مفتاح الضوء. وتأكدت الآن أنها تسمع أنفاسًا، لكنها عادت تقول إنها تهيؤات من توتر أعصابها والجرعات الزائدة التي تتعاطاها مؤخرًا. ومع ذلك، منعها شيءٌ ما من مواصلة الحركة داخل الغرفة. كادت حواسها تصرخ بأن هناك شخصًا ما وسط تلك العتمة، شخصًا ينتظرها.

وجدت المفتاح. وتوقعت أن تشتد الإضاءة فجأة بالغرفة، لكن بدلًا من هذا، ظهر بالكاد توهج أصفر خافت؛ فغطاء المصباح كان مقلوبًا. لكن ذلك الضوء الخافت كان كافيًا لتراه.. "إنجيمار". جلس في الكرسي المواجه للباب ويداه على ذراعي الكرسي. في ذلك الوقت، سرت في عقل "أجلا" سلسلة من الشتائم، وحاولت جاهدة السيطرة على نفسها حتى لا تتفوه بها. فضلت وجود لص أو مجرم في بيتها بدلًا من "إنجيمار". قال دون أن يتحرك، أو يرفع عينيه عنها:

- مساء الخير يا "أجلا".

تنهدت وجلست على الكنبة المقابلة له. كان يجب أن يحدث هذا. كان يجب أن تعلم أنه بمجرد أن تنتهي تحقيقات النيابة، سيطرق الباب للتذكير بالدين، الدين الكبير.

اعتدلت في جلستها، ثم أوقعت زجاجة من البيرة على الطاولة وهي تسحب الوسادة من تحتها وسألت:

- كيف دخلت؟

لم يكن الترحيب الأمثل، لكن لا يهم. المهم هو أن تنظر إلى عينيه مباشرة. يجب عليها ذلك حتى لا يظهر عليها الاضطراب الذي سببه ظهوره.

- لديَّ أساليبي. لسوء حظي أنني لا يُسمح لي بالدخول حين أطرق الباب كأي زائر آخر.

توقف قليلًا ثم قال:

- كلانا يعرف لما أنا هنا.

أومأت "أجلا"، فهي على دراية بالأمر. لكنها توقعت أن يتم تذكيرها من خلال "يوهان". وآخر شيء توقعته أن يأتيها "إنجيمار" مباشرةً.

- توقيتك دقيق بشكل مخيف. فمنذ لحظة كنت ألقي نظرة وأتابع سير الأمور.

ابتسم "إنجيمار". امتلك ابتسامة ودودة، لكنها اختفت على الفور، واعتلت وجهه نظرة جادة. وبدون ابتسامته، بدا بعيدًا كل البعد عن الود. قال:

- أستطيع تخيل ما وصلت إليه الأمور.

وافقته "أجلا":

- التوقيت صعب كما يعرف الجميع، لذا فالصبر هو الحل.

ابتسم "إنجيمار" مجددًا ثم قال:

- هكذا إذن. الصبر.

ارتبكت "أجلا" في جلستها. ودارت الاحتمالات في ذهنها وهي تحاول أن تفكر بسرعة البرق في أسوأ ما قد يحدث، وبحثت بيأس عن خطةٍ ما وأجابت:

- ألا يمكننا القول إنه لا يوجد خيار آخر سوى التحلي بالصبر في ظل الوضع الحالي؟

هز "إنجيمار" كتفيه وقال:

- يمكنك قول ذلك.

ثم انحنى بالكرسي إلى الأمام، وبنظرة جادة على وجهه، قال:

- أنت جيدة في التغطية على الأمر يا "أجلا". لكنك تعلمين مثلي، أنه حتى لو أراد ثلاثتكم بيع كل ما تملكون، فلن يغطي ذلك الدين. كل الأسهم، وتعقيدات الديون ليست سوى قمامة. ولا يزال الأمر مبكرًا قبل أن تعود ذات قيمة. ألست محقًا؟

لما سأل، أومأ برأسه وكأنه يجيب على نفسه. لا يوجد فائدة من الجدال، فهو يرى بالطبع ما آل إليه الوضع، ولم يكن "إنجيمار" أحمق. في الواقع، كان بعيد كل البعد عن الحماقة. أكمل حديثه قائلًا:

- وبرغم ذكائك الشديد، ستحتاجين معجزة لجعل هذه الأصول تنتج أي أرباح.

صمتت "أجلا"، فهو على حق، تعلم ذلك. لكن الآن هو على دراية بالأمر. قال وعيناه على "أجلا":

- لكنك تحررني الآن من النائب العام. لديَّ اقتراح لك لتخفيف الدين، وربما حتى التحرر منه.

لم ترد "أجلا". بدلًا من ذلك، وقفت وذهبت إلى المطبخ وأحضرت زجاجتين من البيرة. أخذت وقتًا في فتحهما، ثم عادت إلى غرفة المعيشة، وأعطت إحداهما إلى "إنجيمار" وجلست بالأخرى على الأريكة، ثم قالت:

- دعنا نعرف ما هو.

9



لم تتفوه" سونيا "بكلمة مع "آدم" حتى وصلوا واشنطن لاستئناف رحلتهم، فمشوا بصمت طوال المطار وصعدوا الطائرة الآيسلندية ولم يتحدثوا مطلقًا. ولا حتى حين قصدوا محل الملابس في المطار لشراء جوارب وحذاء رياضي للصبي. تمتم "آدم" من حين لآخر ببضع كلمات لـ"توماس". لكنه بدا وكأن الأمور تتضح له تدريجيًا، وأن ما حدث من رعب لاحقًا في رحلة الصباح هو من فعل والده. فالتصق بـ"سونيا"، وأمسك يدها بإحكام ومال عليها كل مرة حاول فيها "آدم" لمس رأسه أو التحدث إليه. ما إن جلسوا في الطائرة حتى أراد دخول المرحاض. كان محشورًا في المقعد الأوسط بجانب والدته، فانتظر حتى قام والده من مقعده في الممر.

قال "آدم" لـ"توماس" وهو يخطو إلى الممر:

- كن سريعًا يا عزيزي.

وفجأة، استدار "توماس" وركل والده وهو يتحدث إليه ثم صرخ:

- أنا أكرهك!

دوى صوته خلال مقصورة الطائرة، فالتفت جميع الركاب الذين كانوا منشغلين بإدخال حقائبهم في الخزائن العلوية، ثم جرى "توماس" واختفى داخل المرحاض.

راقبت "سونيا" وجه "آدم" وعيناه تتبعان ابنه. اعتلت وجهه نظرة ألم عميق لوهلة، ثم مال ونفض ساقيه وجلس على مقعده بجانب "سونيا". شاهدته يحرك أصابعه على الشاشة أمامه وكأن شيئًا لم يحدث وتساءلت كيف أصبح بهذه القسوة. فمنذ وقتٍ ليس ببعيد، كانا زوجين سعيدين مع طفلهما "توماس". عمل "آدم" بوظيفة جديدة في البنك، واعتنت "سونيا" بالمنزل. بذلت قصارى جهدها في تولي الطهي للعائلة، وتجهيز ولائم العشاء حين كان يدعو زملاء العمل إلى المنزل. ضحكوا كثيرًا معًا، ولعبوا مع" توماس"، الذي بدا أجمل يومًا بعد يوم. وعملوا أيضًا على بناء منزلهم بـ"أكرانيس"، المنزل الذي اشتروه قبل ولادة "توماس" مباشرةً. كانت الأسعار منخفضة بما يكفي للحصول على مكان كبير منفصل لهم. وهي غارقة في الماضي، كان من الصعب تذكر متى بدأت الأشياء في التغير بالضبط. فكان قد مر بضعة أعوام على الأزمة المالية. تمامًا بعدما انضم" آدم" لفريق إدارة البنك. لكن "سونيا" ما زالت غير مقتنعة بأن ما حدث كان بسبب عمله فقط.

كان " آدم" من النوع المرح، القادر على إطلاق النكات التي تؤدى إلى نوبات من الضحك شديدة العدوى لدرجة أن كل من يسمعه يبدأ في الضحك معه. وقد اعتاد أن يحتضنها بين ذراعيه ويقبل رأسها. منحها ذلك شعورًا بالدفء والأمان، لكنه أصبح الآن قاسيًا. تعرف "سونيا" أنه لا يستطيع السيطرة على غضبه؛ فبدا لها هدوءه غير المعتاد ستارًا يخفي خلفه غضبًا لا بد وأن يخرج. فقد ذهب كل ما كان به من بهجة. وهناك بعض الشكوك أن لها دورًا في ذلك. سألته:

- كيف وجدتنا؟

فالتفت "آدم" لها وابتسم ثم قال:

- بسبب الكلب "تيدي". أرسل "توماس" لي رسالة على "الفيسبوك" من عند الصبي في المنزل المتنقل المجاور لكم يسأل عن حال "تيدي".

تنهدت "سونيا". بالطبع لم يكن منع "توماس" من استخدام الإنترنت كافيًا. فقد كان قادرًا على استخدامه عند "دانكن". لم يكن عليها أبدًا تعليمه كيفية استخدام "الفيسبوك"، لكنها كانت تفتقده بشدة، ولم تكن قادرة على مقاومة الرسائل ذات السطر الواحد المليئة بالأخطاء التي راسلها بها أثناء وجوده في منزل "آدم". كان يجب أن تعلم أيضًا أن "توماس" لن يكون قادرًا على مقاومة الاتصال بوالده، وأنه كان عليها إعطاؤه اهتمامًا أكبر حين كان يبكي في الليل من اشتياقه للكلب. هي فقط لم تدرك مدى ارتباطه بالحيوان، فبعد أن حصل على الكلب مباشرةً، كان يجب أن يتحركوا بسرعة. اتضح أن البقاء في مكان واحد لفترة طويلة كان فكرة سيئة. همست:

- ما الوجهة التالية؟

- أمستردام الأسبوع القادم، ولندن الأسبوع الذي يليه.

- أسبوعان متتاليان؟

شت عقل "سونيا" فلم تملك وقتًا كافيًا للتحضير للأمر، وقبل ذلك لم يكن هناك أكثر من رحلتين في الشهر.

- ليس لديك مشكلة، فلديك ذلك الرجل في الجمارك.

ونزع "آدم" السماعات من جيب الكرسي الذي أمامه ووضعهما في أذنه، معلنًا انتهاء المحادثة.

عاد "توماس"، ووقف "آدم" ليسمح له بالمرور. فعبر "سونيا" وجلس بمقعد النافذة. لوَّحت "سونيا" بعدها لإحدى المضيفات وطلبت منها سماعات له وغطاء لها. فكان التكييف باردًا بالنسبة لشخص يرتدي بنطالًا قصيرًا.

10



شعرت "أجلا" أنها أغمضت عينيها فقط عندما سمعت رنين تليفونها. لعنت نفسها لأنها لم تغلقه. تفقدت الوقت، كانت السادسة صباحًا تقريبًا. ظل "إنجيمار" حتى الثانية بعد منتصف الليل، وبعدها بقيت مستيقظة تفكر في عرضه، لكن لم تصل إلى نتيجة. أمسكت تليفونها وكان على شاشته رقم غريب. لا بد أنه صحفي، واحد آخر.

للحظة، أوحى لها عقلها - أو بمعنى أدق، قلبها - أنها قد تكون "سونيا"، لكن سرعان ما تلاشى هذا الأمل؛ فقد توقفت "سونيا" عن الاتصال بها منذ فترة طويلة. وبعيدًا عن هذا، فإنها لن تتصل في الصباح الباكر إلا لو هناك مشكلة طارئة. جلست "أجلا" على السرير وقلبها ينبض. ربما كانت "سونيا"، وهي في ورطة. فأجابت:

- مرحبًا؟

- "أجلا"!

كان صوت "سونيا". بدا رقيقًا وباكيًا، كأنها تنتحب.

- "سونيا"؟ أهذه أنتِ؟

لم تكن هناك إجابة. لكنها استطاعت سماع الضوضاء في الخلفية، صوت زحام وصدى صوت جرسٍ ما.

- "سونيا"، حبيبتي ما الأمر؟ أهناك خطب ما؟

وقفت "أجلا" وذهبت إلى نافذة، وكأن ذلك سيعطيها إشارة أقوى. أرادت التأكد من عدم فقد الاتصال الأول من "سونيا" منذ وقت طويل. وسمعت "سونيا" تسعل وتنتحب ثم قالت:

- لا. كل شيء على ما يرام. كنت أتساءل إن كان بإمكانك أن تأتي لأخذي من المطار. حدث خطأ ما واختفت حقائبي، ولا أملك أية نقود ولن يعطيني سائق الحافلة أي استثناء.

قاطعتها "أجلا":

- أنا قادمة يا "سونيا". أمهليني نصف ساعة. سأكون عندك.

لم تهتم بالتبريرات. يكفيها أن "سونيا" بانتظارها.

كانت مياه الدش باردة، لكنها دخلت إليه على أي حال. احتاجت فقط إلى أخذ حمام سريع لإفاقتها، وقد نجح الأمر. أحست وهي تجفف نفسها بقدر من النشاط لم تشعر به منذ فترة طويلة. قبل الأزمة المالية، كانت تبدأ أحيانًا يومها على هذا النحو، بصدمة من حمام بارد كالثلج. حينها وجب عليها الاستيقاظ في

السادسة لمتابعة عملها ولتكون قادرة على دراسة الأمور قبل فتح البنك للعمل. كان ذلك حين كانت تستمتع بالاستيقاظ صباح كل يوم.

أخرجت بعض الملابس الداخلية من الدرج. كانت قد توقفت منذ فترة طويلة عن تطبيق الملابس، فتشابكت كالمعتاد. لكنها تمكنت من العثور على قطعتين باللون نفسه تقريبًا. وفرت لها الجوارب وفرت لحظة أو اثنتين بدلًا من ارتداء البنطال الضيق. فتحت الدولاب، حيث الاختيارات محدودة أكثر؛ فكومة الملابس التي تحتاج الذهاب للتنظيف أصبحت كبيرة الآن، لكنها لم تملك الطاقة لفعل ذلك. ولم يتبقَ سوى بضع بدلات وسترات غريبة الشكل. وقبل أن تضيع الوقت في التفكير، اختارت بنطلون بدلة من "شانيل" وبلوزة حريرية ذات لون كريمي. بدا الطقم غريبًا لأخذ شخص من المطار في الصباح الباكر، لكنها لم ترد أن تبدو بمظهر سيئ في أول مرة ترى فيها "سونيا" بعد هذا الغياب الطويل.

وعقب مكالمة "سونيا" بثماني عشرة دقيقة بالضبط، كانت "أجلا" في سيارتها. اعتادت أن تستغل الإشارات المرورية لوضع كريم الأساس. كان شعرها مقبولًا وتضع عطر "سونيا" المفضل. لحسن الحظ، لم يكن هناك زحام، فمرت بسرعة في طريق "هفنر فرذر" الدائري. وعند إشارة المرور القريبة من الصالة الرياضية، استغلت وقت الانتظار لوضع اللمسات الأخيرة. وحين بعدت عن العمران واجتازت مصنع الألومينيوم، ضغطت بقدمها بقوة، لدرجة أنها عادت بظهرها فالتصق بالمقعد وكأنها على وشك الإقلاع. استجابت لها سيارتها "اللكزس" على الطريق، فقد كان جافًا، لم يتبقَ جليد عليه. فستصل إذن في وقت قصير. بمجرد أن وصلت سرعة السيارة لـ130 كم في الساعة، حوَّلت التحكم إلى مثبِّت السرعة لتستطيع رفع قدمها عن دواسة الوقود. وسندت المقود بركبتها بثبات حتى تضع المزيد من الماسكارا. لا بد أن

يفي ذلك بالغرض، ومع أن لمسة كحل لن تضر، المهم أن تسرع إلى "سونيا"، لتريها أنها مستعدة، وأنها هنا حين تحتاج إليها.

شعرت وهي تقترب من المطار بتقلص في معدتها من التوتر. ماذا عليها أن تقول؟ كيف ستحاول التقرب إليها؟ فقد افترقن بشكل سيئ في آخر مرة. قالت "سونيا" إن الأمر انتهى بينهما، لكنها الآن تتصل وتطلب مساعدتها وهي منهارة. ماذا يعني ذلك؟ هل لأنها أرادت رؤيتها؟ أم لأنها لم تجد شخصًا آخر تلجأ إليه؟

عند بوابة انتظار السيارات بالمطار، أخرجت أحمر شفاه؛ وأثناء وضعه، لاحظت أن يديها ترتعشان. وبمجرد أن وجدت "سونيا" ترتدي شورتًا ومستندة على حائط المبنى ترتجف، أوقفت السيارة.

11



بالكاد توقفت سيارة "أجلا" خارج مبنى المطار قبل أن تفتح "سونيا" الباب بعنف وتدخل. قالت وهي تضرب الباب خلفها:

- شكرًا لقدومك.

بدت كلماتها لـ"أجلا" جافة ومربكة بالنسبة لما يحدث من ظروف غريبة؛ أولًا اتصالها وهي تبكي، والآن ملابسها؛ فقد ارتدت شورتًا وتيشيرت، بينما كانت درجة الحرارة تحت الصفر.

فسألت "أجلا" في دهشة:

- هل انتظرتِ بالخارج هكذا؟

لم يكن ذلك ما أرادت قوله أولًا، لكن السؤال خرج من فمها بطريقة ما.

- لا. حاولت معرفة كم من الوقت ستستغرقين، ثم انتظرت في المرحاض حتى لا يحدق بي الناس. حين قلتِ نصف ساعة، توقعت أنها ستكون خمس وأربعين دقيقة.

سألتها "أجلا":

- وليس لديك معطف أو أي شيء؟

حدقت "سونيا" ولم تجب. ظهرت بها صلابة لم ترها "أجلا" من قبل ثم سألتها:

- أين "توماس"؟

همست "سونيا":

- مع والده.

ثم تكورت في مقعدها صامتة ترتجف. فسحبتها "أجلا" إليها وهي تقول:

- "سونيا" حبيبتي!

لم تقاوم "سونيا" وانزلقت في أحضانها، ووضعت رأسها على صدر "أجلا" حيث أصدرت أنينًا ضعيفًا. همست "أجلا" في شعر "سونيا" الأشعث:

- ما الأمر يا حبيبتي؟ ماذا حدث؟

ووضعت ذراعها حولها، تتحسس برودتها. كفت "سونيا" عن البكاء وظلت بين ذراعي "أجلا" للحظة قبل أن تعتدل وتجلس باستقامة، ثم قالت وهي تمسح وجهها:

- هيا بنا.

كانت "أجلا" على وشك الاعتراض:

- ماذا؟

فقاطعتها "سونيا":

- انطلقي!

شغلت "أجلا" محرك السيارة وانطلقت بحذر، وهي على يقين أن "سونيا" على وشك الانهيار مجددًا. استعدت لأخذها بين ذراعيها مرة أخرى، وهي تأمل أن تذرف المزيد من الدموع لتستريح. ولكن "سونيا" ظلت ثابتة تحدق مجددًا، وقد عادت الصلابة إلى وجهها.

خيم الصمت عليهما في السيارة حتى انعطفت إلى طريق "ريكيانيسبراوت" المؤدّي إلى المدينة. مالت "سونيا" إلى الأمام ورفعت درجة المدفئة ثم شغلت كرسي التدفئة، ونظرتها كما هي، ثم قالت أخيرًا:

- أريد أن أطلب منك شيئًا واحدًا.

فقالت "أجلا" التي ارتاحت حين تحدثت:

- أي شيء تريدينه.

- فقط لا تسأليني عما حدث، ولا عن عودتي فجأة إلى آيسلندا بهذه الملابس وكل تلك الأمور. من فضلك.

وافقت "أجلا" قائلة:

- إذا كان هذا ما تريدينه، فلن أطرح أي أسئلة.

ابتسمت لـ"سونيا" ثم أبقت عينيها على الطريق أمامها، وسيطرت عليها الخيالات. لا بد أن يكون الأمر بسبب امرأة أخرى. هذا ما يمنع "سونيا" من شرح ما حدث. من المؤكد أنها كانت على علاقة بامرأة، ثم طردتها وتركتها بشورت وتيشيرت في الصقيع خارج مطار "كيفلافيك". بالتأكيد حدث شيء كهذا. شعرت "أجلا" بشيء يرتفع في حلقها عند تخيلها "سونيا" مع شخص آخر. وعضت على لسانها لتفادي سيل الأسئلة والاتهامات التي أرادت إطلاقها؛ فقد اشترطت "سونيا" عليها ألا تسأل، وإن كان هذا هو المطلوب لتتجنب غضبها، فمن الأفضل أن تفعل ما قيل لها.

شعرت أن "سونيا" ترتجف بجانبها، فرفعت حرارة المدفأة أكثر، ثم قالت وهي تضع يدها على فخذ "سونيا" وكأنها تتفقد مدى برودتها:

- أما زلتِ ترتجفين؟

تفاجأت "أجلا" حين أحست بيد "سونيا" فوق يدها. كانت كفها باردة كالجليد. لكن بدأت "أجلا" تشعر بالحرارة ترتفع من ساق "سونيا"، وانطلقت الشرارة التي دائمًا ما تشتعل عند تلامسهما، وأرسلت بعض الشحنات إلى قلبها.

أبطأت سرعتها للثمانين، وثبّتتها عن طريق القيادة الأوتوماتيكية، وسارت ببطء قدر الإمكان إلى المدينة ليدوم هذا لأطول فترة ممكنة.

12



- أخبريني عن الأمر.

قالت جارة "سونيا" وهي تتفقدها من أعلى إلى أسفل القدمين، ثم أكملت وهي تفتش في أحد الأدراج حتى أخرجت مجموعة من المفاتيح.

- تضيع شركات الطيران تلك دائمًا أمتعة الناس. أيتها المسكينة، أكان عليك السفر إلى المدينة بهذه الملابس في ظل الموجة الباردة؟

أجابت "سونيا":

- حصلت على توصيلة. في سيارة دافئة.

فقالت الجارة وهي ممسكة بالمفاتيح ومترددة، وكأنها تريد إطالة اللحظة:

- الحمد للرب على ذلك.

فعلت "أجلا" الشيء نفسه في السيارة بالخارج. حاولت التمسك بها على أمل الحصول على تفسيرات.

مدت "سونيا" يدها وانتزعت المفاتيح من يد جارتها وابتسمت ثم استدارت. شعرت بعيني المرأة على رقبتها وكادت أن تسمع الأسئلة التي تدور داخل رأسها. ربما لم يكن فقدان الأمتعة تفسيرًا كافيًا لظهورها المفاجئ بنصف ملابسها.

سرعان ما اختفت مخاوفها بشأن رأي جارتها بمجرد أن فتحت باب الشقة واصطدمت بالرائحة. لقد غادروا باستعجال منذ شهرين لدرجة أنها لم تقم بالتنظيف أولًا، لم تقم حتى بإخراج القمامة. حبست أنفاسها، وسارت عبر الشقة وفتحت أبواب الشرفة لتجديد الهواء في المكان. وأخذت أنفاسًا عميقة من الهواء الخارجي، ثم أسرعت إلى المطبخ، وأخذت كيس القمامة من الخزانة أسفل الحوض وربطته بإحكام دون أن تفكر عما كان بداخله قد جمع تلك الطبقة الثقيلة من العفن. حينما يذهب الناس لقضاء عطلة، عطلة حقيقية، يفكرون في أشياء كهذه.. يفكرون في الذي سيعودون عليه. لكنها لم تفكر حقًا في العودة. كانت هذه الخطة "ج"، أو حتى "د" بالنسبة لها.

في الواقع، لم تكن الخطة "د" خطة أبدًا، بل كانت مجرد هزيمة مخزية؛ أو هبوطًا اضطراريًا إلى الواقع القديم، دون مدخرات، إلى جانب قمامة متعفنة في انتظارها.

وجدت علبة من عيدان البخور في درج المطبخ، فأشعلت واحدًا وأخذته معها إلى المرحاض، وفتحت الماء الساخن فاندفع الماء في حوض الاستحمام. أخفى البخور بعضًا من رائحة الكبريت في الماء لكنه لم يخفها تمامًا. ستعتاد تلك الرائحة التي تكونت بفعل الحرارة في باطن أرض الجزيرة خلال يومين. الغريب أنها بعد الابتعاد فترة قصيرة فقط استطاعت التعرف عليها مرة أخرى، ثم عدم ملاحظتها بالسرعة نفسها حين عادت إلى المنزل. سالت دموعها بمجرد أن أصبحت داخل الماء الساخن. تذكرت استياء "توماس" حين أدرك أنه سيرحل مع والده، وابتسامة الثأر على وجه "آدم" حين تركها وأخبرها أن تشق طريقها إلى المدينة، وشعورها باليأس. كل ذلك ينهال عليها الآن بلا رحمة. لقد عادت إلى الصفر، إلى الخطوة الأولى. لكنها الآن أسوأ من ذي قبل؛ فلم تكن هناك

فرصة للتفاوض مع "آدم" للوصول إلى "توماس". في الواقع ستكون محظوظة إن رأته. بدون "توماس"، ستصير الحياة فارغة بشكل لا يطاق.

إلى جانب كل هذا، من المتوقع أن تسافر إلى أمستردام في الأسبوع القادم لإحضار شحنة كبيرة. وهكذا ستسير الأمور خلال الأسابيع والأشهر المقبلة، تمامًا كما كانت خلال الأشهر التي سبقت هروبها.

غاصت بكامل جسدها داخل الماء حتى غمرها تمامًا. وحبست أنفاسها إلى أن شعرت أن رئتيها على وشك الانفجار، ثم أطلقت زفيرًا أرسل فقاعات من الهواء إلى سطح الماء. ظلت لحظة في صمت تام. عقلها بين الوعي والخيال. وحين جذبت نفسها خارجًا من الماء وملأت رئتيها مرة أخرى، كانت لديها خطة جديدة، وإستراتيجية جديدة للهروب من المصيدة.





سأل "توماس" وعيناه تتحولان في ارتباك من "سبونج" إلى "هوني ثور" ووالده وهم يتمايلون بالضحك:

- لماذا يفعل ذلك؟

ظل "توماس" يلعب مع كلبه "تيدي" منذ أن وصلا إلى المنزل من المطار ذلك الصباح. كان الكلب مطيعًا وسعيدًا لرؤيته، وذيله يهتز وهو يتشارك معه الإفطار الذي أعدَّه والده.

رنَّ جرس الباب. وما أن دخل "ريكي" - أو "سبونج" - و"هوني ثور"، جُنَّ جنون الكلب. فأخذ يقفز بنشاط حول "سبونج"، ليس ببهجة كما فعل حين عاد "توماس" إلى المنزل، بل تشمَّم "سبونج"، ودفع أنفه داخل ملابسه ثم وقف يحدق فيه. وأحيانًا ينبح ويخدش وجهه. وبغض النظر عن محاولات "توماس" لإدخاله إلى غرفة نومه، بدا الكلب مسحورًا. لم يكن الأمر مضحكًا.

تعجب "توماس" من الأمر، رغم أن والده وصديقيه ضحكوا كثيرًا واعتبروا أن ما حدث شيء طريف جدًا.

قال "توماس":

- ربما هو مريض.

وخيَّمت سحابة من القلق على قلبه.

فردَّ والده وهو يمسح دمعة من طرف عينه:

- إنه ليس مريضًا.

فقال "توماس" وهو يحاول سحب الكلب بعيدًا عن "سبونج":

- علام تضحك؟ الأمر ليس مضحكًا.

- حسنًا يا "توماس". كنت أتساءل لم لا نستطيع أن نسميه "متلصص الأبواب"؟

وانفجروا ضحكًا مجددًا. وضحك "سبونج" لدرجة أنه اضطر إلى الإمساك بأدراج المطبخ لكيلا يقع على الأرض. غضب "توماس" بشدة وقال:

- إنه لا يدعى "متلصص الأبواب". أنت هكذا تتحدث عن أحد الأقزام الآيسلندية لعيد الميلاد.

قال "سبونج" وهو ما زال يضحك:

- أو يمكننا أن نطلق عليه "المؤشر".

أضاف "موني ثور":

- أو الفضولي.

- أجل أو "شيرلوك".

فصرخ "توماس":

- كفوا عن هذا! إنه يدعى "تيدي" وسآخذه معي إلى أمي حين أذهب لأعيش معها، لأنكم تواصلون السخرية منه.

توقفت فجأة ضحكات والده. أخرج الكرة التي قال إن الكلب يمكنه اللعب بها في المناسبات الخاصة فقط، وربت على ساقه ورماها للكلب، فأمسك "تيدي" الكرة ونسي أمر "سبونج" تمامًا. وقال والده:

- خذه إلى غرفتك ليلعب بالكرة. الكلب يعيش هنا، ولن يذهب للعيش مع والدتك.

علَّق "سبونج" بجدية:

- لا. هذه ليست فكرة جيدة.

ثم لم يستطع كتمان الضحك أكثر من ذلك. استطاع "توماس" سماع ضحكاتهم من المطبخ وهو يغلق خلفه باب غرفته ويرمي الكرة لـ"تيدي".



14



خرجت "أجلا" من سيارتها أمام منزلها وهي متحمسة. كانت الشمس ظاهرة وسط السحب، وبما أنه كان وقت الشروق، شعرت أن هذا فأل حسن.

لم تتعود أن تفكر في مثل هذه الأشياء؛ فهي لا تؤمن بالخرافات، على عكس "سونيا" التي ترى أن أي حدث يتم في أي مكان هو دلالة لشيء ما. لكن "أجلا" كانت سعيدة، وتناغمت سعادتها مع الشمس التي بذلت جهدًا في التمسك بالسماء. بدا الآن عرض "إنجيمار" في الليلة السابقة أقل حماقة مما كان وقتها. يمكنه حتى أن يوفر لها طريقة للخروج من مأزقها. بدا الأمر وكأن شروق الشمس و"سونيا" أطلقا شرارة من الأمل داخلها. انتزعت الصحف من صندوق البريد، وأخذتها معها إلى الطابق العلوي، ثم ألقتها على الطاولة حتى تحضر بعض القهوة.

بينما كانت "سونيا" واضحة للغاية حين افترقتا ولم تتحدث في الأمر مطلقًا، ها هي قد عادت ولجأت إلى "أجلا" طلبًا للمساعدة، على الأقل هذا يعني شيئًا. ولم تبعد يد "أجلا" عن ساقها، بل أمسكتها وربتت عليها بهدوء. وهذا يؤكد شيئًا ما. إن كل ذلك دار في عقلها مرات عديدة طوال سنوات. فمنذ أن تلامستا أول مرة، أرادت "سونيا" أكثر من أي شيء رغبت به من قبل، لكنها في الوقت نفسه أرادت حدوث أي شيء ينهي علاقتهما قبل أن يتمكن أي شخص من معرفة الأمر. وحين انتهى - برحيل "سونيا" - شعرت بالراحة الممتزجة

بالألم؛ معاناة أعظم مما تخيلت. الآن، رغم كل ما حدث، تأكدت مما تريد؛ حتى لو استمر شعورها بالخزي من رغبتها.

خلعت سترتها وعلقتها على كرسي وفتحت أول جريدة.. فرأت صورة لها وهي مكبلة بالأصفاد ومقادة إلى مكتب النائب العام. يبدو أن الصحف تجد متعة في استخدام تلك الصورة مرارًا وتكرارًا كلما سنحت الفرصة، وكأنها الصورة الوحيدة لها. كانت صور "يوهان" و"آدم" أفضل بكثير. بدا "يوهان" وكأنه يسير على طول الشارع، محترمًا ويرتدي معطفًا وربطة عنق عليها شعار البنك. لا بد أنها صورة قديمة، فلديه فيها شعر أكثر من الآن، في حين صورة "آدم" كانت من جواز سفره. تجنبت "أجلا" النظر إليها، عازمة ألا تدع صورة "آدم"، التي تشعرها بالذنب دائمًا، تفسد فرحة رؤية "سونيا" مرة أخرى.

على الرغم من معرفتها جيدًا أن زواج "سونيا" و"آدم" قد انتهى بمجرد أن ظهرت هي على الساحة، فإنه لا شك أنها هي من كانت سببًا في خراب البيت. وعلى الرغم من أن "سونيا" أخبرتها مرارًا أنها مخطئة، فإنه كان لـ"آدم" رأي آخر، ففي المرات التي تقابلتا فيها بعد الأزمة المالية وانهيار البنك، وبعد أن رآهما "آدم" في السرير معًا، لم تفشل أبدًا في رؤية نظرة من الاتهام الممتزجة بالغضب في عينيه.

قامت "أجلا" بتصفح مقالة قضية التلاعب في السوق المرفوعة ضدها هي و"يوهان" و"دافيث"، أحد موظفي "آدم"، وسخرت منها فقد أخذ الصحفيون تقريرًا عن اجتماع ما في البنك، وجدوه في ملفات النائب العام، وقاموا بتقديمه على أنه أهم مستند. كأن هذا هو نقطة التحول عندما تم الشروع في المؤامرة، وهي تحويل مبالغ مالية كبيرة إلى جميع أنحاء العالم والعودة بها مرة أخرى لشراء أسهم في البنك نفسه لرفع سعر أسهمه.

فكرت كم كانوا يجهلون أشياء، وكيف أنهم متحمسون على أمر تافه للغاية. فقد كانت مسألة صغيرة مقارنة بالصورة العامة. لم يكن من السهل تخيل ما ستكون عليه العناوين الرئيسية إذا علمت وسائل الإعلام أي شيء عن حقيقة الأمر.

15



تذكرت "أجلا" ما دار في الاجتماع بوضوح، وهو ما نقلته الصحيفة بالضبط. أخرج "يوهان" الشمبانيا في نهاية الاجتماع، وأمضى "آدم" معظم الوقت يضحك بهستيريا، فلم يكن في وعيه. بالكاد استطاع الجلوس. ومع ذلك، كان باقي المقال عبارة عن هراء. فالأموال التي أُدينوا بتصريفها كانت بالفعل في رحلتها حول العالم، لكن لم يكن هذا ما ناقشوه.

أمر "يوهان":

- أحضر الأقزام.

وتوجه "دافيث" فورًا لمكتبه ثم عاد بمفكرة ما.

أشعل "يوهان" سيجارة ونفخ سحابة من الدخان بينما يقول:

- سنقسمها بينهم.

بدأ "دافيث" بقراءة أسماء الشركات التي يجب عليها مقاسمة أعباء معظم ديون البنك بصوت مرتفع. سموا تلك الشركات "الأقزام"، واشتُقت أسماؤهم من أساطير الأقزام الإسكندنافية.

- "دفالين"، "بوفر"، "بومبر"، "نوري"، "أونار"، "ميوثفيتنبر"، "نالي"، "فيلي"، "هانار"، "آوستري"، فيستري".

قاطعه "يوهان":

- لا. دعك من "فيستري". سأحتفظ بها لنفسي، فأنا من الغرب.

ضحك "آدم" بصوت مرتفع، وضحك معه البقية مجاملة.

وأكمل "دافيث":

- "دروبنير"، "هور"، "هليفانج"، "جلوين"، "ينجفي"، "إيكينسكيالدي"، "فيالار"، "فروستي"، "فين"، "لوفار".

علَّق "يوهان" بارتياح وهو يطفئ سيجارته في كوب قهوته:

- ممتاز.

تعلم "أجلا" أنه يجد متعة خاصة في التدخين أثناء الاجتماعات، ربما لأن التدخين في المبنى كان ممنوعًا تمامًا، فلم يجرؤ أحد على الدخول بالتبغ، ناهيك عن إشعاله.

- هناك طريقتان لتسوية النقود يا أولادي. إما زيادة الربح وإما خفض الدين. هذه هي أساسيات إدارة الحسابات المنزلية.

بعد عبارة "إدارة الحسابات المنزلية"، نظر بخبث إلى "أجلا"، ثم ضحك البقية. لا يُعقَد اجتماع عادةً دون السخرية منها لو لمرة واحدة على الأقل. لكنها لم تهتم. فقد احتاجوا إليها لتعزيز ثقتهم بنفسهم، لإقناع أنفسهم بأنهم الأفضل والأذكى من أي شخص آخر، ولم يعنها أنها استُخدمت كمزحة موسمية. برع "يوهان" في التركيز على نقاط ضعفهم. كانوا شبابًا جشعين،

ويستخدمون الكثير من كولونيا ما بعد الحلاقة لدرجة أنه كان من الصعب التنفس أحيانًا أثناء الاجتماعات. وبدون شك، قد يضحي كل واحد منهم بحياته من أجل "يوهان".

همس لها "يوهان" وهو ينزع غطاء الفلين من زجاجة الشمبانيا الأولى:

- ستعملين مع قسم القروض لتحويل كل شيء. واحرصي على سهولة سير الأمور، هلّا فعلتِ؟

وصبَّ بضع كؤوس ووزعها عليهم. ونظر إلى الجميع مبتسمًا ثم صاح:

- في صحتكم. نخب توقعات البنك الإيجابية في التقرير الربع سنوي القادم.

16



لم تسترح "سونيا" بعد أن وضعت خطة في ذهنها حتى بدأت العمل عليها. أخرجت القمامة، وأفرغت سلة الغسيل في الغسالة، ثم فتحت جميع النوافذ وأشعلت المزيد من أعواد البخور حتى تحسنت رائحة الشقة.

بحثت في خزانة ملابسها عن شيء ترتديه. كانت معظم ملابسها اليومية كالجينز والقمصان في المنزل المتنقل بـ"فلوريدا". لكنها وجدت ثلاثة من أفخم الأطقم في الخزانة التي ارتدتها في رحلاتها. هي في الحقيقة أزياء للتخفي. أغلفة خارجية تُظهر شخصية مختلفة تمامًا عن نفسها الحقيقية؛ امرأة لم تنهِ

دراستها الجامعية وهامت وراء الزواج والاستقرار دون تفكير؛ تبدو كمديرة في شركة كبيرة. امرأة متعلمة وعازمة على المضي في الأعمال التجارية. امرأة ذات رؤية، عرفت ما تريد. حتى أن الأمر تطور بها إلى حد إنشاء شركة وهمية، وهي "إس جي سوفت وير" SG Software، كغطاء لها. وقد أوجدت مبرِّرات لرحلاتها المتكررة في الخارج، غير كونها وسيلة لإدخال أرباحها إلى البلاد.

اختارت بنطالًا أسود وأخذت سترة كانت جزءًا من بدلة رمادية وارتدتها فوق تيشيرت أسود. وضعت قليلًا من البودرة على خديها وبعض المكياج حول عينيها، ثم لفَّت وشاحًا رماديًا حول رقبتها ووضعت الأقراط الفضية التي أهدتها "أجلا" إياها منذ وقت طويل. بدت الصورة التي نظرت إليها من المرآة مقنعة وأنيقة، ومتحفِّظة أيضًا.

توقفت عند محطة وقود على طريق "بوستاذافيجار" المقابلة لوادي "فوسفوجور" الذي عُرِف عادةً كأحد أكثر المناطق خضرةً في ريكيافيك. لكنه أصبح الآن عاريًا مع تساقط أوراق الأشجار التي لا تزال في سبات شتوي عميق. وللحظة، عاد عقلها إلى "فلوريدا". إلى المساحات الخضراء المستمرة طوال العام، ولم يستغرق إقامتها سوى بضعة أسابيع حتى بدأت تعتبرها من المسلَّمات.

دخلت المحطة واشترت شريحتي تليفون دفع فوري. أدخلت إحداهما إلى تليفونها المحمول القديم والأخرى في التليفون الذي اشترته لـ"توماس"، لكن "آدم" أعاده لها وقال إنه كان أصغر من أن يقتنيه. ستستخدم تلك الأرقام في أي شيء يتعلق بجلب البضائع. وبعد فترة تتخلص منها وتستبدلها بأرقام أخرى مجهولة لا يمكن تعقبها. هكذا تم الأمر. كان الكسل وعدم الاهتمام بهذه التفاصيل هو ما أدى إلى القبض على بعض الأشخاص. لكنها لم تكن كذلك، لم تهمل التفاصيل.

بينما اقتربت منه، بدا منزل "ثورجير" مختلفًا تمامًا عن آخر مرة تواجدت فيها هنا. كانت حفلة عيد الميلاد في ذلك الوقت على أشدها، وفي الخارج حيوان الرّنة المزين بالأضواء. أما الآن، فقد غطت الثلوج العشب، وعم هدوء في المنطقة بأكملها، فكان سكان المنطقة يعملون جميعًا في هذا الوقت من بعد الظهر.

لم تظهر على المنزل أي علامات للحياة بداخله. لكن بعد أن قرعت الجرس ثلاث مرات دون استجابة وكانت على وشك تجربة مقبض الباب، فُتح الباب وأطل "ثورجير". كان يرتدي خفًين وروب وشعره أشعث. بدا وكأنه رجل عجوز، وانتاب "سونيا" شعور مفاجئ بأن هذه الملابس تناسب تجاعيد وجهه أكثر من البدلات التي كان يرتديها عادة.

نظر إليها من رأسها إلى أسفل قدميها ثم قال دون اهتمام:

- أنتِ. ماذا تريدين؟

فأجابته "سونيا":

- أحمل لك عرضًا.

تنحى "ثورجير" جانبًا دون أن يرد، موضحًا أنها تستطيع الدخول فتبعته على طول الممر، مرورًا بالمطبخ حتى غرفة المعيشة. كانت ستائر النافذة الطويلة مغلقة. فكانت الغرفة مظلمة بالكامل إلا إضاءة خافتة من مصباح واحد. قالت:

- أنت تجلس هنا في الظلام.

لم يكن سؤالًا، بل حقيقة واجهت بها الشخصية البائسة التي تحول إليها.

- بلى. لقد عزلوني من العمل معهم منذ اعتقالي. لم يتحدثوا معي منذ أن خرجت من السجن. وقد عينوا محاميًا آخر بينما أقضي وقتي هنا وكأنني ما زلت مُدانًا. وعاد ذلك الثرثار اللعين "ريكي سبونج" للعمل معهم مرة أخرى.

رفعت "سونيا" حاجبها وهي تبحث حولها عن مكان للجلوس:

- هممم.

ألقى "ثورجير" كومة من الملابس من على الأريكة الجلدية وأشار لها بالجلوس.

ثم سألته كما لو كانت تحاول إجراء محادثة عادية مع فنجان قهوة:

- لماذا يُطلق على "ريكي" "سبونج"؟

- تقصدين أنكِ لا تعرفين؟

- لا. اكتشفت مؤخرًا أنهم يدعونه "سبونج".

- إذًا بالتأكيد لست أنا الشخص المناسب لشرح الأمر.

ثم تهكم "ثورجير" وهو يجلس على كرسي بذراعين، فوق كومة ملابس وصندوق البيتزا الفارغ.

فقالت "سونيا":

- حسنًا إذن.

ومالت إلى الأمام للتأكد من أن أعينهما متقابلة. لم يكن الأمر سهلًا، حيث تحولت عيناه باستمرار في الغرفة وإلى جانبه كما لو كان يراقب الفراشات.

مع زوال مفعول الكوكايين، فكرت "سونيا" وقررت أن ما تريده لن يضر. على الأقل سيكون أفضل من أن يغتر بنفسه. فقالت وهي تحاول بشدة أن تجعل صوتها يبدو ودودًا وهي تتحدث إلى الرجل الذي كرهته بشدة:

- يمكننا العمل معًا. نحن الاثنين.

لطالما كان حليف "آدم". وقاما بخداعها سابقًا معًا. لذلك لم يكن لديها شك في أن جزءًا كبيرًا من البؤس الذي عاشته مؤخرًا يمكن أن يكون "ثورجير" السبب فيه. لكن الآن، عليها أن تبدل الكراهية بالسياسة العملية.

- لا أستطيعِ التحرر من "آدم".

قالت ذلك وهي تدرك جيدًا مخاطرة كشف أفكارها لـ"ثورجير".

- الحل الوحيد هو محاولة السيطرة عليه. ولكي يحدث ذلك، يجب أن أكون حلقة أكثر أهمية في السلسلة.

للحظة، توقفت عينا "ثورجير" الصغيرتان الضيقتان عن الحركة، وحدق في نقطة فوق رأسها وهو يفكر. ثم قال وهو ينظر إلى وجهها ويبتسم:

- تريدين الإطاحة بالمنافسة.

أومأت "سونيا" برأسها، ثم ضحك وقال:

- اللعنة، لكنكِ جزء من العمل. لا يملك "آدم" فكرة عن نوع الساحرة اللعينة التي يتعامل معها.

ثم صمت بضع ثوانٍ للحسبة وأكمل:

- موافق مقابل الربع، ربع الكمية.

قالت "سونيا" وقد حددت في عقلها موقفها التفاوضي بالفعل:

- الربع كثير جدًا. لنقل العُشر. وإن كنا أذكياء، قد نتمكن من الإطاحة بمحاميهم الجديد لتستعيد وظيفتك القديمة.

وقف "ثورجير" وبدأ يتحرك ذهابًا وإيابًا أمامها. قرأت "سونيا" في وجهه أنه كان يفكر في خياراته. إذا رفض، قد تصبح في مأزق بعد أن كشفت له خططها. حين توقف، رد بنبرة صوت متفائلة:

- زيدي قليلًا على حصتي ثم نتحدث.

لم تتردد "سونيا" وقالت:

- اتفقنا.

لن تكون معضلة إذا تركته يأخذ كمية صغيرة من الكوكايين؛ فهي دائمًا ما تخفف كل شحنة على أية حال.

ضحك "ثورجير" وهو يمد يده إليها للتصافح معلنًا موافقته على الصفقة وقال:

- تجيد هذه العاهرة المساومة.

لكنها وقفت دون أن تعير يده أي اهتمام وقالت بحدة:

- اسمي "سونيا". وليس "العاهرة".

فبسط يديه جانبًا وقال:

- حسنًا، حسنًا.

وضحك وهو يتبعها إلى الباب. استدارت، ثم نظرت في عينيه وانتظرت. يبدو أنه نسي ما قد اتفقوا عليه قبل لحظة. "أزمة في الكوكايين"! فكرت "سونيا" ثم أشارت إلى طاولة التليفون بالقرب من الباب، حيث كانت هناك مفكرة.

- أجل، بالطبع.

فتح درج الطاولة وبحث فيه عن شيء ليكتب به. فوجد أخيرًا قلمًا ودوَّنَ اسمًا، ثم مزق الورقة من الدفتر وسلمها لها.

- سأعطيك الاسم الآخر عندما تثبت صحة كلمتك.

قالت في دهشة:

- الآخر؟ تقصد أن هناك اثنين آخرين فقط يقومان بالاستيراد؟

قال "ثورجير" وهو يضحك:

- أجل. ما مقدار الكوكايين الذي تعتقدين أنه مطلوب في آيسلندا؟

قالت "سونيا" وهي لا تزال في حالة صدمة مفاجئة:

- الكثير. اعتقدت أن هناك طلبًا كثيرًا.

- قليل من كبار العملاء يتخطون كيلو واحدًا أو أكثر سنويًا. لكن معظمهم لا يتجاوز بضعة جرامات، لذلك ليست هناك حاجة لكميات كبيرة.

أخذت "سونيا" الورقة من يده واستدارت. بعد رائحة الركود الكريهة داخل المنزل، كان الهواء النقي بالخارج يشبه مشروبًا منعشًا. أخذت عدة أنفاس عميقة وشعرت أن جسدها يرتاح قليلًا بينما يتدفق الأكسجين عبر عروقها.

يبدو أن تنفيذ خطتها سيكون أسهل مما توقَّعت.

17



تنهد "براجي" فرحًا وهو يفتح عينيه. لقد عادت "فالديس" إلى المنزل. شعر بوجودها مع أنها لم تنم بجانبه، ولكن في سرير المستشفى المجَهَّز بغرفة المعيشة؛ رائحة المرهم الذي تضعه "إيمي" لها نفاذة عبر المنزل. بصوت منخفض في الراديو، تُعزف موسيقى "الفالس". استطاع من خلالها سماع صوت "إيمي" غير الواضح وهي تتحدث إلى "فالديس" بمزيج من الإنجليزية والآيسلندية بينما تميل إليها..

كان هذا هو اليوم الرابع الذي تقضيه في المنزل. خلال هذه الأيام، زاد ارتياحه بشكل كبير، فهو يخطط لإعادتها إلى المنزل منذ فترة طويلة. المدهش بالنسبة له أن إخراج مسن من دار رعاية كان من المستحيلات تقريبًا، كما هو في البداية أيضًا من الصعب العثور على مكان له في دار الرعاية. وقد نجحت خطته كما رسمها تمامًا.

ولكن على الرغم من ذلك، أصبحت الميزانية مشكلة منذ اختفاء "سونيا". لكنه كان واثقًا من ظهورها مرة أخرى. فالآيسلنديون تربطهم صلة قوية بوطنهم. بالإضافة إلى ذلك، كانت نوعًا فريدًا بأعصاب من حديد، ونهجًا عمليًا استغرق وقتًا طويلًا للتعرف على أساليبه. شخص مثلها له قيمة كبيرة عند الذي يحركها. لن يسمحوا لها بالابتعاد لفترة طويلة. فكر أنه من العار تركها؛ فقد تعاطف معها. كان واضحًا له أنها تتصرف بالإكراه.

ارتدى "براجي" الرداء المنزلي فوق المنامة وذهب إلى غرفة المعيشة. جلست "فالديس" على السرير و"إيمي" أمامها تطلي لها أظافر قدميها، فابتسم، فذلك مثلما أراد أن تكون أيامها الأخيرة على الأرض، آمنة وفي رعاية الأشخاص الذين يملكون العطف والتفهم. القليل من التدليل لن يسبب أي ضرر أيضًا، فقد دلّلتهم "فالديس" هو والأولاد طوال تلك السنوات.

قال وهو يضع قبلة على رأس "فالديس":

- صباح الخير.

كانت قد توقفت عن الكلام تمامًا منذ وقت ليس ببعيد، لكنها ابتسمت قليلًا وأشارت إلى "إيمي" وهي تجلس أمامها. قال "براجي":

- أعرف أن "إيمي" تعتني بكِ جيدًا.

نظرت "إيمي" إلى الأعلى واتسعت ابتسامة "فالديس"، وهذا أفضل ما يمكن أن يحصل عليه. كانت حلوة كما تخيلها. في المطبخ، حضّر بعض القهوة وألقى شريحتين من الخبز في محمصة الخبز، ثم عاد إلى غرفة النوم لتفقد زي العمل الرسمي. يعمل في وردية المساء الآن، وصار صباحه مريحًا. قبل أن تعود "فالديس" إلى المنزل، كان يقضي كل صباح على قدميه، يغسل السيارة أو ينشغل بتصليح شيء ما. لكنه الآن يستمتع بوجودها في المنزل، وبالقدرة على الاسترخاء. هذا ما تفعله "فالديس" دائمًا، تساعده على الاسترخاء.

دق جرس الباب وخرج إلى الصالة ليفتح. كانت مفاجأة كبيرة بعد أن كان يفكر فيها للتو، ويتساءل متى قد تظهر مرة أخرى. رأى "سونيا" تقف في الخارج. قالت بابتسامة:

- مرحبًا، "براجي".

نظر إليها من أعلى لأسفل للحظة، مأخوذًا بجمال ملابسها، ثم رد التحية، وتنحى جانبًا وأومأ لها بالدخول. أغلق باب غرفة المعيشة، حيث كانتا "فالديس" و"إيمي" تجلسان، وأشار إلى "سونيا" أن تذهب إلى المطبخ.

جلست على طاولة المطبخ دون أن تتفوه بكلمة، بينما كان بالصمت نفسه، يسكب كوبًا من القهوة ويضعه أمامها مع علبة حليب. صبَّت القليل منه على قهوتها وارتشفت منها، ثم تنحنحت وقالت وهي تنظر إليه بهدوء:

- أحتاج جدول دوامك للشهر المقبل.

فأومأ برأسه متفهمًا. أخذ النسخة المطبوعة التي كانت معلقة على باب الثلاجة وأعطاها إياها دون أن يتردد لحظة. رغم أن ذلك يعني خيانة للقيم التي كان يعتز بها طوال حياته المهنية في مجال الجمارك. لكن هناك شيئًا آخر كان عزيزًا عليه: الوعود التي قطعها لـ"فالديس" ولنفسه حين تزوجا، بأنه سوف يعتني بها في المرض والصحة.

تفقدت "سونيا" الأوقات وأومأت إلى نفسها، وطوتها ووضعتها في حقيبتها. ثم أخرجت يدها من الحقيبة وهي تحمل تليفونًا أعطته إياه.

- سأرسل قلبًا إذا كان كل شيء على ما يرام، وعلامة تعجب إذا حدث شيء ما ولا يمكنني القدوم. هكذا ستعرف ما إذا كنت قادمة أم لا.

- سأعرف ذلك على أية حال من قائمة الركاب التي يرسلها مكتب التحليلات.

لكنها هزت رأسها بالنفي وقالت:

- أحيانًا أقوم بالإلغاء في آخر لحظة. إذا أخبرني حدسي بأن شيئًا ما ليس على ما يرام.

وافقها "براجي" على ذلك قائلًا:

- شيء حكيم جدًا.

فاجأه هدوءه، فعلى الرغم من أنه كان على وشك البدء في طريق إجرامي، لم يبدُ الأمر كذلك. وقال:

- سأفعل الشيء نفسه وأرسل علامة تعجب إذا وجب عليكِ الانسحاب. هذا إذا تم إحضار الكلاب البوليسية بشكل غير متوقع أو إذا توصل مكتب التحليلات إلى أي شيء مريب.

وتذكر فجأة الخبز الذي وضعه في محمصة الخبز. سألها:

- أترغبين ببعض الخبز؟

- نعم من فضلك، سيكون ذلك لطيفًا.

جلست في صمت وهو يدهن الخبز المحمص بالزبدة ويقطع معه شرائح من الجبن. حينها، أعادته أفكاره إلى حين كان أولاده صغارًا، فقد فعل الشيء نفسه لهم. حضر لهم الإفطار وجلسوا حول طاولة المطبخ يمضغون الأكل لبعض الوقت دون التحدث. قالت وهي تبتلع آخر قطعة خبز:

- هناك شيء آخر سيساعدني أن أتخلص من المنافسة. إنه شخص آخر يجلب البضائع للأشخاص أنفسهم. وما يفيدني يفيدك.

- هل لديكِ اسم؟

- أجل لديّ.

أخذت قصاصة من حقيبتها وأعطتها له. قرأها، وحفر اسم "أكسل جونسون" في ذاكرته. ولف الورقة وألقى بها في حوض المطبخ وقال:

- سأرى من هو.

ووقف على قدميه. قالت:

- الشروط كما كانت من قبل. تحصل على ما تريد.

ضمن "براجي" الاتفاق، فهو يعلم أنه يمكنه الوثوق بها، منذ اللحظة التي عاد فيها إلى المنزل للعثور على الظرف الذي تركته له في صندوق بريده، مغلف ومحشو بالنقود ومعه اعتذار مكتوب بخط اليد، ثم أخبرها:

- لقد عادت زوجتي إلى المنزل. ساءت حالتها في ألزهايمر. أريدها أن تكون هنا معي الوقت المتبقي لها.

نظرت في عينيه وابتسمت بسرعة وقالت:

- هذا جميل. أمر رائع أن تحب شخصًا لهذه الدرجة.

18



قال محامي الدفاع "إلفار" وهو يبتسم بسعادة:

- تبدين مبتهجة.

فابتسمت له "أجلا".

عرفت جيدًا ما كان يدور في ذهنه. فهي بعيدة تمامًا عن السعادة في الآونة الأخيرة. وقد حاول عدة مرات أن يخرجها من تلك الحالة بنبرة ودودة، غير مألوفة من شاب مثله، لكنها تناسبه بشكل مدهش. ومع ذلك لم ينجح. ظلت متمسكة بالزجاجة والمسحوق المخدر، وتركت كلماته تغمرها دون أي اهتمام. وبعد تفكير في الأمر، وَضَحَ أنه تساوره مخاوف من فكرة الدفاع عنها. قالت:

- شكرًا لك. أشعر أنني أفضل بكثير. كل ما فعلته يبدو جيدًا. ويمكنك الاستعانة بجميع المساعدين الذين نحتاجهم للاستمرار.

أومأ "إلفار" وقال:

- لقد أحضرت محاسبًا لمراجعة الأمور معي، وسيكون من الأفضل أن أستعين بشخص آخر للبحث في قضية تعويض البنك.

ثم سقطت يد "إلفار" على كومة المستندات على مكتبه لترى "أجلا" كمية الأوراق التي يجب فحصها للتحضير للقضية، فقالت:

- لا تقلق كثيرًا بشأن الأمر. لا تحتاج القضية كل هذا الاهتمام. فسيتم رفضها من محكمة المقاطعة.

قال "إلفار" وحدق بها بارتياب:

- ماذا؟

فطمأنته "أجلا":

- هذا صحيح. ضع كل جهدك في دفاعي؛ فالمطالبة بالتعويضات لا تهم.

لم تجد طريقة لشرح الأمر بتفاصيل أكثر. هي نفسها لم يكن لديها فكرة كيف سيقوم "يوهان"، الرئيس التنفيذي السابق للبنك، بإسقاط القضية. لكنه قد وعدها بذلك، وافترضت أنه سيجري اتصالاته لتدبر الأمر. قال "إلفار":

- كيف تعرفين أنه لن يتم قبولها؟ كيف؟

ثم تاهت الكلمات منه للحظة.

- كيف يمكنك التأكد لهذه الدرجة؟

قالت "أجلا":

- لنقل إن السحرة قد حققوا لي أمنية العام الجديد.

ثم غمزت له بعينها. حدق بها، بينما تحولت تعبيرات وجهه المليء بالأسئلة إلى نظرة خيبة. كان ذلك أحد الأشياء التي أحبتها كثيرًا فيه؛ لم يُظهر أبدًا حكمه عليها. أظهر فقط خيبة الأمل. حمل وجهه تعبير أحد الآباء الذي أدرك، بعدما اكتشف سرقة ابنه لعلبة بسكويت من المتجر، أنه لم يرث قيمه الأخلاقية نفسها. ثم قال:

- أعتقد أنني لا أريد أن أعرف المزيد عن هذا.

- بلى، لا تريد.

شعرت بالذنب قليلًا، وأرادت أن تفعل شيئًا حيال ذلك. لكن اللحظة قد مرت، فقالت:

- سيكون كل شيء على ما يرام يا "إلفار".

شاهدته وهو يهبط في كرسيه، وكأن طاقته قد استنزفت من جسده وشقت طريقها خارج ملابسه. شعرت بالأسف من أجله، فقد حرص على الدفاع عنها. كان حلم كل محامٍ شاب أن يدافع عن موظف مصرفي، وأن يمسك قضية كبيرة ويبدأ حياته المهنية بالأحداث التي سيسجلها التاريخ. ولكن عندما توصل لحقيقة الأمر، بدا وكأنه قرر أنها بريئة بطريقة ما، وأن العدالة في صفها وعليه فقط إثبات ذلك، ربما لأنها امرأة. ربما استنتج أنها ضحية كل هذا، وأنها وقعتْ دون قصد ضحية تلاعب إدارة البنك بالسوق، ويمكنه إنقاذها بطريقة ما.

ولكن خلال الأشهر القليلة الماضية، حين أصبح الواقع أكثر وضوحًا، بدا أن تطلعاته لتحقيق العدالة تتلاشى شيئًا فشيئًا.

تنهدت "أجلا". فكرت أنه مع حلول وقت دفاعها، لن يتبقى له سوى القليل من المبادئ؛ فما أصعب أن يكون المرء شابًا.

19



وقفت في طابور الانتظار في مطعم "مولاكا". وبالرغم من أن الوقت قد قارب على الواحدة ظهرًا، فقد قرَّرت "سونيا" تحمل الانتظار لتناول وجبة شهية. كان السمك المقلي هو طبق اليوم، سمك طازج مقرمش بفتات الخبز على الطريقة التقليدية يقدم مع البصل وشرائح البطاطس، تمامًا وكأنه أعدَّته والدتها. للحظة شعرت بألم في قلبها عند التفكير في والدتها، لكنه مر سريعًا. تعودت على تحويل أفكارها بعيدًا عن تلك الخلافات بينهما والتركيز على أي

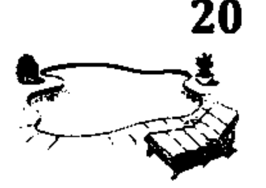
شيء آخر. ورغم ذلك، ضايقها أن طهي الطعام، بطريقة ما، هو ما يوقد في عقلها أفكارًا عن والدتها في أغلب الوقت.

جلست على طاولة بجانب الباب تفكر كيف ستنهي كل هذه الكمية التي في طبقها. في يوم عادي، كان سيشبعها خبز التوست والجبن اللذين أكلتهما مع "براجي" حتى الظهيرة. لكن هذه المرة أصابها إرهاق السفر. بدا وكأن جسدها يستغيث للمزيد من الوقود وشهيتها تتضاعف. امتلأ المقهى في ذلك الوقت بالتجار الذين يأتون عادةً للحصول على الطعام الذي يجعلهم يكملون يومًا من العمل الشاق. كانت هناك امرأة أخرى في المكان ترتدي ملابس رسمية. بدت كشخص يعمل في شركةٍ بالمنطقة، ثم فكرت ماذا قد يظن هؤلاء الأشخاص عنها؛ فهي أنيقة للغاية بالنسبة لمطعم "مولاكا". بذلت جهدًا عادةً حتى لا تكون ملحوظة للغاية، لكنها هذه المرة كانت متعبة جدًا للقلق بشأن هذا الأمر.

أنهت السمك بسهولة. وبينما فعلت ذلك، أعدت قائمة في ذهنها بكل ما تحتاج القيام به قبل رحلة الأسبوع المقبل. ستحتاج حجز مكان للإقامة في أمستردام، وشراء آلة تعبئة طعام عبر الإنترنت ودفع ثمنها عن طريق حساب "باي بال"، فهو أكثر أمانًا من استخدام بطاقة ائتمانية، حيث لا تزال السلطات الآيسلندية تقوم بمراقبة الحسابات، وهذا على الأرجح لتبرير التطفل على شئون الناس، غير أن شراء آلة تعبئة في أمستردام فيه مخاطرة، فقد يلفت ذلك الانتباه. ستحتاج إلى حجز رحلتين بحيث تكون رحلة العودة يوم وجود "براجي" في العمل. ستحتاج أيضًا إلى صبغ شعرها المحروق من الشمس، فقد خصَّصت بندًا من المال لمظهرها لتبدو أنيقة، فكان الظهور عشوائيًا في الجمارك تمامًا كطلب المتاعب. سيتعيَّن عليها أيضًا الاتصال بـ"آدم" لإبلاغه برقم التليفون الجديد وللحصول على رقم الشخص المسؤول عن الاستلام في

أمستردام. ستحاول التحدث معه عن "توماس". لا تتحمل البقاء بدون "توماس" لفترة طويلة، فهذا سيؤذيها كثيرًا.

20



لم يكن موعد الغداء قد حان عندما سارت "أجلا" بتردد إلى غرفة تغيير الملابس في حمامات السباحة العامة بـ"لوجاردالور"، أو "وادي الينابيع الساخنة". مرت عقود منذ أن ذهبت آخر مرة للسباحة. استغرقت بعض الوقت لتعي كيف للقرص المعدني الذي سلمته لها المرأة في مكتب الاستقبال أن يناسب باب الخزانة في غرفة تغير الملابس، وساعدها شخص في القيام بذلك. كان التعامل مع أقفال الخزائن القديمة أسهل. لم يتغير شيء آخر منذ زيارتها الأخيرة، فوجدت الحمامات بسهولة. قامت بطي منشفتها ووضعها على رف المناشف المعتاد ثم وقفت تحت أقرب دش.

وجدت بعض الأجانب المتوترين يستحمون في كبائن مغلقة بالستائر، وهذا جديد أيضًا، فآخر مرة كانت فيها هنا، كانت الحمامات مفتوحة. وعلى الرغم من أن بعض الكبائن بها ستائر، فإن الآيسلنديات ذهبن مباشرة إلى منطقة الاستحمام المفتوحة التي اعتدن عليها. كن في الغالب مسنات في طريق عودتهن من المسبح يتبادلن الأحاديث الصباحية تحت أحد الحمامات الساخنة. لاحظت "أجلا" أنهن جميعًا يرتدين ملابس السباحة من "سبيدو" أو "أديداس"، وبدا أن ملابسها ذات النقوش الوردية قد عفا عليها الزمن. فكّرت أن تلتف بمنشفتها وتذهب إلى مكتب الاستقبال لتستأجر زيًا أزرق داكن أو أسود، أو

شيئًا أقل وضوحًا، لكنها تراجعت. كان الذهاب إلى مكتب الاستقبال بمشكلة سيؤدي إلى جذب المزيد من الأعين عليها أكثر من رؤيتها جانب حمام السباحة في لباس ذي ألوان زاهية. وهي هنا في مهمة، لا تريد جذب أي نوع من الانتباه.

ما إن خرجت من غرفة تغيير الملابس حتى رأت "يوهان"، مدير البنك السابق، يخرج من غرفة الرجال. أومآ لبعضهما بعضًا ثم توجها إلى الخارج، عند الحمامات الساخنة. لم ينتظر أي منهما إشارة من الآخر، بل مشيا في طريقهما إلى أبعد مسبح عن المبنى وأكثرهم سخونة، ما جعله مناسبًا إلى حد ما.

كافحت "أجلا" للنزول في الماء بقدميها المخدرتين من البرد مسافة سيرها على طول حمام السباحة البارد، ثم تألمت من شدة سخونة الماء. ونزل "يوهان" كأنه معتاد على ذلك وهو يصيح ويتأوه من لسعة المياه. تلك كانت طريقته في فعل كل شيء، بضوضاء وصخب. وجدت "أجلا" مقعدًا وكادت أن تتأقلم عندما جاء "آدم". كان حسن المظهر دون ملابس كما بدا بها، يحمله جسده الهزيل جيدًا. بدا واثقًا بقدميه أنها لن تفقد اتزانها أو تنزلق على الجليد الذي تشكل داخل البخار بجانب البركة، ثم نزل على درجات حوض الاستحمام دون أن يلتقط أنفاسه أو تتغير تعبيرات وجهه، وكأن تغير درجة الحرارة لم يؤثر عليه. أومأ برأسه إلى "يوهان" يحييه، ثم نظر إلى "أجلا"، وألقى عليها التحية وهو يتفحص جسدها بنظرة ثاقبة كادت منها أن تسمع ما يفكر فيه: "ما الذي تملكه ولا أملكه؟". وحتى لو سألها ذلك بصوت عالٍ، لن تستطيع الإجابة. تستطيع سرد قائمة طويلة من صفات "سونيا" اللطيفة، لكنها لا تعرف حتى الآن ما السر وراء إعجاب "سونيا" بها. ما زال ذلك لغزًا.

لم تسترح بوجودها في هذا المكان. وكانت ستكون أكثر سعادة إذا لم تكن ترتدي تلك الملابس أمام "آدم". لكن هذا هو المكان الوحيد الذي يمكنها فيه

التأكد أن أيًا منهما لا يخفي ميكروفون؛ فقد اشتهر "يوهان" بالتسجيلات التي استخدمها ضد منافسيه في العمل ولإبقاء موظفيه تحت إمرته. كانت تلك القضايا التي يجب فيها التنازل عن شيء مقابل عدم المخاطرة. ثم قالت:

- جاء "إنجيمار" لرؤيتي.

رأت أنه من الأفضل أن تدخل في الموضوع مباشرة، فإن بقيت فترة أطول، ستغليها هذه المياه. سألها "يوهان" عن السبب، بينما تمتم "آدم":

- اللعنة.

فأجابته:

- أنت شرير يا "يوهان". لا يمكنك القيام بشيء من أجله، فأنت يتم التحقيق معك للمرة الثالثة.

نكّس "يوهان" رأسه وتمتم بشيء غير مفهوم. تابعت:

- وكان "آدم" يعطيه الفتات.

رد "آدم" بحنق:

- هذا لأنني أتعامل مع دائنين عنيدين، مثله تمامًا، وقد اتفقنا أن إرضاءهم هو الأولوية.

ثم برزت عروق رقبته وشد على قبضته تحت الماء كما لو كان يحاول منع يده من لكمها، فقالت "أجلا":

- "إنجيمار" لديه عرض، شيء من شأنه إزاحة بعض الديون الكبيرة، وربما كلها إذا نفَّذنا بشكل صحيح.

كادت أن ترى غضب "آدم" يخفت من أثر كلماتها عندما أسرع "يوهان" بالسؤال في الأمر مباشرة:

- ما نوع العرض؟

وللحظة، عبثت بـ"أجلا" فكرة إخباره بالرد الذي اختلقته بخصوص اقتراح "إنجيمار" لسماع رأيه بشأن الأمر. تلك هي الطريقة التي تصرفوا بها عندما عملوا معًا، حيث تبادلوا الأفكار واستمعوا لآراء بعضهم بعضًا. لكنها قررت عكس ذلك. سيكون الوضع أكثر أمانًا لو أنها الوحيدة التي تعرف كيف ستدار اللعبة.

- يقترح "إنجيمار" أن أتصرف أنا في أموره، وأن تُبقيا أنتما الاثنين النائب العام بعيدًا عني. كلٌ في تخصصه.

فقال "آدم":

- أنت بالفعل في مأزق!

واستطاعت لمح ابتسامة خبيثة على وجهه. أجابت "أجلا":

- نعم ولا. فقد انتهت التحقيقات بالنسبة لي طالما لست مطلوبة على ذمة قضايا أخرى. أحتاج فقط لتنفيذ محاكمة واحدة وحكم واحد في السنوات القليلة المقبلة. وبغض النظر عن ذلك، أنا حرة.

نظر "آدم" إلى "يوهان"، ثم عقَّب بعد صمت:

- حسنًا إذن. لكنني لا أعرف كيف تظنين أنك ستكونين قادرة على فعل أي شيء لـ"إنجيمار"، أو لإرضاء من معه. إننا نتحدث عن أرقام ليست بالهينة.

ابتسمت "أجلا"، فهو محق تمامًا. لم تكن الأموال التي اقترضوها مجرد مبالغ بسيطة. وبدا كل شيء محكمًا في السيناريو الأصلي. لكن تبين أن القرض هو القاتل. كان من الممكن لتلك الخطة أن تمنح هؤلاء الثلاثة مستقبلاً ذهبيًا، وأن تكون رائعة للبنك ولا تصيب دائنيهم بأذى. لكن لو أنها نجحت، لم يتم الأمر. وتعلموا جميعًا من هذه التجربة المريرة أن الشخص الأكثر أهمية من الذي أقرضت له المال هو من اقترضت منه. قال "يوهان":

- أعتقد أنه كلما قلت معرفتنا كان ذلك أفضل.

أومأت "أجلا" برأسها ثم وقفت. شعر جسدها بالثِقَل والاستنزاف بسبب الحرارة، وكأن لحمها على وشك ترك عظامها والسقوط. قال "آدم" وهو يتحدث خلف ظهرها:

- إذا أفسدتِ الأمر يا "أجلا"..

استدارت لتنظر في عينيه وقالت:

- أنا لا أفسد الأمور يا "آدم". أعرف من هو "إنجيمار"، وأعرف ما هو قادر على فعله، لذا فإن إفساد الأمر ليس على جدول أعمالي.

لم يكن لدى "آدم" شيء آخر ليقوله. فأومأت برأسها لـ"يوهان" - الذي صار الآن أحمر اللون كالكركند، وضاق نفسه في الحرارة - وتسندت على درابزين المسبح وهي تخرج منه، وأحست بالإغماء حين شعرت بالبرد مرة أخرى.



21



تبع "توماس" والده إلى المرحاض وشاهده وهو يعلق سرواله ومنشفته. وسأله في دهشة وهو يشعر بالإحباط:

- هل ذهبت للسباحة؟

كانت السباحة واحدة من أنشطته المفضلة، والتي يستمتع بفعلها مع والده.

- لماذا لم أستطع المجيء أيضًا؟

أجاب والده:

- لقد كان اجتماعًا قصيرًا في حمام ساخن مع أناس كان عليَّ التحدث إليهم.

فاندفع "توماس" بغضب إلى غرفته وضرب الباب خلفه، ثم صرخ قائلًا:

- أنت تكذب، فلا توجد اجتماعات في حمامات السباحة. أنت فقط لا تريدني الذهاب معك لأنني ذهبت إلى "فلوريدا" مع أمي.

سمع خطوات والده في الممر تتوقف عند باب غرفته، وفتح الباب بعد أن طرق عليه والده بشدة.

وقال وهو يدخل:

- أنا لست غاضبًا منك لأنك ذهبت معها، أنا غاضب من والدتك. لكنه ليس خطأك.

وأثناء سيره، داس على مكعب من لعبة "ليجو"، فتوقف متألمًا، وأزاح المكعبات بقدمه جانبًا قبل أن يجلس على طرف سرير "توماس". مدَّ يده بعد ذلك ليمسح على ظهره. لكن "توماس" أبعدها، فقال والده في نبرة توسل:

- لا تفعل ذلك يا "توماس".

فثار "توماس" مجددًا وهو يصرخ ويتقوقع عند طرف سريره موجهًا قدميه ناحية والده:

- لقد تركت ذلك الرجل الفظيع يقيِّدنا!

- لا يا "توماس". لقد طلبت منه إحضاركما فقط، ولم أكن أعلم أنه سيقيِّدكما. هذه هي الحقيقة.

ثم أمسك بقدمي "توماس" حتى هدأ، وأكمل:

- "توماس"، أنا لن أرضى أن يقيِّدك أحد أبدًا.

ثم انتحب "توماس" قائلًا:

- ماذا عن كل أشيائي التي تركتها في المنزل المتنقل؟ متى سأستردها؟

سأله والده:

- ما تلك الأشياء التي تفتقدها للغاية؟

- كلها! كتبي وعلبة السجائر الذي وضعت فيه صور كرة القدم، وكرة السلة الخاصة بي، وهي من أفضل أنواع الكرات، "دانكن".

- بمكننا شراء كرة سلة جديدة هنا يا "تومي". ليست هذه مشكلة، ونستطيع أيضًا إحضار كتب أخرى غيرها من أي مكتبة.

واضح أن والده لم يفهم أهمية بعض الأشياء، ولم يرَ بالتأكيد صندوق السجائر ولا يعلم المجهود الذي استغرقه في تزيينه بالصدف. والدته فقط هي من تتفهم تلك الأشياء.

سحبه والده تجاهه. ورغم أن "توماس" حاول المقاومة في البداية، فإنه شعر بأنه يريد الاستسلام بين ذراعي والده والشعور بيده تربت على ظهره بشكل إيقاعي أثناء بكائه. ظل هكذا حتى هدأ قلبه، وبدا كل شيء أسهل قليلًا. ورغم كل ذلك، فضَّل أن يكون مع والدته. وكلما تذكر تركهما لها في المطار وهي ترتدي ملابس للطقس الحار، تفاقم الغضب بداخله مرة أخرى، وقال وهو يتلوى في أحضان والده:

- أريد أن أذهب إلى أمي. أريد أن أذهب إلى أمي الآن.

هز والده رأسه وقال:

- علينا أن ننتظر ونرى يا "توماس". يجب أن تفهم أنني لا أثق وأخاف أن تختفي والدتك بك مرة أخرى.

قفز "توماس" إلى الأرض وصرخ:

- أنا لا أفهم أي شيء. أنت شرير. أريد أن أذهب إلى أمي!



22



كان يومًا غريبًا. هذا أقل ما يوصف به. شعَرت أنه قد مرت فترة طويلة على انتظارها خارج صالة المطار وهي ترتدي شورتًا دون أن تعرف ما يجب أن تفعله. يبدو أن حياتها بدأت تعود إلى مسارها المعتاد شيئًا فشيئًا. ورغم أنه لم يكن هناك احتمال قوي لنجاح خطتها، فإنها على الأقل كانت لديها خطة، وهذا هو المهم.

بعد أن تحطمت حياتها القديمة وأصبحت بلا معنى، حاولت الحفاظ على هدف حياتها. علَّمتها التجربة القاسية أنها إذا لم تحدد مسارًا لنفسها، سيحدده لها الآخرون؛ فقد كان لديها بالفعل ما يكفي من ذلك الأمر. ورغم أنها لا تزال متورطة في المشكلات ومجبرة على تنفيذ أوامر "آدم"، وضعت مسارًا محددًا للأمور لن يكون "آدم" سعيدًا بعواقبه. يشمل هذا المسار تأمينها هي و"توماس" في شقة صغيرة في أي مكان. لا يهم أين، طالما أنهما في مكان يمكنهما الاستيقاظ فيه في الصباح والمرح مع بعضهما، وتكون قادرة على النوم معه كل ليلة دون أن تقلق بشأنه أو بشأن سلامته. فهي هاربة منذ فترة طويلة، تقاتل الماضي من خلفها. وتخاف دائمًا من أن يبتلعها عالم تخشاه كثيرًا ولا تستطيع التحرر منه. في كل مرة تأكدت أنها على وشك الخروج من الفخ، وقعت مرة أخرى في شباك المصيدة، تلك التي تصبح أكثر إحكامًا من ذي قبل. لكنها تمهلت الآن. قررت التوقف عن الجري. حان الوقت لأن تستدير

وتواجه الخوف، وأن تسبح عائدة للشِباك بنفسها. على المخرج أن يكون في مكان ما في عُقَدِ هذه الشبكة.

كانت قد وصلت للتو إلى المنزل وأغلقت الباب خلفها حين سمعت طرقًا خفيفًا. عرفت أنها "أجلا". "اللعنة"، قالتها في نفسها وهي تعلم أنها ستدعوها للدخول. وبلا شك سينتهي بهما الأمر في الفراش. وبينما تفتح الباب، وضعت جانبًا قرارها الذي اتخذته قبل مغادرتها إلى "فلوريدا": الابتعاد عن "أجلا"، فهو إما أنه حين ذلك كان خطأ من عقلها المجهد، أو أنها بحاجة إلى الاستسلام لرغباتها، للاعتراف بشرارة العاطفة التي شعرت باشتمالها مرة أخرى في السيارة في طريقها من المطار، عندما وضعت "أجلا" يدها على فخذها.

بمجرد أن مالت "أجلا" إلى الأمام وقبَّلتها بتردد، ألقت "سونيا" جانبًا كل خيبات الأمل القديمة ومجادلات الأسرار والغيرة وعانقتها بحميمية. كانت بحاجة إلى "أجلا" كثيرًا في الوقت الحالي. احتاجت إلى اهتمامها وامتنانها، ولمساتها التي كانت تعرفها جيدًا.

همست "أجلا"، راكعة أمامها، ويداها المرتعشتان تشمِّران قميصها:

- أنتِ لا تعرفين كم اشتقت إليك.

قالت وهي تحتضنها بيأس ولهفة، لدرجة أن "سونيا" اضطرت إلى إسكاتها لتهدئة حماستها، ثم تابعت:

- كدت أموت، اشتقت إليكِ كثيرًا.

فهمست في شعر "أجلا" المليء بالكثير من الرذاذ المثبت للشعر كما كانت تفعل دائمًا:

- اشتقت إليكِ أيضًا يا حبيبتي. اشتقت إليك أيضًا.

23



- من هو الرجل؟

همست "أجلا" في أذن "سونيا" النائمة.

استغرقت "أجلا" في النوم طوال الليل كلوح خشب ولم تتحرك، وحتى عندما استيقظت، ظلت بلا حراك. مستمتعة بدفء أنفاس "سونيا" على جسدها. لكنها الآن في مزاج للحديث. منذ يوم بالضبط، انقلبت الحياة رأسًا على عقب. مر وقت طويل - منذ الأزمة المالية على وجه التحديد - منذ أن شعرت بالتفاؤل وامتلكت ذهنًا صافيًا. والآن، لديها خطة مفصلة لتنفيذ عرض "إنجيمار". كان معقدًا ويحتاج بعض العمل، لكن من الممكن تنفيذه. وعليها الاعتراف أنه حتى من الممكن أن يكون الأمر ممتعًا، فذلك النوع من الأعمال هو ما أثار مخيِّلتها وزاد ثقتها بنفسها، فهي لم تضطر إلى فعل أي عمل كهذا قبل الأزمة، أولًا لأنها قد فقدت ثقة كل من بالبنك بعد ما حدث، ولاحقًا لأنها استقالت لتوفر على المدير الجديد قرار طردها بعد أن أصبحت قيد التحقيق. لكن الآن، بدأت الأمور تبشر بالخير.

سيكون لديها عمل تقوم به. بينما كان زملاؤها يرتجفون من الخوف حين ذُكر اسم "إنجيمار"، لم تكن خائفة. بل أثار ذلك ضغطًا، وكان الضغط هو الوقود الذي دائمًا ما يحرِّكها.

- كنت أسأل من منا تمثل جانب الرجل في علاقتنا؟

تمتمت "سونيا" وعيناها لا تزال مغلقتين:

- عما تتحدثين؟

تنهدت "سونيا" بعمق واستدارت تجاه "أجلا" وهي تعرف النظرة المألوفة في عينيها، تعني أن لديها ما تضايقها به. ثم أجابت:

- أنا الرجل. أرتدي الجينز أكثر منك. أعتقد أنكِ من مثليات أحمر الشفاه.

- أنا ماذا؟

- مثلية أحمر الشفاه.

- ماذا يعني هذا؟

- احسبي كمية مستحضرات التجميل لدى كل واحدة منا، وستعرفين من منا هي الرجل.

- أليس هذا لأنني الأكبر سنًا؟ فأنا لم أستخدم كل تلك المستحضرات حين كنت أصغر.

- لا، بل بسبب أنك المرأة في العلاقة، وإذن أنا الرجل.

فسألت "أجلا" وقد تفاجأت بعض الشيء:

- كيف لكِ أن تعرفي؟ كيف تعرفين من مِنَّا هي الرجل؟

أجابت "سونيا" وهي تقوم وتفتح باب خزانتها:

- بمكنكِ تفقد خزانات ملابسي أيضًا. قارنيها بخزانتك، ولن تضطري حتى للسؤال.

تركت الغرفة و"أجلا" جالسة على السرير، تتفحص محتويات خزانة "سونيا" المتناثرة. لم يكن لديها ملابس كثيرة فعلًا، لكنها أرجعت هذا لكونها في حالة سيئة، فخزانة ملابسها، وهي مليئة، الأفضل بلا شك، رغم أن نصف ما بها يكون عادةً في كومة على الأرض في انتظار الغسيل. نادت "سونيا" من المطبخ:

- لا يوجد شيء هنا. لا خبز، لا قهوة، لا شيء.

سألت "أجلا" وهي واقفة في الممر:

- ما رأيك بإفطار في لوكسمبورج؟

أجابت "سونيا" ضاحكة:

- أجل، من فضلك.

قالت "أجلا":

- أنا لا أمزح. يجب أن أذهب إلى هناك للعمل، وسيكون من الممتع أن تأتي معي.

نظرت "سونيا" إليها بتمعن للحظة.

- سيكون الأمر رائعًا يا "سونيا"، أعدك. سأتصل الآن بـ"جان كلود" وأطلب منه تنظيف الشقة وملء الثلاجة.

فقاطعتها "سونيا":

- ماذا؟ من هو "جان كلود"؟ وشقة من؟

- شقتي. يسكن "جان كلود" في الطابق السفلي، وهو ينظف لي.

حدقت "سونيا" بها في ذهول:

- لديكِ شقة في لوكسمبورج؟ وربما الملايين والتريليونات في الحسابات المصرفية حول العالم؟ هل صحيح ما تقوله الصحف عنك؟

تنحنحت "أجلا" وقالت في حرج:

- حسنًا، ليس كل شيء.

عقبت "سونيا" وهي تهز رأسها:

- يا إلهي!

وتساءلت "أجلا" إذا كان ذلك رد الفعل على سبيل التفاجؤ أم الاشمئزاز. أملت أن يكون على سبيل التفاجؤ.

عادت "أجلا" إلى غرفة النوم تبحث عن ملابسها. وجدت زرَّين مفقودين من بلوزتها الحريرية، ضحايا شغف الليلة السابقة. وقامت بتصفيف شعرها بأصابعها، ثم دخلت الحمام حيث كانت "سونيا" تغسل وجهها، فقالت لها متوسلة:

- هيا. لتأتي معي.

لم تستطع مقاومة التفكير في قضاء الوقت في الخارج مع "سونيا". في مكان لا يعرفهما فيه أحد أو يحدق بهما في الشارع أو يهتم بما يفعلانه معًا. قالت "سونيا":

- لا أستطيع. عليَّ أن أعمل.

- ستعودين إلى مجال الكمبيوتر؟ أهذا ما عليكِ فعله؟

قالت "سونيا" بصوت منخفض، وقد ظهر الضيق على وجهها:

- أجل. هذا ما عليَّ فعله.

فقبّلتها "أجلا". وقالت، وهي تحاول صياغة ما تريد قوله بطريقة صحيحة:

- تعرفين أن.. أقصد أنني.. تعلمين، يمكنني دائمًا تقديم الدعم المادي إذا مللت من ذلك العمل.

انسحبت "سونيا" من بين ذراعيها فجأة وقالت:

- أعلم هذا يا "أجلا".

وتحولت تعبيراتها، التي كانت على وشك الغضب:

- يمكنني الاعتناء بنفسي، كما أخبرتك عدة مرات من قبل.

رفعت "أجلا" يديها من حولها وأسرعت تهدئها قائلة:

- حسنًا، حسنًا. لا داعي للغضب.

ثم عادت تلف ذراعيها حول "سونيا" وهي تهمس:

- عطلة نهاية أسبوع كاملة في لوكسمبورج. أنا وأنت فقط. نحن الاثنتان معًا.

وشعرت أن "سونيا" تهدأ بين ذراعيها. قالت "سونيا" وهي تدفعها بعيدًا وتنظر إليها بفضول:

- أنت مختلفة. تبدين أكثر سعادة.

شعرت "أجلا" بخجل ودفء. كان مذهلًا كيف تمكنت "سونيا" من قراءة مشاعرها، فأجابت على أمل ألا تسأل "سونيا" عن أي تفاصيل:

- إنها.. حسنًا، دعينا نقول إنه قد عرضت عليَّ فرصة عمل جيدة.

- أعمال مصرفية؟

قالت "أجلا" وابتسمت:

- نعم.

- جيد أن أراكِ سعيدة.

ثم وضعت "سونيا" قليلًا من كريم الوجه على خدها وبدأت في توزيعه، وأكملت:

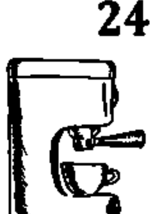
- لكن لا يمكنني الذهاب معك إلى لوكسمبورج.

- لا أجرؤ على قول ذلك، ولكن إذا كانت مشكلة الرحلة في المال..

فصرخت بها "سونيا":

- اللعنة! اغربي عن وجهي يا "أجلا". لقد أخبرتكِ من قبل بالفعل.

24



انتظر "براجي" بفارغ الصبر حتى حضر أخيرًا "أتلي ثور"، مستشاره وزميله المفضل، إلى غرفة المراقبة وسلمه قوائم الركاب من فريق التحليل، فأخذ الأوراق. وأثناء محاولته لإخفاء حماسته، مسحها بعينه بحثًا عن اسم معين، الاسم الذي كتبته له "سونيا" على قصّاصة من الورق. سأله "أتلي ثور"، قبل أن يلتفت إلى ماكينة القهوة:

- ألن تقرأها بتمعُّن؟

لم تقتصر المشكلة على نفاد حبوب القهوة فقط، وإنما امتلاء الدرج ببقايا القهوة المطحونة أيضًا، فكان الحصول على فنجان قهوة مهمة شاقة، ثم تنهد قائلًا:

- وما خطب ماكينة القهوة القديمة؟ يتطلب جهاز مضغ الفاصوليا الرديء هذا اهتمامًا دائمًا، وإخراج القليل من القهوة منه يعتبر نصف دوام إضافي.

ابتسم "براجي". بالنسبة له، آلة القهوة الجديدة هي مثال آخر للحياة الحديثة التي حرص على عدم الاكتراث بها. لم ينوِ حتى تعلم كيفية تشغيل هذه الماكينة، بقائمة اختياراتها وأنوار التحذير التي تضيء دائمًا في كل مرة أراد أحد فنجانًا من القهوة. منذ أن استبدلوا الماكينة القديمة، قام "براجي" ببساطة بتحضير قهوته في المنزل وإحضارها في كوبه الحراري. لن يفيده قضاء الوقت في تعلم كيفية استخدام ماكينة جديدة، خصوصًا مع أن المتبقي فقط بضعة شهور قبل التقاعد.

بينما كان "أتلي ثور" يكافح مع ماكينة القهوة، راجع "براجي" القائمة، لكنه لم يرَ الاسم، لا في دوام عمله ولا في اليوم التالي. لكن لم يتملكه اليأس. يعرف أنه من المستحيل معرفة توقيت سفر هذا المرسول، ورغم أن رحلات "سونيا" كانت مرتين كل شهر، لا ينبغي أن يفعل هذا الشخص الشيء نفسه. انتزع "براجي" قلمًا من جيب قميصه ووضع دوائر عشوائية حول بعض الأسماء. فسأله "أتلي ثور":

- لبعض الأبحاث؟

فأومأ "براجي"، وقال:

- أختار بعشوائية. لكن يمكننا بسهولة اصطياد واحد من بين كل عشرين.

كان على وشك أن يعطيه القائمة مجددًا عندما لاحظ ورقة أخرى لم يرها خلف التي معه. كانت القائمة الخاصة برحلة جرينلاند، والتي يقوم فريق التحليل دائمًا بإرسالها إلى زملائهم هناك، وقد تم فحصها ومراجعتها بالفعل.

ولسبب ما، وجدت قائمة الركاب - الذين يغادرون البلاد - طريقها إلى "براجي" مع قائمة الوافدين، ربما عن طريق الصدفة البحتة؛ هذا إذا كان هناك شيء يدعى كذلك. كان في القائمة الاسم الذي كتبته له "سونيا" على قصاصة الورق، والذي حفره في ذاكرته: "أكسل جونسون". وكالمعتاد، لم تكن ستغادر طائرة جرينلاند من مطار "كيفلافيك" الدولي، بل من المطار المحلي بريكيافيك صباح الغد.

25



شعر "توماس" بألم في معدته في طريقه إلى المنزل من المدرسة، وكأن هناك من ضربه في بطنه. كان اليوم هو الخميس، وغدًا سيكون الجمعة وبعدها عطلة نهاية الأسبوع. وأمل، بحلول الإثنين، أن يتلاشى فضول الأطفال الآخرين في الفصل، وتتوقف أسئلتهم اللامتناهية عن "فلوريدا"، ولماذا غاب كل هذا الوقت، ولماذا جاء والده إلى المدرسة بحثًا عنه وصرخ في المعلم. لكن "توماس" ليست لديه أجوبة، فقط تمتم بأشياء غير مفهومة. عندما وصل إلى المنزل، وجد والده يقف على الدرج بالخارج، وفي يده "تيدي"، فسأله:

- هل ستذهب للتمشية؟

أجاب والده:

- لا. لديَّ عمل أقوم به.

- أين؟ ولِمَ تأخذ "تيدي"؟

حدق "توماس" بتساؤل في والده، الذي بدا محرجًا.

- أنا.. حسنًا، سأسمح لصديقٍ بالحصول على "تيدي" لفترة قصيرة، فهو جيد جدًا في العثور على الأشياء.

سأله "توماس" وهو يرمي حقيبته في ساحة المنزل:

- أيمكنني المجيء أيضًا؟

قال والده:

- لا، هذا غير ممكن. "ديسا" في الداخل. سوف تعتني بك.

وانطلق إلى السيارة وجذب الكلب وراءه. حدق "توماس"، وشعر بالألم ينمو داخل بطنه. كانت "ديسا" صديقة والده ويعرفها، لكنه فضل الذهاب معه ومع الكلب، فصرخ قائلًا:

- لماذا لا أستطيع المجيء؟ أنت دائمًا تتركني بمفردي.

رأى والده يهز رأسه وهو يتجه للسيارة، وفتح الباب الخلفي فقفز "تيدي" إلى الداخل. فكر "توماس" أنه في أول الأمر، كان من الغباء أن يذهب والده للسباحة ويتركه بمفرده. وها هو يذهب في جولة بالسيارة مع الكلب ويتركه مجددًا. هناك القليل ما هو أحب إلى "توماس" من السباحة والكلب، وذلك لم يكن تصرفًا سويًا على الإطلاق. صرخ "توماس" بكل طاقته قائلًا لوالده:

- سأذهب للعيش مع أمي، وسآخذ معي "تيدي".

استدار والده أخيرًا وخطا بضع خطوات سريعة نحوه، ثم قال:

- أنت لن تذهب إلى أي مكان يا "توماس". أتفهم ذلك؟

اقترب وجهيهما فاستطاع "توماس" أن يشم القهوة في أنفاسه، ثم أكمل بحدة:

- والدتك لا تصلح لتربيتك، لذا من الأفضل أن تنسى أحلام اليقظة هذه إلى الأبد.

ثم استدار وأغلق باب السيارة خلفه.

شعر "توماس" للحظة وكأن قلبه سيتوقف. لم يحدث أن كان خائفًا من والده من قبل.

أحدثت عجلات السيارة صريرًا وهي تبتعد، ووقف "توماس" يراقب الرياح وهي تُموج سطح بركة على رصيف المنزل وهو ينتحب ويمسح الدموع التي انهمرت على خديه. تقلصت بعدها الكدمة في بطنه على شكل كرة. لن يتحدث مع والده مرة أخرى. ومن الآن فصاعدًا، سيلتزم الصمت ولن يقول له كلمة واحدة.

26



عبث "براجي" بتذكرة الصعود في يديه بينما دارت عينيه بحثًا داخل صالة المغادرة في مطار ريكيافيك المحلي. كان قد تم فصل الصالة الدولية الصغيرة المسؤولة عن رحلات جرينلاند وجزر فارو عن صالة الوصول الخاصة بالرحلات

الداخلية. وما زالت الإجراءات الأمنية نفسها تنفَّذ كما هي في "كيفلافيك"، لكن على نطاق أضيق. بدا الأمر كنسخة مصغرة من مبنى الركاب في المطار.

استمتع "براجي" بمعرفة كل هذه المعلومات، وتذكر أنه لم يمضِ وقت طويل على توسيع هذا المبنى. لكنه بدا الآن في حالة سيئة، بعد طلاء الخشب مرارًا وتكرارًا، وتآكل الأرضية تحت أقدام المارة من المسافرين. كان هذا أحد الأماكن القليلة التي لم يعمل بها طوال حياته. سبق له أن عمل في قسم البريد، وبمحطة الملاحة على الساحل الشرقي وميناء "ريكيافيك"، لكن أطول فترة عمل كانت في "كيفلافيك".

شاهد الركاب يدخلون صالة المغادرة وانتبه لكل رجل منهم. بالتأكيد لم تحمل طائرة "فوكر 50" Fokker 50 هذا العدد الكبير من المسافرين. يجب إذن أن يستخدم طريقة الإقصاء لحصر المرشحين حتى يتوصل إلى "أكسل جونسون".

حين وصل، وجد "براجي" مجموعة من سكان جرينلاند هناك بالفعل، كانوا على ما يبدو في طريقهم إلى المنزل من مؤتمر أو حدث ما. وعائلة وصلت في التوقيت نفسه الذي قام فيه بتسجيل الوصول. كانا زوجان شابان لديهما طفلان قويان، فشطبهم "براجي" من قائمة عقله. جاء بعدهم ثلاث نساء يبدن في منتصف العمر يسافرن معًا، يليهن زوجان بدا أنهما من أرجاء أوروبا. وجاءت مجموعة أخرى من سكان جرينلاند، وخلفهم رجل بمفرده. جذب انتباه "براجي" على الفور. بدا في الثلاثين تقريبًا، بشعر داكن وذقن خفيفة مر عليها بضعة أيام. يرتدي جينز وسترة جلدية. بمجرد أن اجتاز الفحص الأمني، توجه الرجل إلى المرحاض. فكر "براجي" أن يتبعه ليعرف ما إذا كان يقوم بشيء مريب، لكنه قرر ألا يفعل. كان من الأفضل أن يبقى في مكانه يراقب الركاب واستعداداتهم للرحلة. بينما وصل الناس إلى صالة المغادرة، انتقل

"براجي" إلى موقع أقل وضوحًا وهو يدرك أنه لا ينبغي أن يبدو وكأنه يبحث عن شخص ما. لم تكن هناك مرآة يختبئ خلفها الآن. مرت بضع دقائق قبل وصول الرجل الذي ينتظره "براجي". وحين وصل، عرف أن ذلك الرجل هو "أكسل جونسون". لم يكن بحاجة إلى تأكيد. أخبرته غريزته أنه على حق ككلب حراسة يتبع رائحة.

بدا رجلًا أربعينيًا تقريبًا، نحيفًا بشعر قصير داكن ووجه محلوق حديثًا. كان يرتدي ملابس رياضية جيدة، كأنه في طريقه للعب التنس أو جولة جولف. لم يكن به ما يثير الريبة، وهذا مريب في حد ذاته. جلس "براجي" باسترخاء على أحد الكراسي البلاستيكية، فقد عرف من سيتبعه.

27



قال مدير البنك وهو يهز فأرة الكمبيوتر وكأنه يحاول إعادتها إلى الحياة:

- إذًا نحن على وشك الانتهاء.

انتهت الأجواء القانونية المتوترة مع مغادرة الشهود، ولم يتبقَ من أثرها إلا مشكلة تسجيل المعاملات المالية على نظام البنك. جلست "أجلا" على كرسيها تتأمل بإعجاب المنظر أسفل هذا الحصن المالي الحديث ذي الجدران الزجاجية. نظرت منها إلى القناة، التي بدت كمرآة تعكس المباني المقابلة بالأبيض والأصفر ذات الثلاثة طوابق. بدا انعكاسها وكأن لها جذور في الماء.

تمتم مدير البنك مع نفسه وهو يكتب بإصبعي السبابة على لوحة المفاتيح:

- "نوري" هو البائع و"أفانس" المشتري.

تعرفه "أجلا" منذ أن كانت تعمل في البنك. وغالبًا ما استفادت من خدماته ووجدته مرنًا بشكل استثنائي، بالإضافة إلى امتلاكه موهبة التعامل مع العملاء المهمين بلباقة وفراسة أوروبية. كان غداء المكتب عبارة عن المحار والشمبانيا وجبنة "ستيلتون" المغطاة بقشور الشوكولاتة الرقيقة، والتي تقدم مع القهوة، ويضيف إليها جرعة الكونياك الفاخر من زجاجة في درج مكتبه.

تمتم مرة أخرى مع نفسه وهو يضع علامات داخل مربعات الاختيار على الشاشة:

- حزمة الدَين تقوم على الاستثمارات الأساسية.

ثم نظر إلى "أجلا" وقال:

- سأدوِّن ملاحظة تفيد بوصول رئيس مجلس إدارة "أفانس" للاستثمارات لاحقًا اليوم. يمكنه فقط أن يعرِّف نفسه لموظفي المكتب في الطابق السفلي وسيعرفون ما يجب فعله.

فأجابت "أجلا":

- رائع. يرسل "جون كلود" أطيب تحياته، لكنه مشغول جدًا اليوم.

كانت تلك نصف الحقيقة، فـ"جون كلود" مشغول بالفعل، لأن الجمعة هو يوم مسح السلالم. ولم ترغب له "أجلا" أن يقابل مدير البنك. تعرف تمامًا أسلوب "جون كلود". كان سيكلفهم الكثير من المحار، ويعرض عن أكل جبنة "ستيلتون" بقرف، ثم يرفع كأسه للمزيد من الكونياك ويلقي بعض النكات السيئة. رأت أن من الأفضل له أن يأتي إلى البنك في زيارة سريعة وتكون سيارة أجرة في انتظاره خارجًا، ليوقع على الأوراق المطلوبة ثم يتجه مباشرة إلى الباب،

وستكون خلفه تستعجله وتشير بتحفظ إلى أماكن التوقيع، كما يفعل أي سكرتير كفؤ. قال مدير البنك:

- نحن نبذل قصارى جهدنا لتيسير الأعمال على عملائنا بقدر الإمكان.

فأومأت "أجلا" توافقه الرأي، ثم قالت:

- بالتأكيد تفعل ذلك. لطالما كان العمل هنا من دواعي سروري.

أُعجبت بالمنظر من وراء النافذة. خطر لها أنها حلمت ذات مرة بمكتب كهذا. غرفة فسيحة مضيئة بإطلالة رائعة، ربما على ميناء "ريكيافيك" الأزرق. ولكن بحلول الوقت الذي حصلت فيه على ما تريد، كانت غارقة في التوتر لدرجة أنها لم تقدر على الاستمتاع به. كان ذلك قبل بضعة أشهر من الأزمة المالية، حين كان سعر سهم البنك في حالة سقوط حر، وخطوط الائتمان تغلق تباعًا، وكل إستراتيجية توصلوا إليها لإصلاح الوضع، كتحويل المزيد من الديون إلى ما سموه "الأقزام"، كانت مجرد إجراءات قصيرة المدى.

رفع مدير البنك نظارات القراءة على أنفه قليلًا، وأكمل في وضع علامات على المربعات في استمارة التسجيل، ثم تمتم:

- أسعار الفائدة المعروضة بين بنوك لندن "الليبور" و"دويتشه بنك" إذا كنت أتذكر جيدًا؟

أجابت "أجلا":

- نعم. المصطلحات نفسها كالمعتاد.

- وما قطاع الصناعة الذي يجب أن أسجله لهذه المعاملة؟ من أي مجال أتى الاستثمار الأول؟

قالت:

- صناعات ثقيلة، الألومينيوم.

28



كان الطريق إلى نوك بديعًا بشكل ساحر. أخذ "براجي" يتأمل البلدة التي تقع على طول المضيق المائي، بدرجات لا تحصى للون الأزرق، من لون البحر إلى لون الألواح المعدنية المائلة للرمادي على أسطح المنازل. بدت البيوت وكأنها ألعاب صغيرة من هذا الارتفاع، وبدت الأضواء زرقة خافتة من الثلج تغطي الأرض.

ولوهلة، خطر له ما يحزنه؛ وهو أن "فالديس" لا يمكنها الاستمتاع بهذا معه. نادرًا ما أصبحت تأتيه مثل هذه الأفكار الآن، خاصةً بعد أن تأقلم مع حالة "فالديس"، ولكن حين تأتيه هذه الأفكار، تُحضِر معها ألمًا عميقًا، وكأن صخرة تحمل ثِقل العالم عالقة بصدره وتُثقِل بقية أعضائه. لم يكن هنا للاستمتاع بالمنظر على أية حال. لذا تخلص من تلك الأفكار العاطفية ومال من مقعده قليلًا ليتحقق من الرجل الذي جلس على الناحية الأخرى من الممر، بعده بثلاثة صفوف.

جلس "أكسل جونسون" بهدوء، نائمًا على ما يبدو، ورأسه إلى الخلف على المقعد. واضح أنه لم يكن مهتمًا برؤية نوك، فقد مال بعض الركاب على ذويهم ليشاهدوا النوافذ، وهو لم يفعل. اعتقد "براجي" أنه إذا فضل الرجل عدم الرؤية لخوفه من الطيران، ستتشبث يده بمسند الذراع. لكنها لم تكن كذلك.

كانت يداه في حجره. ومن مكانه، لم يستطع "براجي" أن يرى أي علامة تدل على أنه قد يكون متوترًا. ربما كان مخطئًا بشأن الرجل. ربما لم يكن "أكسل جونسون". ربما كان الرجل مجرد مسافر بريء، أو لعله كان هذا هو الرجل المناسب وقد اعتاد على نوك بعد أن شاهدها كثيرًا. وفقًا لتفكير "براجي"، كان هذا هو الأمر بالضبط.

بينما فتحت أبواب الطائرة واجتاحت المقصورة موجة من البرد القارس، شكر "براجي" "فالديس" في سِره على السترة الصوفية التي كان يرتديها. كانت آخر شيء حاكته له، وقد أتت بالتصميم من كتاب ما. ولكن بمجرد إصابتها بالمرض، لم تعد تعمل وفقًا لتصاميمها الخاصة. لم تكن أفضل سترة صنعتها، ولكن على الرغم من ذلك، كانت حياكتها محكمة وسميكة. وهنا، في القطب الشمالي البارد، ستبقيه دافئًا. على نحو غريب، شعر، بارتدائه هذه السترة، أنه محاط بذراعي "فالديس"، وفي هذا العناق أكثر من مجرد الدفء.

وقف الرجل الذي تأكد "براجي" أنه "أكسل جونسون" ليأخذ حقيبته من الخزانة العلوية، بينما فعل "براجي" الشيء نفسه. كان قد أخذ معه حقيبة يد. لم يكن بها سوى فرشاة أسنان وغيار داخلي. لم يتوقع أن يقضي وقتًا طويلًا في جرينلاند. من سجل قوائم الركاب السابقة التي تمكن من الحصول عليها، رأى أن "أكسل جونسون" عادةً ما يقضي هنا ليلة أو ليلتين، ومن المتوقع أن يفعل الشيء نفسه هذه المرة.



29



ضحك كلٌ من "أجلا" و"جون كلود" أثناء صعودهما إلى الطابق الأول حيث يسكن. قال لها:

- أنا لا أرتاح في البدلات أبدًا.

فربتت "أجلا" على كتفه وقالت:

- نعم، لكنك الآن رئيس مجلس إدارة شركة "أفانس" للاستثمارات، ولن يمكنك الذهاب لتوقيع المستندات بملابس حارس المنزل.

مد "جان كلود" يده وصافحها بحرارة قائلًا:

- أخبريني إذا كان هناك أي شيء آخر يمكنني تقديمه لكِ. لا يوجد ما يوفي كل ما فعلته من أجلي.

أومأت "أجلا" برأسها وقالت:

- أنا أقدر مساعدتك حقًا.

عَنَت ما قالته. فقد كان ممثلها في "أفانس" وشركة أخرى امتلكتها، بالإضافة إلى أنه وقَّع لثلاثة من الأقزام الذي امتلك البنك دينًا لهم. وفوق هذا، اعتنى بشقتها وأرسل لها بريدها، وهو في الأساس الذي أتاح لها الإقامة بشكل قانوني في لوكسمبورج. كان ذلك مريح جدًا لأسباب متعددة. غير أن ما

ساعدها أيضًا هو عدم وجود مفهوم للأرقام عنده؛ فقد علّق ذات مرة "هناك الكثير من الأصفار".

دخل "جون كلود" شقة حارس المنزل، بعد أن نزع ربطة عنقه وفك قميصه بالفعل قبل أن يدخل. صعدت "أجلا" السلم إلى الدور الثاني وفتحت باب شقتها. لثانية أغمضت عينيها وتخيلت "سونيا" تركض إليها. كانت قد اشترت عطر "سونيا" المفضل من المطار ورشته في أنحاء الشقة، فكان الإحساس قويًا. وللحظة، كادت أن تصدق خيالها الخاص. استطاعت أن ترى "سونيا"، وهي ترتدي فستانًا وحذاءً بكعب وشعرها مرفوع، وهي ترحب بها. ملعون الغباء. فتحت "أجلا" عينيها وفاقت من تلك الحالة. اشترت هذه الشقة منذ عامين، بعد فترة من مقابلة "سونيا" لأول مرة. وبطريقة ما، بغباء، تصورت دائمًا في ذهنها بأنها ستأتي معها هنا في يوم من الأيام. ورغم أنها لم تدعها من قبل، فإن أسقف غرفة المعيشة العالية ذات الورود حول الثرايا، وأرضيات الباركيه الداكنة، بدت لها أشياء تحبها "سونيا"، لذا لا تستطيع إنكار أنها اختارت الشقة وهي تفكر فيها. فإذا كانت لنفسها، فكانت ستختار "أجلا" منزلًا ذا طابع حديث.

بحثت عن رقم "سونيا" في تليفونها، وشعرت بارتياح عميق لردها. ولكن لم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا حتى شعرت "أجلا" أن "سونيا" لم تكن في أفضل حالاتها المزاجية، وأنه لن يمر وقت طويل قبل أن تنتهي المكالمة. سألتها "سونيا":

- وكيف تسير الأمور في البنك؟

على الرغم من أن "أجلا" تعلم أن السؤال قد تم طرحه من باب المجاملة، فإنها قررت الإجابة بشيء من التفصيل، حتى لو كان ذلك فقط لإبقاء "سونيا" على الخط.

- الأمور على ما يرام، لكنها معقدة للغاية.

وذكرت "أجلا" أن الأمر كله يتعلق بإصدار فاتورة لشركة في آيسلندا لتجاوز القيود المفروضة على العملة، فسألت "سونيا":

- وأعتقد أن هذا ليس قانونيًا تمامًا.

ضحكت "أجلا" ثم قالت:

- لا تكوني سخيفة.

وتمنت لو كانت "سونيا" في حالة مزاجية أفضل، حتى تلمح لها وتسألها إذا كانتا ستجتمعان مرة أخرى، ومتى، فسألتها "سونيا":

- إلى متى سيبقيكِ هذا العمل هناك؟

كان ذلك هو التلميح. الدليل. أرادت أن تعرف متى ستعود "أجلا" حتى يلتقين.

- سأذهب إلى باريس يوم الإثنين وأنتهي في لندن نهاية الأسبوع. يجب أن ينتهي هذا الأمر.

سألت "سونيا":

- يبدوا أن هذا شيء كبير إذن؟

مرة أخرى، وكأنه سؤال مجاملة لإبقاء المحادثة وليس لأنها مهتمة بشيء بعينه. قالت "أجلا":

- كبير جدًا. أكبر صفقة شاركت فيها.

فقالت "سونيا":

- جيد جدًا.

ولاحظت "أجلا" بطريقة ما نبرة سخرية في صوتها. وفجأة، شعرت أن هذه الشقة الفسيحة فارغة جدًا وبيضاء للغاية. سارت إلى النافذة ونظرت إلى القناة في الأسفل. رأت شخصين يجدفان بزورق قابل للنفخ مزدوج. لكن بدا أنهما يكافحان للحفاظ على تزامن تجديفهما، فبدا القارب وكأنه يدور ويميل في المكان نفسه دون التحرك إلى الأمام، فسألت:

- ماذا تقترحين؟

- لا شيء. أنا لا أقترح أي شيء.

أرادت "أجلا" أن تحول المحادثة، وأن تأخذها في اتجاه شخصي أكثر، وتسأل متى ستكونان قادرتين على رؤية بعضهما بعد ذلك، ولكن قبل أن تتمكن من القيام بذلك، أنهت "سونيا" المحادثة بسرعة بطريقة ما ثم أغلقت الخط.

30

كان تيار الخليج يدفئ آيسلندا. وبدونه، لصارت فصول شتاء الجزيرة بلا شك كتلك التي في جرينلاند. ارتجف "براجي" من البرد رغم ارتدائه السترة الصوفية ومعطفه والوشاح السميك الذي لفه حول رقبته مرتين. من الصعب

تصديق أن نوك وريكيافيك تقعان على دائرة العرض نفسها. ورغم أن الهواء كان منعشًا، فإنه لم يكن ذلك الجو الرطب الذي اعتاد عليه في هذا الوقت من العام في بلده. كان منظر "سيرميتسياك" رائع الجمال، وهو الجبل الذي يلوح فوق المدينة. يعتبر جبل "إيسيا" في ريكيافيك تلة رملية مقارنة به.

كان خلف "أكسل جونسون" مباشرة حين قام كلاهما بتسجيل الدخول بفندق "هانس إيجيدي"، حتى أنه وقف قليلًا بجانبه في المدخل، بحرص ألا يلفت الأنظار. والآن، أسرع وراءه في شارع له اسم طويل لم يتمكن من حفظه؛ يحمل على الأقل ثلاثة حروف "ق". حمل "أكسل" حقيبته على كتف واحدة، وكان واضحًا أن بها بعض الوزن. بدت مصنوعة من قماش أصفر شاحب كحقيبة مدرسية. كان هذا النوع أكثر ما شاهده "براجي" من الحقائب يحمله الرجال، بعد أن أصبحت الحقيبة المستطيلة المصنوعة من الجلد قديمة الطراز بعيدة عن الموضة الحديثة.

مضى "أكسل" في طريقه وأخذ منعطفًا يمينًا في شارع يحمل اسمًا أطول لا يذكر منه سوى "صامويل". مر برجل جالس على الرصيف يبيع السمك من صندوق بارد صغير، فتباطأ "براجي" ليلقي نظرة على السمك، لكنه لم يجرؤ على التوقف؛ خوفًا من إغفال "أكسل"، أو ربما فقدانه داخل أحد المنازل. ولم يتوقف "أكسل" أيضًا، إلى أن أخذ منعطفًا يمينًا آخر، فالتقط "براجي" أنفاسه حين رآه يدخل إلى مطعم.

تبعه "براجي" بعد دقيقة وجلس على طاولة بجوار النافذة، ليتمكن من مراقبة "أكسل" الذي اختار طاولة في الداخل. كان مطعمًا للوجبات السريعة، قائمته مزينة بعلم دنماركي، لكن الطعام بدا أمريكيًا. طلب "براجي" برجر ورقائق بطاطس، بدلًا من أضلاع لحم الخنزير التي كان يفضلها، لكنه قلق من

أن تحضيرها سيستغرق وقتًا أطول. أراد أن يكون سريعًا حتى يتمكن من متابعة "أكسل" حين ينطلق مرة أخرى.

اضطر "أكسل" إلى الانتظار لفترة أطول للحصول على طلبه، مما أعطى "براجي" الوقت لتناول البرجر الخاص به بينما عبث "أكسل" بتليفونه. شاهد "براجي" العالم يمر بالخارج وابتسم عند رؤيته الأطفال يلعبون الحجلة عبر الشارع. وكانت مغطاة، جزئيًا، بالجليد، ثم أخذوا يتسلقون المنحدر الثلجي مرارًا وتكرارًا للانزلاق على مؤخراتهم. لا يتغير الأطفال في جميع أنحاء العالم.

تضاعف اهتمامه حين فُتِح باب المطعم ودخل رجل. لم يكن يبدو من سكان البلد الأصليين "الإنويت"، ولم يبدُ أوروبيًا كذلك. من لونه، بدا أنه من مكان بعيد. ذهب مباشرة إلى الطاولة حيث كان "أكسل" ثم جلس مقابله. ندم "براجي" الآن على جلوسه بعيدًا جدًا، فلن يمكنه سماع ما يدور بينهما. لكنه لم يلبث أن يندم، فقد وقف الرجل على الفور تقريبًا واتجه نحو الباب. أخذ "براجي" حفنة من البطاطس للتسلية في الطريق، وكان سخيًا في تركه للبقشيش على الطاولة. صارت الحقيبة الصفراء الآن على كتف الرجل الراحل.

31



تحسست "أجلا" السرير. لم تحتج إلى فتح عينيها لتعرف أن "سونيا" ليست بجانبها، ولم تعد تتعرف على الرائحة التي أغرقت بها الوسادة في الليلة

الماضية حتى تتمكن من تخيل أن "سونيا" كانت بجانبها، قبل أن تفتح عينيها وترى الواقع.

ظلت تفكر في مكالمة أمس، ولعنت نفسها لأنها لم تقل ما وجب عليها قوله في الوقت المناسب. كانت تلك هي الطريقة التي دارت بها الأمور بينهما. وكأنهما لا تستطيعان التوصل أبدًا لحل يرضيهما بخصوص علاقتهما كيف ستسير. يكون الأمر بائسًا دائمًا حين تصل الأشياء لهذا الجفاء بينهما. خاصةً الآن، بعد فترة انقطاع طويلة ووحيدة لكلتيهما. مدت يدها لتمسك بتليفونها من على طاولة السرير، وبحثت عن رقم "سونيا"، لكن المكالمة تحولت إلى البريد الصوتي. يجب أن يكون تليفونها مغلقًا. ستحاول مجددًا في المساء.

بدا الأمر مألوفًا، ولولا وجود لمسة درامية لقالت إنه متكرر. تلاحق "سونيا" حتى تكون بين ذراعيها، ثم تفسد الأمور دون أن تعرف كيف. وقبل البدء في ملاحقتها هذه المرة، أحست "أجلا" بتورد خديها، وظهر شعور مألوف؛ الندم. وكأن "سونيا" قد أحيت بداخلها مجددًا شعور الذنب الذي خلصتها والدتها منه حين كانت في العاشرة من عمرها، حين أخبرتها: "الشعور بالذنب هو ما يسبب للمرأة معظم المشكلات في الحياة. تتحررين إن تخلصتِ منه". قالت ذلك بعد أن استلقت "أجلا" على سريرها تبكي، بعد أن تسللت إلى الميناء بصنارة أخيها وأضاعتها. قالت والدتها:

- ألقِ نظرة على إخوتك. إنهم ليسوا نادمين. فقط ينسون ويكملون. يضعون كل شيء خلف ظهورهم. لا يمكنكِ تغيير الماضي على أية حال. فلماذا تدعينه يقلقك؟

بعد أن غادرت والدتها الغرفة وطلبت من ابنها الغاضب أن ينضج ويتخطى الأمر، ظلت "أجلا" مستلقية في سريرها تفكر. علمت أن والدتها على حق. فوخزات الضمير تلك ما هي سوى عائق للإنسان.

كان ذلك عندما تخلى عنها شعور الذنب، ولم يعاود الظهور إلا بعد عقود. عندما شاهدها "آدم" مع "سونيا"، و"توماس" الصغير ممسك بيده. تدمرت حياة الأسرة بأكملها على الفور، بسببها. ومنذ ذلك الحين، شعرت أن كل شيء متعلق بـ"سونيا" يعيد ذلك الشعور بالذنب، ممزوجًا بمشاعر أخرى قد بدأت أيضًا في الظهور، مثل العار.

جلست "أجلا" على حافة السرير، ورفعت ذراعيها ومددت جسدها. أنهكها لبس الكعب من يوم أمس وتركها تعاني آلامًا في الظهر، فقررت أن ترتدي الأحذية الرياضية لبقية الأسبوع. هذا ما ستصب عليه اهتمامها الأسبوع القادم؛ الأحذية الرياضية والبناطيل الرسمية وعمل البنك.

ستكون "سونيا" مشغولة بأعمال الكمبيوتر الخاصة بها على أية حال. ويمكن إذًا لحسم الأمور بينهما أن ينتظر حتى تتفرغا. وبقدر ما اشتاقت للعودة إلى المنزل، وبذل ما بوسعها لكسب عطف "سونيا"، لم يكن ذلك على جدول أعمالها. كان يجب على الحياة العملية أن تأخذ الأولوية الآن. هناك فقط مكالمة واحدة كان عليها إجراؤها للتأكد من أن كل شيء على ما يرام. ولمنع سوء الفهم لاحقًا.

رد "إنجيمار" قبل أن يكمل التليفون جرسه الأول، فقالت:

- أردت فقط التأكد من معرفتك بشيء ما.

قال "إنجيمار"، واستطاعت سماع ثِقَل تنفسه:

- وهو؟

- عندما تصلك الفاتورة، الفائدة هي سعر "الليبور"، بالإضافة إلى فائدة "دويتشه بنك" المعتادة.

- لماذا؟

استطاعت "أجلا" سماع استيائه في تلك الكلمة. قالت:

- يتم تخفيض كل دفعة، لأن سعر فائدة "الليبور" أقل مما ظننت، ولكن هناك فرصة لتعويض مدفوعات فوائد الشركات مقابل ضريبة أرباح الشركات، طالما أن القروض بالشروط المعتادة.

- رغم انتهاء الدفعة في المجموعة نفسها؟

- أجل.

- نحصل إذن على إعفاء ضريبي على هذا الأمر؟

وسمعت "أجلا" الضحك في صوته، فقالت:

- هذا صحيح، طالما أننا نستخدم ما يسمى شروط معتادة؛ كمعدل "الليبور"، على سبيل المثال.

ضحك "إنجيمار" بهدوء، وقال:

- لست متأكدًا إذا كنتِ مجنونة أم عبقرية.

وابتسمت "أجلا" قبل أن تنهي المكالمة.

ذهبت إلى الحمام وفتحت الدش. التحدث إلى "سونيا" يجب أن ينتظر لحين العودة إلى آيسلندا. سيكون عليها الآن ارتداء قناعها الصلب لتغطي به آثار آلام

الندم، والتركيز في العمل. احتاجت إلى القدرة على التفكير بوضوح. سيكون الأسبوع القادم مهمًا لها.

32



أثناء رحلتها إلى أمستردام، لم تكف "سونيا" عن لوم نفسها، فلم تشغلها طول الرحلة ولا الاستيقاظ مبكرًا وكذلك لم يرق لها أبدًا أن تضطر إلى الاستيقاظ في منتصف الليل، وهي الآن في قطار المطار متجهة إلى المدينة. عادة ما وجدت رحلات القطار مريحة، وذكّرتها أصواته الإيقاعية بنبضات القلب وهو مطمئن وأشعرتها بالأمان. لكن هذه المرة، وجدت الصوت مزعجًا. كل ما شاهدته من النافذة بدا قبيحًا، ولم تلحظ لا السماء الصافية ولا الأشجار النابتة. لم ترَ سوى القمامة الموجودة بمحاذاة الطريق السريع ورسومات الجرافيتي على حطام جدران مر بها القطار. شعرت أن حياتها قد تراجعت خلال الأسبوع الماضي ولم تكن تسير في الاتجاه الصحيح. وكأن وقوعها في فخ "آدم" مرة أخرى لم يكن كافيًا، وكذلك لم تصمد أمام إغراءات "أجلا". وأعاد ما حدث بينهما كل التوقعات والخيبات المعتادة. أمس كانت قد تحدثت معها على التليفون عن جميع الأعمال المصرفية التي تعلم جيدًا أن "سونيا" ليس لديها أي اهتمام بها. سمعت ما يكفي بخصوص هذا الهراء، عن عمليات الدمج والاستحواذ والرهن أو أيًا كانت تدعى تلك الأشياء. لا تستطيع التركيز أبدًا عندما تظهر تلك الأشياء المصرفية، فيذهب اهتمامها على الفور لشيء آخر. وبقدر ضجرها من الأمر برمته، شككت أن هناك شيئًا من المازوخية، على

الأرجح، في وجود زوج وعشيقة لها يعملان بالقطاع المصرفي. لكنها تعلم أن "أجلا" تثرثر بسبب الحرج، فهي لا تملك شيئًا آخر للحديث عنه.

عاهدت "سونيا" نفسها كثيرًا في الماضي بأنها ستبقى بعيدة عن "أجلا" بعد أن تسببت علاقتهما لها باضطرابات عاطفية وخيبات متتالية. لكن هذا الأسبوع أذاب عهودها السابقة لنفسها. فقدت السيطرة مرة أخرى وساقها شغفها بلا حول منها ولا قوة، وكأن فيضانًا قد جرفها.

أما الآن، أمامها تسليم، ولم يكن التشتت خيارًا. عليها أن تصب كل تركيزها على ما في يدها من عمل، وأن تكون حذرة وأن تبقي حواسها متيقظة وأعصابها جاهزة. يمكن لأي شيء يحدث في غير محله في مثل هذا العمل يتسبب في حدوث خطر شديد. كان من الضروري التأكد من أن "أجلا" لن تشتت انتباهها.

تركت محطة السكة الحديد المركزية، وخرجت في الهواء الرطب. كانت قد أمطرت مؤخرًا، فهناك رائحة قوية لربيع قريب. من الواضح أن آيسلندا جزء من أوروبا بالاسم فقط؛ فلا يزال ما لا يقل عن شهر على الأقل قبل ظهور أي علامة للربيع قرب الدائرة القطبية الشمالية، بينما توجد هنا كومة من أزهار التوليب الملونة.

حجزت شقة صغيرة عبر الإنترنت، ودفعت من حساب "باي بال" الخاص بشركتها في محاولة منها لمحو أي أثر ممكن من الأدلة. قلبت في ذهنها فكرة الوثوق في "براجي" لمراقبة كل شيء من عدمها، لتتمكن من أخذ رحلة مباشرة إلى المنزل بالشحنة، أو إذا كان عليها أن تجعلها انتقالية. أثناء انتظارها في طابور سيارات الأجرة، أخرجت جدول مناوبات "براجي" لدراسته. سيكون في

الخدمة أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس. سيكون الثلاثاء مناسبًا للعودة بالشحنة، مما يمنحها متسعًا من الوقت للجلب والتعبئة والتخطيط.

33



تنهد "براجي" بارتياح بينما هبطت الطائرة على أرض آيسلندا. لم يعد يحب أبدًا التواجد في الخارج بدون "فالديس"، وفقد الاهتمام باكتشاف العالم حين لم تعد تستطيع أن تكون إلى جانبه. ورغم أن عمله تضمن مشاهدة آلاف الأشخاص وهم يسافرون داخل وخارج البلاد، لم يشعر تجاههم بأي حسد، فهو راضٍ عن مكانها الحالي. هي الآن في المنزل. وكان يتوق عند فتح الباب لرائحة كريم الوجه الخاص بها وكذلك صوت الراديو.

أمضى ظهيرة أمس في التجول حول نوك، متتبعًا الرجل الذي أخذ حقيبة "أكسل". انتظر وهو يرتجف في البرد بينما دخل الرجل متجر بقالة صغيرًا، ثم ظهر بدون الحقيبة، ولكن بصندوق كبير في يديه. للحظة، شك "براجي" إذا كان عليه الاستمرار في ملاحقة الرجل. لكنه تأكد من أن محتويات الحقيبة أصبحت الآن في الصندوق، الذي بدا مملوءًا بمشتريات البقالة.

تمشى الرجل به إلى رصيف الميناء ثم استقل سفينة مطبوعًا على جانبها "هوليدايز أركتيك لرحلات القطب الشمالي البحرية". كانت سفينة ضخمة، رغم أنها كانت بمثابة قزم بالمقارنة بحجم بواخر آيسلندا السياحية. وعند مؤخرة السفينة، وقف علم كندي بلا حياة وسط سكون الجو. انتظر "براجي"

بعض الوقت على الرصيف ليرى إذا كان الرجل سيظهر مرة أخرى، لكن لم يكن هناك له أي أثر. وبدلًا من ذلك، صعد كثير من السائحين حاملين الكاميرات إلى الممر. وبعد فترة وجيزة، كانت السفينة قد غادرت الرصيف وشاهدها "براجي" وهي تخرج من مضيق نوك.

عند عودته إلى فندق "هانس إيجيد"، بينما كان يجلس في الصالة مستخدمًا كمبيوتر الفندق ليبحث عن "هوليدايز أركتيك" - كما سماها "أتلي ثور" - وضع "براجي" نظرية ما تعارض جميع الأفكار المتعارف عليها والتي يعمل عليها موظفو الجمارك. لكن هذه المرة، سار كل شيء في مكانه الصحيح. كانت شركة "هوليدايز أركتيك" هي إحدى شركات الشحن القليلة المشتركة بين كندا وجرينلاند. حينها أسند ظهره إلى كرسيه وابتسم. شعر أنه اكتسب نظرة ثاقبة إلى بعد جديد. كل تلك السنوات التي قضاها في الجمارك كانت تدور حول أنماط معروفة والكل يعلمها، ولكنها لم تكن ظاهرة. الآن، ها هو يراها بعينيه واضحة جدًا.

ها هو يجلس، ضابط جمركي في نهاية خدمته وستينياته، في فندق بعاصمة جرينلاند، مع أكبر مفاجأة بإمكانه تخيلها بين يديه، وليس في استطاعته إخبار أي شخص بها.

والآن وقد عاد إلى أرض الوطن بلا أمتعة ينتظرها، غادر المطار على الفور. جلس في سيارته متوجهًا إلى المنزل. أراد أن يجلس مع "فالديس" بعد العشاء، وأن يسمع بعض الموسيقى الجميلة، ويفكر. وكان لديه بالتأكيد ما يفكر فيه.

34



حين عاد "توماس" من تدريب كرة القدم، كان والده جالسًا مع "ديسا" على الأريكة في غرفة المعيشة. منذ الخميس، لم يرَ "توماس" والده إلا عابرًا. كان التزام "توماس" بالوعد الذي وعد به نفسه بعدم التحدث إلى والده لم يتم اختباره بعد. دخل "توماس" المنزل غارقًا بالمياه، حيث قرر مدرب الفريق أنه سيكون من الجيد الإحماء بالجري في الخارج. كانت درجة الحرارة أعلى من الصفر. لكنها أمطرت طوال الوقت. من الرائع أن يرى الأولاد في فريق كرة القدم مرة أخرى. ولحسن الحظ، لم يسأل أي منهم أين كان. فقط قالوا "مرحبًا" وأكملوا التدريب. كان "دانكن" سيستمتع بلعب كرة قدم حقيقية كهذه. ربما حتى تدفعه إلى القليل من الاحترام لكرة القدم. بدلًا من اقتناعه بأن اللعبة الوحيدة التي تستحق اللعب هي كرة السلة، والتي شعر "توماس" أن ذلك أفق ضيق منه جدًا؛ فهو يحب جميع مباريات الكرة، لكن كرة القدم هي المفضلة لديه بطبيعة الحال.

خلع ملابسه المبللة في الحمام وكان على وشك تشغيل صنابير الاستحمام عندما سمع والده يصيح من غرفة المعيشة.

–استحم يا "توماس". يجب دائمًا أن تستحم بعد التمرين، أتتذكر؟

حينها توقف في مكانه وذهب إلى غرفته ولبس ملابس جافة. لم ينوِ إرضاء والده برؤيته يفعل ما قيل له. وقد فضل البقاء في غرفته، لكن الجوع تغلب على تحفُّظاته؛ فكل هذا الجري جعله مفترسًا. جاء والده حين ظهر في المطبخ وسأله:

-هل أعد لك شطيرة؟

فاستدار "توماس" وجلب الخبز بنفسه من الخزانة. راقبه والده بصمت وهو يفرد الزبدة على الخبز وعليها بعض قطع الجبن. وعندما جلس "توماس" لتناول الطعام، جلس والده على كرسي بجانبه، ووضع يده على ظهره وربت عليه بلطف وقال:

- لا تمتعض يا "توماس".

كان هناك شيء في نبرة صوته جعلت "توماس" يتوق للكم والده في وجهه، بقوة. أخذ لقمة ثم لقمة أخرى، حتى امتلأ فمه وأصبح غير مضطر إلى قول أي شيء.

فسأله والده وبالكاد تظهر ابتسامة على شفتيه، وكأن هناك شيئًا مضحكًا حول كل هذا:

- ألن تتحدث معي؟

هزَّ "توماس" رأسه، واختفت الابتسامة.

سعل والده وبدأ في الكلام بتردد:

- آه.. أنا آسف إذا غضبت منك ذلك اليوم يا "توماس". لقد كان أسبوعًا صعبًا على كلينا. أتمنى أن تسامحني يومًا ما على كل ما حدث في أمريكا. حسنًا؟ فقط أردتك أن تعود. لم يكن لأمك الحق في أن تأخذك بعيدًا بهذه الطريقة.

اكتسب صوت والده قوة الآن وتلاشى التردد:

- لقد توصلت أنا وأمك إلى اتفاق، وقد أخلّت به بالفرار إلى بلد آخر دون أن تخبرني بمكانك، لذلك بالطبع كنت غاضبًا. ماذا كان يفترض بي أن أفعل؟

لم يكن لدى "توماس" إجابة على ذلك. لم يكن لديه حل لكل هذا. أراد فقط أن يكون مع والدته، ثم وقف، وأحضر ورقة وقلمًا من درج ما، وكتب عليها **"أنا لا أتحدث إليك. فقط أمي وديسا"**. امتعض والده، واستطاع "توماس" أن يرى لونه يتغير، كملامحه. همس والده:

- سنرى ماذا نفعل حيال ذلك، يا بني.

ثم غادر وأغلق الباب خلفه، وذهبت "ديسا" إلى غرفة النوم وأغلقت الباب خلفها. وبينما كان "توماس" ينهي شطيرته، سمع أصوات تكسير وخبط عنيف من المرأب، بدا أن والده يرمي بالأشياء على الحائط.

35



- مرحبًا بك في باريس.

صاح "ويليام تيد" ببهجة، وهو يركز على نطق اسم المدينة بفرنسية صحيحة. كان أمريكيًا، يعمل في بنك أمريكي بفرنسا لما يقرب من عقد من الزمان، لكنه بالكاد يتحدث الفرنسية. ورغم هذا فهو يبذل جهدًا لإضافة لكنة فرنسية لائقة على لغته الإنجليزية حين يتطلب الأمر.

قالت "أجلا" وهي تقبله على وجنتيه:

- شكرًا لك.

ثم جلست حول الطاولة. سألها متحمسًا:

- ما رأيك في المكان الذي اخترته لاجتماعنا؟

أومأت "أجلا" برأسها مجاملة.

كان مطعمًا عائليًا صغيرًا في "شيفروز" على مشارف باريس تملؤه رائحة ثوم شهية. كان ذلك المطعم يومًا ما، على ما يبدو من جدرانه السوداء العفنة والمحاطة بالأعشاب الضارة، مسكنًا لحارس بوابة القصر الصغير الذي كان على قمة التل.

كانت مائدتهما في ركن من الحديقة، يفصلها عن منطقة تناول الطعام فروع من الأشجار تتخللها فروع من النباتات المتسلقة. فـ"ويليام" موظف البنك الأمريكي التقليدي هناك شيء واحد يميزه، أنه يعرف كيف يفاجئك، كشخصية متحمسة ومتطلبة، ولطالما كان العمل معه مرضيًا.

وكان يقدر الطعام الجيد كما أن لديه موهبة اختيار أماكن تناول الطعام، على عكس الأولاد في لندن الذين اعتادوا الذهاب إلى المطاعم الباهظة، متوقعين تناسب الجودة مع السعر. قال وهو يصب لها:

- حرصت على إحضار زجاجة معي.

لم تتعرف على نوعها، لكن مع أول رشفة، وجدت النبيذ جافًا وخفيفًا. قالت وهي ترتشف مرة أخرى:

- رائع!

ورأت كيف تألق وجه "ويليام" بارتياح، ثم قال:

- دائمًا ما أحضر زجاجة إلى هنا. فليس لديهم سوى نبيذ منزلي لا يصلح للشرب بالمرة. لكن الطعام، الطعام هنا مبهج. بسيط، ولكنه رائع.

فأسرعت "أجلا":

- تمامًا كالذي ستقوم به لأجلي.

فضحك "ويليام".

- بالضبط. ببساطة وإتقان. أليست هذه هي الطريقة التي اعتدنا بها فعل الأشياء، يا عزيزتي "أجلا"؟

وقال "عزيزتي" بالفرنسية.

كان محقًا، فقد قاما معًا بعمل جيد، وكل المشكلات التي أتت أعقاب الأزمة المالية لم تكن خطأه. ومن جانبه، تعامل بحرص مع الأمور التي كانت تخصه وانتهى منها. والدليل على ذلك أن اسمه لم يظهر في تحقيقات النائب العام عن العمل الذي كان مسؤولًا عنه جزئيًا.

سلمته "أجلا" الأوراق التي تناولت، بالتفصيل، الجزء الذي يخصه من الخطة، وشاهدت وجهه الصبياني والدهشة تعتليه تدريجيًا وهو يقرأ. بدأ برفع حاجبه، ثم نظر إليها للحظة بعينين ضيقتين، وتابع القراءة، ثم فتح فمه أخيرًا وتنحنح، وأخذ رشفة من النبيذ ووضع الأوراق جانبًا، وقال:

- كبيرة. صفقة كبيرة جدًا.

- هذا صحيح.

- أحتاج ثلاثة أيام.

فردت "أجلا":

- لديك أربع وعشرون ساعة.

تنهد "ويليام"، ثم قال:

- أنتم الآيسلنديين دائمًا على عجلة من أمركم.

ثم أخرج تليفونه وطلب رقمًا، سمعته "أجلا" يطلب وسيطًا ومساعدًا لإرسالهما إليهما على المطعم معهما مستندات البيع التي تم إعدادها بالفعل مع شركة "أفانس" باعتبارها البائع وشركة "إيه جي كيه - سايمان" بصفتها المشتري، ثم قرأ له أكواد القرض من الأوراق. تحدث بسرعة، ونسي تمامًا أن يضيف لهجة فرنسية إلى "شكرًا" التي أنهى بها المكالمة. قالها بالإنجليزية، ثم وضع الأوراق على المنضدة وتليفونه فوقها، وقال:

- يمكن لهذه أن تكون بداية جيدة لعلاقة عمل جديدة.

فأومأت "أجلا" برأسها. يمكن لهذا الأمر أن يخدم كل من أخذ جزءًا من التحويلات: "ويليام"، والبنك في لوكسمبورج، والرجال في لندن، وأولهم شركائها، ثم قالت وهي ترفع كأسها أمام كأسه:

- نخب تعاون ناجح.

ثم قال، بينما ظهر النادل بطبق ساخن من الفرن ووضعه منتصف المائدة:

- انتهزت الفرصة وطلبت الحلزون لنبدأ به.

قالت "أجلا" مستنشقة رائحة الثوم:

- رائع.

وألقت المنديل المرقَّط باللونين الأحمر والأبيض في حجرها.

كان "ويليام" هو من علمها تقدير الطعام. وقبل أن يلتقيا، اعتادت جرف الطعام بسرعة ككلب جائع، وهو ما اعتادت عليه من نشأتها في أسرة مليئة بالأولاد. فقد أخبرتها والدتها حين كانت في الثامنة من عمرها:

- عليكِ فقط فعل ما يفعلونه.

ودائمًا كانت تشتكي من أنها لا تزال جائعة بعد وجبة قام الأولاد فعليًا بالتهامها في لحظات قليلة، وحين سألتها:

- ألا يمكنك إعطائي حصتي أولًا؟

هزت والدتها رأسها، وأجابت:

- هل من العدل أن يحصل شخص ما على حصة لنفسه بينما لا يأخذ الآخرون مثله؟ سيكون عليك القتال من أجل ما هو ملكك. إنه لعالم صعب بالخارج.

وهكذا، شيئًا فشيئًا، أصبحت السرعة هي ما يحدد إذا كانت ستأكل حتى الشبع، حيث بدا أن الأولاد عندما يتعلق الأمر بالطعام، لا يتوقفون ولا يتشاركون. وبطريقة ما، طورت عادة الاتكاء على طبقها وإفراغه بأسرع ما يمكن. استمر هكذا حتى قابلت "ويليام"، الذي سألها مبتسمًا عما إذا كانت في صغرها طفلة جائعة.

أمضيا وقتها فترة الظهر في مكان صغير في "مون برناس"، حيث طلب سبعة أطباق، ثم طلب منها المضغ ببطء، وتذوق كل لقمة منهم، بينما أمضيا ساعات في التخطيط للجولة التي ستسلكها الأموال حول العالم. خلال تلك الوجبة، شعرت بشيء بداخلها يسترخي.

والآن، سمحت لكعكة الشوكولاتة أن تذوب في فمها، شوكة كاملة في كل مرة، بينما قام "ويليام" ومساعده، الذي وصل وجلس على كرسي متهالك و"اللابتوب" على ركبتيه، بتجميع أوراق ومبالغ القرض. وبمجرد الانتهاء، كانت ستلقي نظرة على كل شيء بنفسها. وبعد ذلك، لم يتبقَ إلا لندن.



36



فضّلت "سونيا" كثيرًا ضجة النشاط على الجلوس بلا حراك، فتوترها يقل حين تنشغل، كما أنها تقلص حدة ألم الشوق الذي يتشكل دائمًا في بطنها عندما تبتعد عن "توماس" لفترة طويلة.

خرجت للتسوق، وأحضرت كل علب المخلل الذي استطاعت حملها في حقيبتين كبيرتين إلى شقتها المستأجرة، وانشغلت بتفريغ البرطمانات وغسلها وتجفيفها، ثم سحبت الستائر عبر كل نافذة. وهو أمر مؤسف، حيث يوجد خارج نافذة المطبخ رقعة خضراء صغيرة مليئة بأزهار التيوليب التي على وشك أن تنشق إلى براعم حمراء وصفراء صغيرة. كانت شقة صغيرة يسكنها بعض الشباب، يؤجرونها أحيانًا للمسافرين لزيادة دخلهم.

كان تسليم الشحنة سلسًا ومباشرًا، حيث قامت امرأة شابة ذات شعر أسود بتسليمها الحقيبة بدون التفوه بكلمة بينما جلست منتظرة على حائط تمثال "سبينوزا"، ثم استدارت وابتعدت. التفتت "سونيا" بسرعة حولها للتأكد أنه لم

يلحظ ما حدث أي من الأشخاص الذين يمشون أو يركبون الدراجات فوق جسر القناة. لكنها لم تنظر داخل الحقيبة حتى عودتها إلى الشقة المستأجرة. اندهشت من سوء تعبئة الشحنة. كان المسحوق في كيسين عاديين من البلاستيك، ومربوطين بربطة شعر. لا يمكن أن تكون البضائع قد أتت من أمريكا الجنوبية بهذا الشكل، يجب أن تكون شحنة أكبر وقد تم تقسيمها.

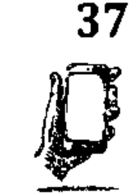
خلعت ملابسها، وارتدت زوجًا من القفازات المطاطية ثم أمسكت البضائع ووضعتها على طاولة المطبخ. بمجرد أن رتبت البرطمانات في صف واحد، قامت بقصِّ الربطة برفق من الكيس الأول وبدأت في نقل المسحوق برفق في البرطمان الأول باستخدام ملعقة. كان من المغري الإسراع بسكب المسحوق مباشرةً، لكن التسرع كان أحد الأشياء التي قد تعرضها للخطر، لذا استمرت "سونيا" في ملء البرطمانات، ملعقة تلو الأخرى، بحرص ألا تضيع حُبَيبَة واحدة، فقد تتسبب كمية صغيرة خارج البرطمان في حدوث جميع أنواع المشكلات. لم يشكِّل وجود "براجي" بجانبها أي فرق، ولم يكن هناك سبب لتحمُّل أي مخاطر، ويجب أن تكون الشحنة أبعد ما يمكن عن كلاب الشم. كان البرطمان التاسع قد امتلأ تقريبًا عندما جمعت آخر بقايا للمسحوق من الكيس الثاني. خلعت القفازات وغسلت يديها بعناية في حوض المطبخ وأحكمت غلق أغطية البرطمانات بإحكام وبحذر، ثم رتبتها في غسالة الصحون ووضعتها على دورة غسيل سريع.

في الحمام، فتحت صنبور الاستحمام، ثم رأت أن تليفونها، الملقى على خزانة الحمام، يومض. نظرت إلى الشاشة ورأت أنها "أجلا"، للمرة الثالثة، فقلبت التليفون على وجهه وراحت تراجع كل مرحلة كان عليها القيام بها. وبمجرد أن استحمت، حزمت كل برطمان في مظروف بلاستيكي سميك واستخدمت آلة

التعبئة لغلقه، ثم قامت بلف كل واحد بالملابس وتعبئته في حقيبتها حتى لا يكون هناك احتمال لكسر أي منه. كان الزجاج هو المادة الوحيدة التي لا يمكن لرائحة الكوكايين أن تخترقها، مما يجعله مادة التعبئة المثالية. لكن هشاشته هو الجانب السلبي. سيكون الأمر كارثيًا إذا تحطم أحد البرطمانات، ثم كان هناك خطر استخدام الجمارك لأنظمة المراقبة الإلكترونية التي تحدد المحتويات، حتى عن بعد. وهذا يعني الاعتماد كليًا على "براجي"، وهو أمر غير مريح للتفكير فيه؛ فقد مر وقت طويل منذ أن اعتمدت على أي شخص على الإطلاق.

37





ليؤمِّن نفسه، ضبط "براجي" التليفون الذي أعطته له "سونيا" على الوضع الصامت، ثم وضعه في صندوق خزانته في العمل. بدت فكرة جيدة أن يحتفظ به هناك. لكن مع ذهابه إلى غرفة الموظفين للمرة الثالثة لتفقده، بدأت ركبتاه في الشكوى. صار يتقدم في السن أسرع مما كان متخيلًا، وأصبح أي مشي إضافي يشكل جهدًا أكبر، فأصبح الجلوس الآن أكثر راحة.

قام بإلقاء نظرة على التليفون وفتح ملف الرسائل ليرى إذا كان قد وصله أي شيء. والآن، في المرة الثالثة التي يتفقده فيها، وجد شيئًا ما؛ قلبًا. وهذا يعني أن "سونيا" ستصل في رحلة المساء، كما علم بالفعل من قائمة الركاب، فأجاب على رسالتها بقلب، مؤكدًا أن كل شيء جاهز لها.

كان قد أعطى إحدى النساء في مناوبته يومًا إجازة، حين اقترح عليها أن تأخذ يومًا إضافيًا، وهو يعلم أنها تقوم بالتحضير لتعميد ابنها في الكنيسة. تفاجأت المرأة باقتراحه تمامًا، فلم تكن تنوي أخذ ما يقول على محمل الجد. موقفها هذا مفهوم، فطالما كان "براجي" صارمًا بشأن الحضور. ألقت ذراعيها حوله وطبعت قبلة على خده، ثم قالت إنها لا تستطيع أن تصف له ما يعنيه ذلك بالنسبة لها.

كان بإمكانه القول إن الأمر مناسب جدًا بالنسبة له، بما أنها مشغولة في التحضير لحفل التعميد. وكذلك كان فريق التحليل أيضًا؛ على أتم الاستعداد، فقد أرادوا من الجمارك التحقق من اثنين بولنديين من المقرر وصولهما على رحلة "سونيا" نفسها، فخصص هذه الوظيفة لـ"أتلي ثور" ومتدرب من برنامج تدريب الجمارك، بينما سيهتم "براجي" بنفسه بصالة الوصول.

وضع التليفون في الجزء الخلفي من الخزانة، ثم أغلقها وغادر الغرفة. كانت ركبتاه تؤلمانه للغاية. لكن لا بأس، فـ"سونيا" غالبًا في الجو الآن، وسيكون أمامه ثلاث ساعات هادئة قبل أن تهبط طائرتها. يمكنه الجلوس بهدوء ومراقبة النوافذ.

تساءل إذا كان يجب أن يرسل لها رسالة يقترح فيها أن يتقابلا، ليخبرها عمًا حدث في جرينلاند. لكنه تردَّد على الفور. ربما كان ما يتوقعه هو مجرد مصادفة. ربما كان يفقد حدسه بالبدء في تخيُّل الأشياء. وحتى إذا كان استنتاجه صحيحًا، فليس هناك يقين من أن البضائع يتم تداولها بانتظام عبر جرينلاند. ما شهده يمكنه أن يكون حدث وانتهى، لمرة واحدة. أخرج كرسيًا وجلس عند النافذة المطلة على صالة الوصول. سيكون من الأفضل أن ينتظر قبل التحدث إلى "سونيا" عن جرينلاند. يفضل أن يتأكد من موقفه أولًا.

38



مع هبوط الطائرة، فعَّلت "سونيا" نظام الشحن الفوري على تليفونها الصغير. كان عمليًا عبارة عن قطعة أثرية، وقد استغرق بعض الوقت للاتصال بالشبكة. وبينما رحَّبت المضيفة بالمسافرين، كما هي عادة شركات الطيران، أصدر التليفون صوتًا لإعلامها بوجود رسالة. تنهَّدت بارتياح لرؤية القلب على الشاشة؛ القلب الذي طمأنها أن كل شيء جاهز لها. أرسله "براجي" متأخرًا قليلًا، وكانت تفضل أن تتأكد قبل الإقلاع. فإذا كانت هناك علامة تعجُّب تحذيرية، لكان الوقت قد تأخر لفعل أي شيء حيال ذلك. ستؤكد عليه أهمية سرعة الاستجابة حين يلتقيان في المرة القادمة.

توقفت الطائرة، وانتظر الركاب السماح لهم بالخروج. حينها، حضَّرت "سونيا" شخصيتها الزائفة في ذهنها كما تفعل دائمًا. تلك كانت استعداداتها، محاوطة نفسها بالغطاء الواقي الذي احتاجته ليشعرها أنها غير مرئية. سيسمح لها بالاختفاء وسط حشد الركاب دون أن يكون واضحًا أنها مختبئة. كانت سيدة أعمال كما قالت لنفسها. مالكة شركة "إس جي سوفت وير" للكمبيوتر. والسبب في رحلاتها المتكررة هو بيع وإدارة منشآت الحاسب الآلي في بلدان مختلفة. كرَّرت في نفسها هذه العبارات كتعويذة، وحرصت على عدم السماح لعقلها بالتفكير في حقيقة أنها بغل وضيع لا تعرف شيئًا عن أجهزة الكمبيوتر.

فُتحت الأبواب، فامتلأت الكابينة بالهواء النقي وبدأت الناس في التحرك. أخذت "سونيا" حقيبة يدها من الخزانة العلوية وعلقتها على كتفها، ثم لفت وشاحها الصوفي على ذراعها. استعدت لمواجهة ممر المطار بكاميراته التي

يراقبها موظفو الجمارك. تقدَّم الصف قليلًا إلى الأمام ومرَّ بالمضيفات اللواتي وقفن بجانب الباب لتوديع كل راكب، ابتسمت "سونيا" وقالت: "شكرًا" وهي تمر بجانبهن. خرجت إلى الممر، وبعد بضع خطوات فقط، كادت أن تفقد وعيها. رأت ثلاثة ضباط جمارك عريضي المنكبين ينتظرون.

دبَّ الرعب في جسدها. شعرت أن قلبها يذوب بداخلها. هل خانها "براجي"؟ هل صحا ضميره لهذه الدرجة؟ سعلت وابتلعت ريقها في محاولة لإبعاد الشعور بالاختناق، ثم حملت نفسها على السير طول الممر، خطوة تلو الأخرى، بثبات، تحافظ على هدوئها، وكأنه لا يوجد شيء. ذكّرت نفسها أن تتقن الشخصية؛ النسخة المزيفة منها، وأن تلعب دور الراكب البريء. سيدة الأعمال التي تسافر لبيع وصيانة أنظمة الكمبيوتر.

واصلت السير على طول ممر الوصول، تتصرف وكأنها لم ترَ رجال الجمارك. ولكن حين وصلت إليهم، تقدمت خطوة أكبر إلى الأمام.

- من فضلك التنحي جانبًا للحظة.

وبحركة تلقائية، تراجعت بقدم واحدة. ورغم أن فمها كان مفتوحًا، لم يصدر صوت من بين شفتيها. تحولت إلى عرجاء وبكماء، حتى أنها لم تستطع نطق كلمات الدهشة التي أخذت تتدرب عليها في ذهنها لهذه اللحظة فقط.

استغرق الأمر ثانيتين أو ثلاث لتغلق فمها وتكمل سيرها على الممر بعدما أدركت أن فريق الجمارك لم يكن يتحدث إليها، بل إلى الرجل الذي وراءها في الصف المغادر للطائرة.

كانت قد أنهت الممر وتوجهت نحو آخر داخل المحطة بعدما نزلت من المصعد، ثم شعرت باندفاع الإندورفين في عروقها، وصاحبه شعور راحة.

39



مرة أخرى وضعت "أجلا" التليفون جانبًا. واضح أن "سونيا" لن ترد. كل مرة تتصل بها، يرن التليفون طويلًا، ولا يكن هناك ردود على رسائل البريد الصوتي التي تتركها. كان رفضها الرد على التليفون مثيرًا للغضب. لكنها تستطيع التعود على ذلك، طالما أن "سونيا" لن تختفِي مرة أخرى، فاختفاؤها كان جحيمًا. أسابيع دون أثر لها، حتى أنها يئست من الجلوس في السيارة خارج منزل "سونيا" على أمل رؤيتها.

شعرت "أجلا" بالقلق ينمو بداخلها، فحولت تفكيرها بسرعة إلى المال، أو بالأحرى، العمل الذي كانت هنا لأجله. لم ترد أن تكون مكتئبة أثناء التعامل مع النقود، فهي ليست فكرة جيدة. وكأن التفاؤل، والغرور، هما ما يجعلان الأموال تزدهر. وساعدت جرعة من الثقة بالنفس على سير الأعمال بسلاسة، كما ذكّرت نفسها أنه من المهم أن تؤمن بنفسك وبالعمل الذي تقوم به. بدا الأمر وكأن هذه هي نقطة البداية.

بعد فوات الأوان، رأت أن هذا بالضبط هو الخطأ الذي حدث لهم قبل الأزمة المالية. دُمِّرَت أعصاب "آدم"، وأدى التوتر إلى مرض "يوهان"، الذي كان يتقيأ في سلة المهملات خلال كل اجتماع.

قال "يوهان"، مدير البنك، عندما التقى ثلاثتهم قبل حوالي عامين من الانهيار:

- إذا راجعنا أيًا من عملائنا قد يمنحنا قرضًا دون طرح أسئلة، فهناك مرشح واحد واضح.

كانت بشرته شاحبة وهناك حبة من العرق فوق شفته العليا؛ مؤشره المعتاد للإجهاد. احتجَّ "آدم" الذي عانى من نوبة هستيرية صغيرة بسبب التفكير في المشكلة التي سيقعون فيها جميعًا إذا عُرف ما كانوا يفعلونه، فكان أولئك عملاءه، وأجزم أنه يمكنه توقع ردة فعلهم إذا اختفى جزء من أموالهم.

جلست "أجلا" بهدوء طوال الاجتماع تخطِّط بصمت، ثم قالت عندما انتهى الاجتماع:

- يمكنني أخذ موافقة "ويليام" في باريس، ومن الأفضل ألا تعرفوا التفاصيل ولا أعرف من أين تأتي النقود. هذه آمن طريقة.

ثم قامت وخرجت.

لم يكن ذلك إلا إجراءً رسميًا. يعرفون جيدًا أنها على علم بمصدر الأموال، فقد جاءت من معارف "آدم" الذين دفعوا مبالغًا كبيرة كل أسبوع وقام "آدم" بغسلها لهم عبر حساب شركة مزيف. لم تعرف بالضبط مصدر الأموال، ولكن لم يكن من الصعب التخمين بأن الأمر مرتبط باتصال "آدم" اتصالًا سهلًا بشكل عجيب بالكوكايين. كان ذلك كفيلًا بأن يدق كل أجراس الإنذار، لكن هذا الكوكايين قد أثر بلا شك على حكم الثلاثة الموجودين في ذلك الاجتماع.

تمكنوا بعد ذلك من اقتراض مبلغ كبير كل أسبوع لإرساله في رحلة حول العالم. ومع عودة الأموال عن طريق بعض شركاتها، استخدموها لشراء أسهم في البنك نفسه. عملت الإستراتيجية بشكل جيد في البداية، وقفزت قيمة الأسهم، لكن مع تدهور الأمور في الأسواق المالية ودخول أسعار الأسهم. لم تعد هذه

المبالغ كافية. وفوق هذا، لا يمكن بيع الأسهم. لأن، بحلول ذلك الوقت، كانت قيمتها أقل من الدين، وكان عرضها للبيع سيقلل من قيمة البنك بدرجة أكبر.

تلك هي الفترة التي كان فيها "آدم" يتصبب ما يكفي من العرق لتغيير ثلاثة قمصان في اليوم الواحد، ويتقيأ "يوهان" في صناديق القمامة. كان وقت طرح الفكرة والاستعداد لفعل شيء جذري للبنك؛ شيء كبير جدًا. شيء ضخم.

وهكذا تحول الدين البسيط إلى دين ضخم، بمساعدة "إنجيمار".

40



أعجبت "سونيا" بندبة "ريخارثور" الجديدة. كانت لا تزال زرقاء بجرح لم يلتئم بعد حول علامات الغرز الداكنة. عرج نحوها عبر الرصيف. شعرت "سونيا" كما لو أن صرخات طيور النورس الغاضبة هي موسيقى تصويرية ساخرة أثناء ذهابه إليها بصعوبة واضحة، ثم مد يده بصمت لأخذ الحقيبة.

فسألت محاولة حفظ ماء وجهها وإخفاء الخوف:

- أين ذهب غرورك الآن؟

كانت متوترة من مقابلة "ريكي" لتسليم البضاعة، فهو بالتأكيد ما زال غاضبًا منذ أن التقيا آخر مرة. كان عليه أن يعرف أنها هي التي ورطته، وجعلته يبدو كالمخبر الذي سرب المعلومات إلى الشرطة حتى يشبعه "آدم" و"ثورجير" ضربًا. لكن "آدم" طمأنها أن "ريكي" لن يكون مشكلة.

لم يجب "ريخارتور". فقط استدار وابتعد بالحقيبة. من الواضح أنه لم يكن لديه نية للتحدث معها. تنهدت "سونيا" طويلًا بارتياح. كان الصمت يفي بالغرض. قد يكون الصمت طريقتهم الجديدة في التعامل مع بعضهم، وذلك أفضل من الشتائم والإهانات الذي اعتاد التحدث إليها بهم من قبل. وبالتأكيد أفضل بكثير من وضع أصابعه الصلبة حول حلقها أو دفع قبضته في وجهها. يمكنها الاعتياد على الصمت.

وقفت على الرصيف تشاهده يبتعد. كانت المرة الأولى التي لم يكن بجانبه فتى بطقم أنيق من "أرماني" إظهارًا للقوة. أحسَّت حينها أنها من يمتلك زمام الأمور. كان شعورًا أحبَّته. جلست في السيارة وعلَّت المدفأة. شعرت بالبرد بعد وقوفها تنتظر "ريخارتور" تحت الندى البارد. عدَّت إلى عشرة، وأخذت ثلاثة أنفاس عميقة واتصلت بـ"آدم". قالت:

- "ريكي" معه البضاعة.

قال "آدم":

- جيد.

وحين سمعت أنه على وشك إنهاء المكالمة، قالت بسرعة:

- يجب أن نتحدث بشأن "توماس".

فقال:

- "توماس" ليس مجالًا للنقاش.

وأنهى المكالمة.

أخذت "سونيا" ثلاثة أنفاس عميقة أخرى في محاولة للسيطرة على عواطفها، لكنها فشلت. وسالت دموعها بينما سيطرت على عقلها صورة "توماس" في المطار، ووالده يسحبه بعيدًا عنها. كسرت قلبها مجددًا نظرة العجْز في عينيه وارتجاف جسده الصغير وهو ينظر إليها من خلف كتفه. تعرف جيدًا أن "آدم" يبتزها، أو فقط يعاقبها. وعاجلًا أم آجلًا، سيمكنها مقابلة "توماس"، لكن كان الانتظار أمرًا لا يطاق. ولم يكن بيدها شيء سوى الصبر، فمصيرها مرتبط بمصير "آدم". هي مذنبة بقدر ما قام هو بتهريب عشرات الكيلوجرامات من الكوكايين إلى البلاد. لذا لم يكن التبليغ خيارًا لديها. وإذا فعلت ذلك، لا شك أن "آدم" سيسحبها للهاوية معه، وسيبقى "توماس" حينها بلا أبوين.



41



فكَّت "ماريا" وشاحها قبل مغادرة مكتبها. لم يكن لديها فكرة ما الذي ينتظرها. كان "فينور"، الذي ينوب عن النائب العام في إجازته، قد أخبرها للتو أنهما بحاجة إلى الحديث، فقط هما الاثنين. ذهبت إلى غرفة الاجتماعات الأكبر، فوجدتها فارغة. ونظرت حول باب الغرفة الصغيرة المجاورة، لكن لم يكن هناك أحد أيضًا. تحققت من الوقت. وصلت مبكرًا. قال نصف ساعة، وقد مضى الآن نصف ساعة بالضبط منذ أن اتصل. نادى صوت عميق من خلفها:

- "ماريا"؟

استدارت. ظهر "فينور" بشعره الداكن من باب إحدى الغرف. أشار لها بسبَّابته لتتبعه ففعلت، ثم أومأ إلى مقعد بجوار النافذة لتجلس كما لو كانت متهمة، فسألت وهي تنظر في عينيه:

- ماذا يحدث؟

قال:

- اجلسي.

انزعجت من نبرته، فقد تحدث كما لو أن المكان كله ملكه، وكأنه بطريقة ما هو المسيطر عليها. رسميًا، لقد كان بالفعل؛ بصفته ينوب عن النائب العام، لو لبضعة أسابيع فقط. وعندما ينتهي ذلك ويعود النائب العام الحقيقي، ستعود هي و"فينور" متماثلين. وقد وعد النائب العام بأنه في المرة القادمة التي يكون فيها بعيدًا، ستكون هي مكانه. كررت دون أن تجلس:

- ماذا يحدث؟

تعلَّمت ذلك في دورة تدريبية عن الإصرار؛ أن تكرِّر الأسئلة والطلبات بطريقة مريحة ومنتظمة، حتى يستجاب لها.

قال:

- لديَّ شيء يجب عليكِ سماعه.

كان صوته منخفضًا. همس تقريبًا، وأومأ برأسه مرة أخرى نحو الكرسي، مشيرًا لها أن تجلس. كان في الدورة التدريبية نفسها، فتراجعت وجلست، رغم شعورها بعدم الارتياح. عادةً، كانت هي من تشير للمشتبه بهم للجلوس على ذلك الكرسي في الغرفة. سألته:

- ماذا هناك؟ سر؟

ابتسم. ورفع سبَّابته ليجعلها تنتظر لحظة، وأخرج تليفونه من جيبه. ضغط على شاشته بضع مرات، ثم وضعه بينهما على الطاولة. في البداية كان هناك صوت تشويش، ثم رنين، وأخيرًا سُمِع صوت من التليفون؛ صوت تعرفه جيدًا.

قال الصوت: "أردت فقط التأكد من معرفتك بشيء ما".

كان صوت "أجلا" مألوفًا لـ"ماريا" من الاجتماعات والتحقيقات المتواصلة.

قال صوت رجل: "أجل؟" وقد سُمِع ثِقَل أنفاسه.

قال صوت "أجلا": "عندما تصلك الفاتورة، تكون الفائدة هي سعر "الليبور"، بالإضافة إلى فائدة "دويتشه بنك" المعتادة".

سأل الرجل: "لماذا؟".

قالت "أجلا": "يتم تخفيض كل دفعة، لأن سعر فائدة "الليبور" أقل مما ظننت، ولكن هناك فرصة لتعويض مدفوعات فوائد الشركات مقابل ضريبة الشركات، طالما أن القروض بالشروط المعتادة".

سأل صوت الرجل: "رغم انتهاء الدفعة في المجموعة نفسها؟".

"أجل".

قام "فينور" بغلق التسجيل وأمسك تليفونه ووضعه في جيبه ثم قال:

- كما سمعت، كان ذلك تسجيل مكالمة تليفونية.

قالت "ماريا" وهي تمنع سيل الأسئلة التي تريد طرحها:

- أجل.

- مهتمة؟

سألها بصوت منخفض، ورفع حاجبًا واحدًا. ودت "ماريا" لو عرفت الكثير عن هذا التسجيل، لكنها منعت نفسها.

قالت بهدوء، مترددة في الكشف عن حماسها:

- هذا يعتمد على عمر هذا التسجيل، وأيضًا على سبب السماح لي بالاستماع إليه.

نظر في عينيها للحظة وأومأ برأسه:

- من الواضح أن الأمر كله سري.

أجابت:

- شيء طبيعي. مضى وقت طويل منذ أن شاركت في قضية سرية. أهذه قضية حالية؟

هز "فينور" رأسه وقال:

- لا يمكن أن تصبح قضية رسمية. لا يمكننا تبرير.. ماذا أقول؟ وفقًا للقواعد، كيف حصلنا على هذا التسجيل؟

- أها.

ابتسمت "ماريا". لم يكن سرًا أن أوامر التنصت على التليفون كانت تستخدم في بعض الأحيان بحرية كبيرة.

- أعلم أنني أستطيع أن أثق بك مائة بالمائة؟

كانت هناك نبرة سؤال في صوت "فينور". قالت "ماريا":

- تستطيع. لكن من غير المريح عدم معرفة إلى أي مدى تريد أخذ هذا الأمر.

كان هذا صحيحًا، فقد كرهت بشدة الخطوات المبهمة، فقال:

- لنقل إننا بحاجة إلى دليل يمكنه أن يكون أساسًا لبدء تحقيق رسمي. وإذا قبلتِ العمل على الأمر، فسيكون عليك القيام بذلك بشرط عدم وجود إذن رسمي. والأهم من ذلك، أنا الوحيد الذي تناقشين معه هذا الأمر، مهما كان، فيمكنني تقديم المساعدة. ليست المصاريف مشكلة.

سألته وهي متوقعة أنه كان جزءًا من الفوضى التي سادت الجزء الأول من عام 2008:

- كم عمر هذا التسجيل؟

فأجابها:

- عشرة أيام.

وانتبهت "ماريا" فجأة ثم قالت:

- سألقي نظرة.

42



قال "إنجيمار" مبتسمًا:

- لقد استلمت الشركة الأم في الخارج أول فاتورة، وسيرسلونها إلى الموزع هنا، لذا فالكل راضٍ.

قادها إلى غرفة المعيشة، والتي كانت أقدم بكثير مما توقعت. بها أريكة قديمة وكراسي أثرية، وأكواب وأطباق مزينة بطيور النورس، في خزانة زجاجية، وصورة بطل التحرير "جون سيجورسون" على الحائط. بدا وكأنها غرفة في منزل شخصية قديمة مرموقة في متحف "أرباير" بريكيافيك. سألها وهو يذهب إلى طاولة خمور ذات طراز قديم موضوعة على عجلات:

- أيمكنني أن أقدم لك مشروبًا؟

قالت "أجلا" وهي تجلس على الكرسي ذي الذراعين المقابل للنافذة:

- أجل، شكرًا.

كان هناك منظر خلاب عبر البحيرة وسط "ريكيافيك". انطفأت أضواء الشوارع تدريجيًا، فبدا أن ضوء النهار ينبعث من سطح البحيرة الأملس.

علقت وهي تأخذ رشفة من الكأس الذي ناوله لها "إنجيمار":

- منظر جميل.

قال وهو جالس على كرسي بجانبها ملوحًا بيده نحو النافذة:

- يكذب من يدَّعي أن المال ليس مهمًا. هراء! هذا ما يمكن أن يجلبه لك المال.

وافقته "أجلا":

- صحيح.

وأخذت رشفة أخرى. حرك "إنجيمار" كأسه بشكل دائري حتى اهتزت مكعبات الثلج، ثم قال:

- لم تستغلِّي نقودكِ بشكل صحيح من قبل.

فأومأت "أجلا"، وقالت بنبرة نادمة:

- كنت فقط أستثمرها.

ابتسم "إنجيمار" وأشار لها بسبابته مداعبًا يقول:

- أنا أعرف أمثالك. تتعاملين مع الأمر وكأنها لعبة. كل شيء بالنسبة لك منافسة.

قالت وهي تفكر في "سونيا":

- هذا صحيح، كل شيء تقريبًا.

لأجل "سونيا"، كانت لتشتري منزلًا مثل هذا، بما فيه من ديكور وأنتيكات، وبطقم العشاء المزين بطيور النورس في الخزانة الزجاجية، لتتظاهر به أنها من عائلة عريقة. قد تفعل كل ذلك لأجلها. أما بالنسبة لـ"سونيا"، أشعرتها الفكرة أنها أكثر عاطفية مما توقعت أن تكون. وعلى أية حال، لم تكن "سونيا" لتقبل منها منزلًا. لم ترد منها شيئًا أبدًا، والآن لم تعد حتى ترد على مكالمتها.

قال "إنجيمار" وهو يرفع كأسه:

- الحسابات هنا سعيدة بالضريبة التي يمكنهم فرضها للتعويض. نحن نتكلم في بعض مئات الملايين من الكورونا كل عام، وهذا بالكاد أفضل ما آل إليه الوضع، نخبنا.

وفعلت "أجلا" الشيء نفسه. رددت "أجلا" بينما تلامست كؤوسهما:

- في صحتك.

- مشروب آخر؟

هزت "أجلا" رأسها بالنفي وقالت:

- لا. ليست فكرة سديدة قبل الغداء.

فقال:

- بعض القهوة إذن؟ سأحضِّر كوبنا الصباحي؟

ووقف. قالت "أجلا":

- نعم من فضلك.

وتبعته إلى المطبخ.

كان شعورًا غريبًا أشبه بالحلم، إجراء محادثة ودية مع "إنجيمار" في منزله. إذا عرف "يوهان" و"آدم" بالأمر سينقبضان بمزيج من الخوف والمهابة. لكن خوفها من "إنجيمار" بدا وكأنه يتبخر، بعد أن تعرفت عليه بشكل أفضل، بالإضافة إلى كونها بجانبه. فكان من الأفضل بالتأكيد أن تكون معه على أن تكون عليه. تعرف الكثير ممن اختاروا أن يكونوا خصومًا لهذا الرجل، وخسروا. فقد كان مثل العنكبوت، تمتد شبكته إلى أكثر الأماكن صعوبة.

جلست على طاولة المطبخ تشاهد "إنجيمار" وهو يعد ملاعق البن ويضعها في دورق القهوة. فقالت:

- إذن، الآن وبعد أن تحققت كل أحلامك، يجب أن نناقش ما يمكنك فعله من أجلنا.

43



جلس "براجي" في غرفة التفتيش واستند على الطاولة الحديدية بتنهيدة عميقة. ساقاه تقتله ألمًا. لقد كبر في السن بما أصبح معه من الصعب التظاهر بالسعادة غير المبررة. نظر إليه "أتلي ثور". لكن تلك النظرة لم تقلق "براجي" بالتأكيد، لن يقلل من مكانته أو منصبه تعب ساقيه. فبالنسبة لـ"أتلي ثور"، لطالما كان "براجي" الشخصية الأهم في العمل.

ظلَّا واقفين بجوار نافذة المراقبة عندما أشار "براجي" نحو "أكسل جونسون" وهو ينزل الدرج.

- لنلقِ نظرة عليه. يرتابني شيء في كل مرة أراه.

ابتسم "أتلي ثور" للحظة، ثم تغيَّرت تعابير وجهه للدهشة حين رأى سبعة أكياس كبيرة من الكوكايين تخرج من قاعدة حقيبة "أكسل جونسون". همس "أتلي ثور" وكأنه في الكنيسة، وأمامه محتويات الحقيبة كالآثار المقدسة:

- تبدو أربعة كيلوجرامات تقريبًا. سأحضر الشرطة إلى هنا.

غادر الغرفة وظل "براجي" وحده مع "أكسل جونسون". قال "براجي" وهو يشاهد "أكسل" جالسًا بلا حراك على الجانب الآخر من الغرفة يحدق بالأرض:

- إذن، ها أنت تجلس هنا، تحاول أن تستوعب وصول اللحظة التي كنت تخشها دائمًا.

بمجرد أن فُتحت الحقيبة، توقف عن الحديث. قبل ذلك، لم يتوقف عن الحديث بسعادة عن السفر وعن هذا وذاك بكلمات مرحة وسريعة. وهذا كفيل لإقناع "براجي" أن معه شحنة كبيرة؛ فعادة لا يتحدث الأبرياء كثيرًا. يبدون أكثر خوفًا حين تأخذهم الجمارك جانبًا، وينتظرون بصمت فحص أمتعتهم بالأشعة وهم يتساءلون بدهشة عن سبب اختيارهم. المهربون هم من يتصرفون وكأنه ليست هناك مشكلة، فقال "براجي":

- خسارة رحلة جرينلاند القادمة.

فتفاجأ "أكسل". نظر إلى أعلى، والتقت عيناه بعينيّ "براجي"، فنظر بعيدًا على الفور، وحدق في الأرض مرة أخرى وهو يهتز بتوتر في كرسيه. ابتسم

"براجي". هذا هو التأكيد الذي كان بحاجة إليه. لم يضف شيئًا. فقط انتظر، ودلك ركبته اليمنى بأصابعه. لا بد أن يكون ذلك التهاب المفاصل.

عاد "أتلي ثور" مع اثنين من ضباط الشرطة، وبمجرد الانتهاء من الأوراق وتسليم "أكسل" والبضائع إلى الشرطة، ذهبوا إلى غرفة القهوة حيث كان الفريق ينتظرهم في حماس، ثم ذهب شخص لإحضار كعكة كبيرة بالكريمة ووضعها على الطاولة.

صاح "أتلي ثور" فرحًا وهو يصفع "براجي" على ظهره للاحتفال بإنجازهم:

- لدى الرجل حاسة سادسة! حاسة سادسة!

44



كان "ثورجير" في الحالة نفسها التي رأته فيها "سونيا" آخر مرة. يرتدي الرداء المنزلي نفسه. تساءلت إذا كان يغسله؛ لا يبدو كذلك. دخلت إلى الصالة، لكنها رفضت دعوته إلى الجلوس في غرفة المعيشة، ثم أخرجت ظرفًا نقديًا من جيبها وأعطته له، فسأل "ثورجير" مضطربًا:

- وماذا عن.. أتعلمين؟

ابتسمت "سونيا" ثم وضعت يدها في جيبها الآخر وأخرجت كيس كوكايين صغيرًا. ولم يستطع "ثورجير" إخفاء ارتياحه الواضح، فقال وهو يلقي الكيس في جيب ردائه:

- جيد.

وأكمل:

- مؤلم أن يضطر المرء إلى شراء هذه الأشياء من السوق. أتعرفين كم تكلفة تلك الأشياء؟ أسعارها جنونية الآن، جنونية.

فكرت "سونيا": "وهذا لمصلحتك"، وهي مسرورة بتذوقه من الكأس الذي يسقي به غيره، ولو القليل. ثم سألته:

- وماذا لديك لي؟

بعد عشرين دقيقة، كانت تقف خارج منزل "براجي". كان منزلًا مُدرَّجًا بمدخل لسير السيارات، وحديقة صغيرة مليئة بالأزهار. منزل لطيف، تمامًا كالذي توقعته أن يعيش فيه. انتظرت، وهي تمسك بالقصاصة الورقية التي عليها الاسمين، بينما توقف بسيارته التي بدت صغيرة جدًا بالنسبة له. لما اقترب منها، بدا وكأنه يشعر بما كانت تفكر فيه، وهو يسير نحو الباب وقال:

- للتوفير. لم أعد أنفق على أشياء لا تهم.

تبعته إلى الداخل. وهذه المرة، طلب منها أن تتبعه إلى غرفة المعيشة. كانت الأريكة وطاولة القهوة في زاوية الغرفة، بينما وُضِعَ سرير المستشفى في المنتصف. وبجانبه، جلست سيدة عجوز صغيرة على كرسي متحرك. لم تتغير نظراتها عندما رأتهما يدخلان الغرفة. استطاعت "سونيا" عبر الزجاج الموجود بين التماثيل أن ترى زجاجات الأدوية البلاستيكية. ذهب "براجي" لتقبيل جبين المرأة، فأشرق وجهها للحظات. فقال "براجي":

- إنها زوجتي، "فالديس". "فالديس"، هذه "سونيا"، تعمل معي الآن.

ركزت عينا "فالديس" على الزائر، لكن لم تكن "سونيا" متأكدة إذا قد تم استيعاب ما قيل. كان واضحًا أن هذه الإنسانة المنكسرة كانت جميلة في يوم من الأيام، بوجنتيها المنتفختين وتموجات شعرها الفضي الكثيفة على أكتافها النحيلة.

دخلت شابة ذات ملامح آسيوية غرفة المعيشة وفي يديها مجلة أزياء وقالت:

- مرحبًا.

قال "براجي":

- مرحبًا، "ستيفاني". هذه زميلتي، "سونيا"، جاءت لتناول فنجان من القهوة. هل سار كل شيء على ما يرام اليوم؟

أجابت "ستيفاني":

- بخير.

ثم جلست بجوار "فالديس" وفتحت المجلة، وبدأت تشير إلى الصور. وفورًا، بدت السيدة العجوز منغمسة في عالم الأحلام المليء بالفساتين الجميلة والحفلات، وكأن "سونيا" و"براجي" لا يقفان بجانبها.

غادرا الغرفة. وكانت "سونيا" قد جلست لتوها على طاولة المطبخ حين رن تليفونها ذو خط بخدمة دفع مسبق. رأت رقم "آدم" فاستأذنت، وخرجت إلى الصالة للرد.

قال لها "آدم" بصوت مضطرب:

- عليك الذهاب إلى لندن على الفور. سينهار كل شيء.

بتعاطف مصطنع، وابتسامة ثابتة على وجهها غير قادرة على إخفاء الشماتة، قالت "سونيا":

- أوه، يا عزيزي. أليس من المفترض أن أذهب الأسبوع القادم؟

قال "آدم" بحنق:

- عليك الذهاب هذا الأسبوع.

قالت وهي تسمعه يحاول بذل جهد للسيطرة على نفسه وأنفاسه. تخيلته ممسكًا قبضتيه وعروق رقبته تنبض:

- لا أستطيع. لقد خططت للذهاب الأسبوع المقبل.

ثم أسرعت:

- اسمع، إذا أمكنني رؤية "توماس"..

ودهشت لموافقة "آدم" على الفور.

- الليلة يا "سونيا". سيأتي لرؤيتك هذا المساء وستذهبين إلى لندن غدًا.

قالت بسرعة:

- حسنًا. حسنًا.

امتلأ قلبها فرحًا. سترى "توماس" اليوم.

أعطاها "براجي" كوبًا من القهوة الساخنة عند عودتها إلى المطبخ، فقالت:

- سأذهب إلى لندن غدًا. وسأعود أثناء دوامك مساء الأحد.

فأومأ "براجي"، ثم قال:

- يمكنك توقع السفر مباشرة إلى جرينلاند بالبضائع.

ثم تأوه وهو يجلس على كرسي المطبخ. واضح أنه يعاني من مشكلات في ظهره أو ساقيه.

- جرينلاند؟

- نعم، وهي فكرة ذكية للغاية. كل الجهود المبذولة لتتبع المخدرات هي من الجنوب إلى الشمال. وإن سافرتِ من الشمال إلى الجنوب، فلن تلتفت الجمارك لكِ بشكل كبير. تنتقل هذه الأشياء من جرينلاند إلى كندا عن طريق البحر، ومن يعرف أين تنتهي؟ ربما في مدينة ما من المدن الكبيرة هناك.

- الأشياء التي أحضرها إلى آيسلندا، ينتهي بها الأمر في كندا؟

قال "براجي":

- هذا صحيح. نسبة كبيرة منها على الأقل. وهذا منطقي، بالنظر إلى الأحجام التي تنقلينها. أشعر بالارتياح أن آيسلندا هي مجرد نقطة لانتقال تلك المواد إلى أمريكا. لن تذهب كلها إلى الآيسلنديين.

ارتشف قهوته ثم نظر بتمعن إلى الأرض. وبصمت، أعطته "سونيا" القصاصة التي أعطاها لها "ثورجير":

- البغل هو "إلوجي أفارسون".

وأوضحت "سونيا":

- الاسم الآخر، "ثورستين ثورستينسون"، هو المحامي الذي يتولى المدفوعات ويخفي النقود. لا أعرف إذا كان يمكنك فعل أي شيء للإطاحة به.

أومأ "براجي" برأسه وطوى القصاصة في قميصه وقال:

- لنرى.

أنهت "سونيا" قهوتها ووقفت. لقد بدأت تخطط ذهنيًا بالفعل لرحلة جرينلاند.

45



ألقت "ماريا" نظرة على الملفات الصوتية التي أرسلها "فينور". فوجئت بأنه أرسلها عبر حسابه الشخصي على "الجيميل"، وليس من عنوان البريد الإلكتروني لمكتبه، فأدركت أنه يريد توخي الحذر، حيث تم حجب هذه التسجيلات بعناية من أي سجلات رسمية. كانوا خمس عشرة مكالمة تليفونية، ومعظمها أقل من دقيقتين.

كانت قد طلبت بالفعل قائمة بمكالمات "أجلا" خلال الشهر الماضي؛ وعمليًا، أصبح ذلك إجراءً شكليًا الآن. تقوم شركات التليفون بتسليم البيانات بشكل روتيني دون جدال طويل، كما كان الأمر من قبل. طلب مكالمات "أجلا" كان بين كومة من الطلبات الأخرى التي تم إرسالها، فلم يلحظ أحد وجود مكالمة إضافية.

كرهت هذا النوع من الأعمال. أو بمعنى أدق، ضايقها الخروج عن القواعد، رغم علمها من البداية، منذ أن بدأت التحقيق في قضايا الأزمة المالية، أنها عاجلًا أم آجلًا، ستتورط بالأمر. العجيب أن تلك هي المرة الأولى التي اضطرت فيها أن تخرق قوانينها الخاصة. عزاؤها أن الأمر جاء من رتبة أعلى، وأنها مسؤولية "فينور".

كان وقت العشاء تقريبًا. فقررت غلق كل شيء والاستماع إلى التسجيلات في المنزل. دائمًا ما يتناولون العشاء في السابعة، حتى حين يطبخ "ماجي"، الذي أصابته عدوى الالتزام بالوقت على مدار السنوات العشر التي قضياها معًا. احترمت فيهما الإجراءات الروتينية التي بنياها معًا. كانت سر حياتها وجزءًا من شخصيتها، والتي هيأتها لنفسها بصعوبة كبيرة، فقد كانت سنوات شبابها الجامحة عائقًا كبيرًا في هذا، فأصبحت ذكرى مؤلمة تختفي مع مرور الوقت. كانت مراهقة مجنونة تعبد أهواءها، حتى أن بلغت العشرينيات من عمرها واستيقظت ذات صباح بصداع عنيف بعد حفلة صاخبة وسط كومة من الغرباء العراة، فقررت أن الوقت قد حان للتغيير.

ربطت سترتها بإحكام في طريقها إلى سيارتها. وجدت الرياح قوية على البحر. كانت قد أوقفت السيارة بعيدًا عن المكتب نوعًا ما لتتمكن من حجز مساحة بحيث لا تؤذي فيها أبواب السيارات التي بجانبها طلاء سيارتها. ليس لرقي سيارتها، فقد كانت مجرد طراز اقتصادي، اختارتها بعد أن قارنتها بعناية مع غيرها من حيث استهلاك الوقود وتكرار الأعطال. لكن أي خدوش صغيرة في الطلاء كانت تثير غضبها. لم تستطع فهم إهمال الناس حين يفتحون أبواب سياراتهم في مواقف السيارات العامة.

عندما وصلت إلى المنزل، وجدت "ماجي" على وشك وضع الطعام على المائدة. كانت السابعة إلا خمس دقائق. فابتسمت بارتياح. قالت وهي تضع قبلة على خده:

- مرحبًا يا عزيزي. ماذا يوجد للعشاء؟

فأجاب:

- المكرونة بالتونة.

لم يحتج لقول المزيد؛ فدائمًا ما كانت هناك سلطة مع العشاء. كانت هذه السلاسة في علاقتهما شيئًا تعتز به دائمًا. جلست على الطاولة، وغرفت الطعام بالملعقة. كانت قد أنشأت قاعدة، وهي أن طبقًا واحدًا هو حِصَّة كل فرد في العشاء. الثاني فقط في أعياد الميلاد؛ هكذا حافظا على نفسهما نحيفين.

ثم قالت:

- أنا بحاجة للعمل بعد العشاء.

كان هناك اتفاق حول ذلك أيضًا. كانت أمسيات الأسبوع متاحة للعمل، إذا لزم الأمر، باستثناء الجمعة، فقد كانت أمسيته لمشاهدة الأفلام. قالت "ماجي":

- حسنًا، حسنًا. سأذهب للسباحة.

غسلت الصحون بعد العشاء. كانت هذه قاعدة منزلية أخرى؛ لم يكن التنظيف على الطاهي، ثم ملأت الغلّاية لتحضير بعض الشاي. كانت متعبة وتحتاج إلى جرعة من الكافيين قبل الاستماع إلى جميع المكالمات التليفونية الخمسة عشر.

46



ارتجف "توماس" بفارغ الصبر بينما فتش والده جيوبه، وتحسس بطنه وبحث بأصابعه داخل جيوب بنطاله، وقال:

- تعرف أنه إذا كان معك جواز سفرك أو إذا حدثت أي مشكلة فلن ترى والدتك مرة أخرى.

بدا الأمر كحلم تكرر مرارًا. كان يصعد الدرج في منزل والدته، ورائحة المكان تسرع نبضات قلبه، فهي تحمل معها الوعد بأنه قريبًا. قريبًا سيكون قادرًا على إلقاء نفسه بين ذراعي والدته، وستقبل جبينه وتحتضنه بشدة وتدور به. لكن الدرج كان طويلًا في حلمه، يمتد بعيدًا فوقه، فكان يتسلق ويتسلق دون أن يصل إلى والدته. ويحدث الآن الشيء نفسه. وقفا أسفل الدرج، في المدخل.. قريبين جدًا من أمه، لكن والده متردد في السماح له بالصعود.

تساءل "توماس" إذا كان عليه أن يكسر صمته ويخبر والده أنه سيكون بخير، لكنه قرر ألا يفعل. فهم أن والده كان خائفًا لأنه هرب هو وأمه إلى "فلوريدا" من قبل، لكن رغم ذلك، كان تصرفًا حقيرًا منه التهديد بعدم رؤيتها مرة أخرى. تقلصت معدة "توماس" إلى كرة ضيقة حين فكر أن والدته يمكن أن تضيع منه إلى الأبد، فصمم على عدم التحدث إلى والده مرة أخرى إلى أن يتجاوز ذلك، ويستطيع رؤية أمه أكثر، في كثير من الأحيان. عندما سمح له والده بالرحيل. كان "توماس" قد بدأ في الجز على أسنانه من الغيظ. انتظر والده في الأسفل ليشاهده وهو يركض إلى الطابق العلوي؛ ليتأكد من ذهابه إلى شقة والدته، وكأنه سيذهب إلى أي مكان آخر. كل ما أراده هو والدته التي لفت ذراعيها حوله الآن، وهمست في شعره:

- حبيبي.

وفي الثانية التي أُغلق فيها الباب خلفهما وصارا بمفردهما، شهق ثم انفجرت عيناه بما حوتا من بكاء.

حملته أمه بين ذراعيها لفترة طويلة، وهزته ذهابًا وإيابًا كطفل رضيع، ثم أطلق بعض التنهيدات، فهمست:

- لا تكتم الغضب. ليس جيدًا لك.

أومأ برأسه وهو ينتحب. لكن بداخله عرف أن الغضب شيء جيد، لأنه إذا ظل غاضبًا بما فيه الكفاية مع والده، فلن يرغب في إبقائه لفترة أطول وسيسمح له بالذهاب إلى والدته. وبمجرد أن يكون مع والدته، سيتوقف عن الغضب.



47



تفاجأت "أجلا" حين فتحت الباب. ودخل "آدم" على الفور قبل أن تدعوه.

قال وهو يتمشى إلى غرفة المعيشة دون أن يخلع حذاءه:

- أريد أن أعرف بعض الأخبار.

في طريقه، ألقى نظرة على غرفة النوم. بدا ككلب يفتش عن شيء.

- انتهى كل ما بيني وبين "سونيا" يا "آدم". كان الأمر برمته جنونًا. ما زلت لا أعرف ما الذي حدث لي.

ثم صمتت.

رغم أنها لم تلبث أن أغلقت التليفون بعدما حاولت الاتصال بـ"سونيا" لتتوسل إليها أن تعاود الاتصال بها، أشعرها وجود "آدم" بالخزي. غمرها بأكملها كقذارة المجاري، فقال بعدها بنبرة غريبة:

- قصدت أخبار "إنجيمار".

واستدار لها. لم تستطع "أجلا" تحديد إذا كان ما يقوله يحمل السخرية أم الكراهية أكثر.

- "إنجيمار". نعم. بالطبع.

أوشكت على قطع لسانها من الغيظ. كان من الغباء أن تبدأ بالثرثرة حول "سونيا". بالطبع لم يأتِ إلى هنا للحديث عنها، ثم قالت:

- نتوقع خفض الديون إلى النصف بحلول نهاية العام، وإزالتها من على عاتقنا العام المقبل. وهذا يعني أنهم سيشطبون الديون إذا سارت الأمور على ما يرام وإذا نجح كل شيء، كما نتوقع أنا و"إنجيمار".

حدق بها "آدم" بغيظ، وسألها:

- كيف فعلت هذا بحق الجحيم؟

اكتفت "أجلا" بهز كتفيها. لم تملك شيئًا لتقوله. ولم يبدُ وكأنه يسجل لقاءهما لتتقلق. لكن على أي حال، لم يكن أمرًا يخصه. كان ذلك عملها. لقد أبرمت الصفقة مع "إنجيمار" وستكملها.

تهكن "آدم" وبدا يشتمها في سره، ثم عاد إلى الباب. تبعته "أجلا" وفكرت تلقائيًا أنه ربما ينبغي عليها أن تعرض عليه البيرة أو حتى شرب كأس، لكنها رفضت الفكرة بسرعة. لم تكن هذه زيارة ودية. وقالت:

- لقد خرج جميعنا من هذا بسلام. والدين الآخر - الذي هو باسمك - سيكون مبلغًا بسيطًا إذا نجح كل شيء مع "إنجيمار".

استدار "آدم" عند الباب وأرسل لها نظرة سامة. لم يكن بها أثر للامتنان أو حتى الارتياح، رغم أنها بما قدمت له قد نزعت حبل المشنقة من حول رقبته. كل ما استطاعت رؤيته في تعابيره هو الغل وربما القليل من الحقد. كل ذلك كان مألوفًا؛ فجميعهم هكذا. الرجال في البنك، كلما نجحت في شيء ما، أظهروا انزعاجهم وحسدهم. وكأنها أخذت شيئًا من حقهم. وكبر معها الشعور الذي طالما انتابها وهي في الغرفة الصغيرة التي بناها لها والدها بنهاية ردهة المنزل.

"اصمتي أيتها الشقية المدللة؛ صاحبة الغرفة الخاصة وكل شيء"، كانت هذه الجملة دائمًا ما تتكرر على ألسنة أشقائها كلما احتجت على أي شيء. لكنها حين استلقت بمفردها داخل غرفتها الصغيرة وسمعت الهمسات وضحك الأولاد في أسرتهم ذات الطابقين في الغرفة عبر الممر، لم تستطع فهم حقدهم على وحدتها.

48



حاولت "سونيا" استجماع كل قدرتها على الإقناع لجعل "توماس" ينزل إلى والده حيث كان ينتظره أسفل الدرج. كانت أمسية رائعة، فقد لعبا معًا وقرآ المجلات وتحدثا. لكن لم يكن هناك رقص. فقد كانت الزيارة قصيرة للغاية ليتمكنا من نسيان أنفسهما في شيء صخب ومرح كهذا. قال "توماس" إنهما سيرقصان عندما يأتي لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، على يقين من أن قِصَر

وقتهما معًا هذه المرة كان شيئًا مؤقتًا، ووافقت. ولم تكن في حالة مزاجية تسمح لها بالرقص. كانت هذه طريقتهما في الشعور بالبهجة معًا، بموسيقى "السالسا" في آذانهما، وهما يقفزان ويضحكان على الأريكة.

همس "آدم" لها بحدة وهو يمسك يد "توماس" ويقوده إلى السيارة:

- لندن. غدًا.

صاحت:

- "تومي". أراك قريبًا.

بينما دفعه "آدم" إلى المقعد الخلفي، ووجهه مبلل بالدموع. أملت أن يتوقف قريبًا. أخبرته أنه ليس بحاجة إلى أن يكون شجاعًا للغاية؛ لدرجة أن حبس دموعه. الحقيقة أنها أرادته أن يثبت لوالده أنه من الجيد له قضاء الوقت معها. يبدو أنه قد فهم ذلك في وقتها، لكنه بلا شك قد نسي الآن.

وقفت تراقبهما حتى اختفت السيارة عن الأنظار، ثم جلست تبكي على درجات المدخل. عادةً كان الفراق صعبًا، لكن هذه المرة كان قاسيًا جدًا، فما لبثا أن بدآ للتو في الاندماج عندما حان وقت رحيله. وكانت في أمس الحاجة إلى هذا التواصل معه. شعرت وكأن هناك حبلًا سُرِّيًا غير مرئي يحافظ على ارتباطهما ويمدهما بما هو ضروري لحياتهما. ليس فقط منها إليه، ولكن العكس كذلك. وإذا توقف هذا التدفق لفترة طويلة، يبدأ كلاهما في الذبول.

مسحت دموعها بظهر يدها وأخذت نفسين عميقين من الهواء البارد. كان بهما طعم الحديد. كانت درجة الحرارة أقل بكثير من الصفر. وعلى الرغم من اقتراب الربيع، تأرجحت في سماء الليل الأضواء الشمالية ذات اللون الأخضر الباهت كما لو يحاولون بث السرور فيها، وهم يعلمون أنه جهد بلا فائدة.

بدون "توماس" لن تطول سعادتها. لم تكن أحلامها بشأن حياتهما كبيرة لدرجة عدم توقع تحقيقها. كل ما تمنته هو مسكن آمن لهما؛ مكان لا يكونان فيه خائفين ومدينين لأحد. وتكون أقصى إثارة في حياتهما اختيار ما يجب تناوله لعشاء عطلة نهاية الأسبوع. فقد عانت من توتر في الأشهر القليلة الماضية يمكنه الاستمرار معها طوال حياتها، غير أنها سئمت العيش دون "توماس". سيكون عليها أن تنفذ خطتها بأسرع ما يمكن. لا يمكن لهذا أن يستمر لفترة أطول. لم تعد تستطيع تحمل ذلك.

49




تأخرت "إيمي" في صباح ذلك اليوم، مما أعطى لـ"براجي" المزيد من الوقت مع "ڤالديس". لم يضايقه الأمر، فسيبدأ دوامه الرابعة عصرًا؛ لذلك لم يكن في عجلة من أمره للمغادرة. أخذ يقلب العصيدة، ثم أخذ القليل على طرف اللعقة وأطعمها لـ"ڤالديس". تأكل كميات بسيطة هذه الأيام، وتعيش على الفيتامينات وزيت كبد الحوت. ورغم محاولات المرضات في إقناعها بتناول الطعام، فإنها تضعف شيئًا فشيئًا. بدت واهنة، ليس فقط نفسيًا، بل جسديًا أيضًا. انكمش جسدها، وأخذ يذبل، وأصبحت خفيفة كالريشة. لم تراوده أوهام حول قدرته على إطالة حياتها. يعلم أنها ستغادر حين ينتهي وقتها، ولكن حتى تلك اللحظة، أراد راحتها. هو مدين لها بذلك. نادت "إيمي" من الصالة:

- مرحبًا.

ظهرت بابتسامة على وجهها. قبّلت خد "ڤالديس"، كما لو كانت جدتها أو عمتها المسنة. ثم ذهب "براجي" إلى المطبخ ليعد القهوة. التقط في طريقه صحيفة "فريتابلاثيث" المجانية من الردهة. لاحظ أنه لا يوجد الكثير من الأخبار، فقط ضجة الأشهر القليلة الماضية؛ ارتفاع أسعار الوقود، وزيادة عدد الشركات المتعثرة، وتجميع كبار السن وأصحاب الهمم للعلب الفارغة في جميع أنحاء المدينة لكسب النقود الزهيدة التي تكفي لإطعامهم. ظل يتصفح الجريدة بينما تجهُز القهوة، ويضع علامات على الأخبار الجيدة، ثم ملأ ثلاثة أكواب وأخذها إلى غرفة المعيشة. جلس على كرسيه بينما أعادت "إيمي" "ڤالديس" من الحمام وساعدتها في الجلوس على كرسيها المرتفع. أصبحت مفاصلها متيبّسة للغاية وقد عانت كثيرًا للوقوف، لدرجة أن "براجي" اشترى ذلك الكرسي لتسهيل الأمور عليها. نفخت "إيمي" في قهوتها ورشفت منها بينما كانت ترفع الكوب قليلًا، قليلًا إلى شفتي "ڤالديس" لتتمكن من الشرب.

بدأ "براجي" بقراءة قصة إخبارية عن أرملة "بوبي فيشر" وكيف حصلت على إرثها، طِبقًا لمحكمة إقليمية. بدا أن اسم "فيشر" لا يُذكِّر "ڤالديس" بشيء، لكن "إيمي" أومأت برأسها بارتياح. تخطى بعد ذلك قصة الهزات الأرضية التي أعقبت الزلزال والتسونامي في اليابان. يعلم أنها ستحزن "ڤالديس"، بل وتخيفها أيضًا؛ فلطالما ضايقتها الكوارث الطبيعية. بدلًا من ذلك، قرأ نعي "إليزابيث تايلور"، ورفع الصفحة ليتمكنا من رؤية صورتها، وهي متألقة بفستان أبيض ذي رقبة مرصعة بالألماس، وفي يدها كأس.

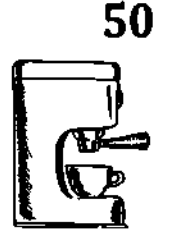
وأخيرًا، قرأ خبرًا أعجبه؛ حول تحذير الشرطة للنائب الشاب "هوني ثور جونارسون" من التدخل حين قام موظفو وحدة الجرائم المالية بضبط بعض

المصرفيين في حفلة كان هو أيضًا ضيفًا فيها. لم يكن "براجي" من النوع الشامت، ولكن كان هناك ما يقلقه بخصوص ذلك الفتى المدلل، ثم قال:

- انتهت قراءة اليوم.

وأعطى الجريدة إلى "إيمي" على صفحة المجتمع التي لطالما قرأتها "ڤالديس". ذهب إلى غرفة النوم وارتدى زيه الذي جهزه على السرير. كان القميص الذي ارتداه آخر مرة لا يزال نظيفًا وأنيقًا، يمكن ارتداؤه مرة أخرى. ثم أخذ الورقة التي أعطتها له "سونيا" بالاسمين، ووضعها في جيب سرواله.

50



أثناء تحركاتها في مكتب النائب العام، شعرت "ماريا" أن الجميع يراقبها. كالعادة، توجهت مباشرة إلى ماكينة القهوة. وبينما تقَطُّر السائل البني في الكوب، نظرت حولها بحذر. لا بد أنها تتخيل، أو أن حواسها مشوشة. فلم يعرها أحد أي اهتمام. كان الموظفون منكبِّين على أعمالهم. كلٌّ منهم يعاني من ضغط عملٍ يمنعه من التقاط أنفاسه وسط ساعات العمل. وفوق ذلك، لم يكن لدى أي منهم فكرة عن المهمة الجانبية الذي وكلها بها "فينور"؛ وهي تسجيلات لخمس عشرة مكالمة تليفونية تم استقطاعها، لم تكن مسجلة رسميًا.

أمامها اجتماعان قبل الغداء؛ أولهما خلال ساعة. فذهبت إلى مكتبها وأغلقت الباب خلفها. يمكن لرسائل البريد الإلكتروني الخاصة بها أن تنتظر حتى

تعاود سماع مكالمات "أجلا" التليفونية. ستقوم هذه المرة بسماع المكالمات التي تؤكد تورطها في مخالفات مالية فقط.

كانت المكالمة التي أسمعها لها "فينور" بالتأكيد أكثرها تشويقًا. طُبِع تاريخ على الملف الصوتي. لم تعرف إذا كان ذلك هو تاريخ التسجيل، أو التاريخ الذي نُسِخ فيه الملف من كمبيوتر إلى آخر. كان 16 أبريل. تركت "ماريا" تسجيلين قد حفظتهما الآن بعد أن استمعت إليهما الليلة الماضية، وركزت على التسجيل التالي، والأهم، حيث تعرفت على صوت الطرف الآخر من المكالمة؛ مدير البنك السابق "يوهان"، وهو عنصر مهم في تحقيقات النائب العام. لا بد أن "يوهان" كان ثملًا عندما تم تسجيل تلك المكالمة. قال:

- لقد قمتِ بعمل رائع.

واستطاعت سماعه يشرب، ثم أكمل:

- لكنني أنا و"آدم" كنا قلقين من أن تسوء الأمور.

أجابت "أجلا" بإيجاز:

- لا داعي لأن تقلقا بشأن ذلك يا أولاد.

واضح أنها كانت منزعجة.

تعرفت "ماريا" على تلك النبرة الجافة المزعجة التي تحمل قدرًا من السخرية. كانت بالضبط هي التي استخدمتها "أجلا" في جميع المقابلات التي أجرتها "ماريا" معها بشأن التلاعب بالسوق.

قال "يوهان" بنبرة جادة:

- عليكِ الحرص من "إنجيمار". عليكِ ذلك حقًا.

قالت "أجلا"، لا تزال جافة، لكن بدا على صوتها السأم:

- أعرف ذلك.

فبدأ "يوهان" في الحديث وكان واضح أن لديه قصة ما:

- إنه أخطر بكثير مما تتخيلين.

لكن "أجلا" قاطعته بحزم:

- لست بحاجة إلى إخباري. يمكننا التحدث عن ذلك لاحقًا.

وسمعت نقرة انتهاء التسجيل.

تمنت "ماريا" لو سمحت له "أجلا" بمواصلة الثرثرة حتى تتمكن من معرفة المزيد عن "إنجيمار". ربما كان ذلك من شأنه أن يعطيها فكرة عن الرجل الذي تعتبره "أجلا" و"يوهان" خطيرًا للغاية.

جاء الجواب في وقت أسرع مما تمنت، حين سمعت طرقًا خفيفًا على باب مكتبها. قام ساعٍ بتسليمها مظروف بني كتِبَ عليه بوضوح: "سري". فوقعت على استلامه، وأسرعت بفتحه.

وجدت في الداخل تسجيلات مكالمات تليفون "أجلا". لكنها كانت قليلة بشكل غريب خلال الشهر الماضي. أيمكن أن يكون لديها تليفون آخر؟ أم أنها ببساطة لم تكن على اتصال دائم بالعديد من الأشخاص؟ حددت "ماريا" باللون الأصفر الرقم الذي اتصلت عليه "أجلا" مرارًا. كان غير مسجل. ومن خلال مقارنة التواريخ بالتسجيلات، استطاعت أن ترى أن هذا الرقم يخص عشيقتها، "سونيا"، التي بدا أن "أجلا" تتصل بها كثيرًا عندما تكون ثملة، حسب التسجيلات التي سمعتها الليلة السابقة. كان هناك رقم دولي واحد على

القائمة يبدو أنها تتصل به بشكل متكرر، فلجأت "ماريا" لخدمة دليل التليفون عبر الإنترنت ووجدت أنه رقم من لوكسمبورج. طبقًا لدليل تليفون لوكسمبورج، كان هذا الرقم لشخصٍ يُدعى "جون كلود بيرجر". تعرفت على العنوان، فوجدت أنه في المربع السكني نفسه المسجل لمكان إقامة "أجلا". وقد أزعجها هذا الأمر مرات عديدة؛ فإقامتها في الخارج تُعَقِّد جميع الإجراءات الرسمية في قضية التلاعب بالسوق. كشف بحث سريع آخر أن "جون كلود" هو حارس المبنى. فحددت جميع المكالمات بينهما. لجأت "ماريا" بعد ذلك إلى دليل تليفون آيسلندا، وجربت بعض الأرقام الآيسلندية التي وجدتها في القائمة، وجدت أن جميعها لمنافذ طعام تقدم خدمة توصيل إلى المنازل، باستثناء آخر رقم. كانت المحادثة في العاشر من أبريل، وهو اليوم نفسه الذي أجريت فيه مكالمة "فينور"، ووفقًا للتاريخ. كان الاسم بجوار الرقم في الدليل مألوفًا: "إنجيمار". "إنجيمار ماجنسون".

ذهلت "ماريا" عندما رأت زميلًا لها يدخل رأسه من الباب، ويسأل:

- ألستِ قادمة إلى الاجتماع؟

فوقفت متفاجئة. كانت مشهورة بانضباطها في المواعيد، وقد تأخرت الآن عشر دقائق.



51



بدأ الجو الكئيب نفسه ينبعث من المنزل رغم شكله الخارجي المنمق. كان الدرج نظيفًا، والباب مدهونًا حديثًا، حتى وصلت رائحة الخشب إلى الشارع بالحي اللندني الراقي والهادئ، حيث منازل الأثرياء والمتميزين. وقفت "سونيا" لبضع لحظات أسفل الدرج قبل أن تتمكن من استجماع شجاعتها للطرق. لديها ذكريات مروعة عن هذا المنزل. شعرت أن المكان كان غارقًا في الرعب والألم لدرجة أنها تمكنت فعليًا من سماع صدى صرخات ضحايا الشخص الذي يعيش هنا، السيد "خوسيه".. وحيوانه الأليف المروع.

لم تخشَ "سونيا" أحدًا قط سواه. ورغم محاولاتها لتمالك مشاعرها، فإن ما عاشته معه لم يترك لها خيارًا إلا الخوف منه. شعرت وكأن القشعريرة ستخترق ساقيها حين سمعت صرير فتح الباب. صدور صوت كهذا من الباب يجب أن يكون متعمَّدًا كإجراء إضافي لإخافة الزوار. عدا ذلك، كان المنزل منظمًا ومُعتنى به جيدًا. لا يتطلب الأمر سوى بضع قطرات من الزيت للتخلص من هذا الصوت.

قال صوت أنثوي دافئ بلكنة مكسيكية:

- لا بد أنك "سونيا". أهلًا بك.

تبعت "سونيا" المرأة ولم تستطع أن تحيد بعينيها عن أسفل ظهرها، فقد تمشت بإغراء في فستانها الضيق، وتدلَّى شعرها الأسود اللامع إلى منتصف ظهرها تقريبًا، وأحاطتها سحابة من العطر. قالت المرأة وهي تستدير:

- سبق لكِ مقابلة زوجي، السيد "خوسيه".

مشيرةً نحو الهندي القصير الممتلئ الذي ارتدى زيًا كآخر مرة كانت فيها "سونيا" هنا؛ قميصًا وسروالًا قصيرًا، ويغمره بالعرق رغم أن درجة الحرارة أكثر احتمالًا مما كانت عليه خلال زيارتها السابقة. تقدم مباشرةً إلى "سونيا" وقبَّلها بحرارة على خديها، وسحبها بين ذراعيه لدرجة معها شعرت أن ملابسها ستتشرب عرقه. قالت المرأة بابتسامة:

- إنه ودود للغاية.

ثم مدت يدها تعرِّف بنفسها:

- أنا "ناتي".

ثم قالت بالإسبانية:

- سعدت بمقابلتك.

فتمتمت "سونيا" هي الأخرى بالإسبانية مدركة أن صوتها أعلى درجتين من المعتاد:

- سعدت بمقابلتك.

بدا أن الخوف يشد أحبالها الصوتية. لكنها بطريقةٍ ما، شعرت بالارتياح لوجود امرأة هنا. ربما لم يكن تفكيرها منطقيًا تمامًا، لكنها شعرت أن وجود أنثى سيقلل من احتمالات الوصول إلى نهاية سيئة. قال السيد "خوسيه":

- العشاء جاهز.

فتفاجأت "سونيا"؛ تذكرت أن الوجبة الأخيرة التي تناولتها هنا قد انتهت بإراقة دماء. أملت أن تتمكن هذه المرة من أخذ البضائع والخروج بسرعة. وقف الزوجان على جانبيها، وقاداها إلى غرفة الطعام، التي كانت أرقى عن آخر مرة رأتها فيها. تمركزت سجادة ناعمة وسط الغرفة نُسِجت على الطراز الإسباني، ووضعت في الزوايا أرائك مريحة. وفوق السجادة طاولة طعام مطعمة بالفضة والبورسلين. جلس السيد "خوسيه" عند نهاية الطاولة، وسحبت "ناتي" كرسيًا لـ"سونيا" وأجلستها، ثم أخذت مكانها في الناحية الأخرى من الطاولة؛ المقابلة لزوجها، وقرعت جرسًا فضيًا صغيرًا. ظل الرنين يتردد حتى ظهر الخادم الشاحب الذي رأته "سونيا" آخر مرة، يحمل صينية بها ثلاثة أطباق من الحساء. وبينما وضع الأطباق على الطاولة، سمعت "سونيا" صوتًا غامضًا مخيفًا قادمًا من مكان ما في المنزل. شعرت "سونيا" بتقلصات في بطنها من الخوف. كان صوت لم يكن له مثيل؛ لا هو بهسهسة ولا كالنباح. بدا كصرخة ألم قاسية من فم حيوان جائع محبوس. كان النمر لا يزال هنا. قال السيد "خوسيه" وهو يشرب حساءه بصوت عالٍ:

- لم تسر الأمور على ما يرام في آيسلندا.

لكن صوته لم يكن مرتفعًا بما يكفي للتغطية على زئير آخر من النمر.

- اختفيتِ أولًا، ثم قبضت الجمارك على أحدهم؛ هذا بصرف النظر عن المشكلات مع "ثورجير" المحامي.

شعرت "سونيا" بالعرق ينساب على ظهرها. تأكدت الآن أنها ستعاقَب على الهروب. وفجأة، أتتها خاطرة: أتفضل فقد يد أو قدم للنمر؟ كان ذلك هو

الخيار الذي تم وضعه أمام الأحمق العاصِي، "أمادو"، آخر مرة جلست فيها هنا للعشاء. تساءلت إذا عليها الاعتذار أو محاولة الشرح للعثور على عذر يمكنها به أن تصل إلى قلب هذا الرجل بطريقة ما، فقالت:

- اختفيت لأهرب من "آدم".

وفاجأها قولها للحقيقة صراحةً.

- لقد عاملني معاملة سيئة جدًا. لدينا ولد صغير، كما تعلم، ويرفض السماح لي برؤيته. فأخذت الصبي وهربت، كما كانت ستفعل أي أم.

كررت "ناتي":

- كما كانت ستفعل أي أم.

ثم أومأت مؤكدة، والتفتت إلى زوجها ترمقه بنظرة جادة.

- إمممم.

رفع السيد "خوسيه" وعاءه وشرب ما تبقى فيه، ثم أخذ علبة سجائر من جيبه، وأخرج منها سيجارة وفركها بين أصابعه لإفراغها من التبغ، والتقط كيسًا صغيرًا من جيب قميصه، وسكب منه بحذر في ورقة السيجارة، ثم أضاف بعضًا من التبغ في نهايتها وأشعلها. احترقت السيجارة في بضع نفخات، وبمجرد أن استعاد أنفاسه، بدا أفضل، ثم قال:

- سأتحدث إلى "آدم". ليس من الصواب أن يرفض رجل السماح لأم برؤية طفلها.

وافقت "ناتي":

- ليس من حقه.

قالت "سونيا":

- سأكون ممتنة للغاية.

سأل السيد "خوسيه":

- أتريدين أن يكون ابنك معك معظم الوقت؟

فأسرعت "سونيا":

- بالتأكيد. أوده أن يكون معي طوال الوقت. يمكنه الذهاب إلى والده حين أسافر.

قال السيد "خوسيه"، وهو يمد يده إلى جانبه:

- بسيطة.

نظرت إليه "سونيا" دون فهم، حتى تنحنحت "ناتي". أومأت لها برأسها وهي تضم شفتيها، حتى أدركت "سونيا" أنه من المتوقع أن تقبل يده بامتنان. فوقفت بسرعة، وركعت أمام السيد "خوسيه" وقبلت يده الممدودة. كانت ممتنة بصدق. فإن كان هذا ما يتطلبه الأمر لاستعادة ابنها، فستكون سعيدة بقضاء اليوم كله أمامه على ركبتيها؛ تغطي يده المتعرقة بألف قبلة.

قال وهو يسحب يده:

- في المقابل، عليك أن تفعلي شيئًا من أجلي.

كان ذلك بديهيًا. تقبيل يد شخص ما، في هذا المجال، بمثابة دفعة صغيرة جدًا لاسترجاع الطفل؛ وربما لا يكفي للهروب من فكّي النمر.

فقالت "سونيا":

- أي شيء. أي شيء على الإطلاق.

52

عندما وصلت "أجلا" إلى "جريل بار"، كان "إنجيمار" قد طلب بالفعل قائمة من ثمانية أطباق لهم جميعًا. كان معه رجل آخر، وكلاهما يحمل مشروبًا في يده.

- "أجلا"، أقدم لكِ "جون". "جون"، هذه "أجلا".

تصافحا. وتفاجأت "أجلا" أنه كيف لرجل بالغ أن تكون يداه صغيرتين لهذه الدرجة. كانت يده رقيقة للغاية، رغم كونه في ارتفاع "إنجيمار". نكرها بالطيور.

- "جون" هو المدير المالي لشركة الألومينيوم، كما قلت لكِ من قبل. اعتقدت أنه من المهم أن تتقابلا. من الضروري تأسيس علاقات شخصية، لبناء الثقة.

أومأ "جون" برأسه وابتسمت "أجلا" بأدب، ثم التقت عيناها بعين النادل وطلبت كأسًا من النبيذ الأبيض. فضّلت العنب هذا المساء والابتعاد عن البيرة والأشياء القوية حتى لا تسكر.

قال "إنجيمار" وهو يلكز "جون" بمرفقه ويغمز لها مداعبًا:

- "أجلا" هي شخص فريد من نوعه تمامًا. لقد تعاملت من قبل مع رجال أعمال يعملون باستمرار على تغذية غرورهم، هؤلاء لا يستطيعون تحمل العيش دون رفاهية. لكن بعد الأزمة المالية، أصبح تدليل نفسك بهذه الطريقة

يجرك إلى المتاعب. ولكن "أجلا" من النوع التنافسي. لا يحتاج المتنافسون إلى تعزيز غرورهم. هم فقط بحاجة إلى الفوز.

قال "جون" وهو يرفع كأسه بيده الرقيقة:

- هذا هو نوع الأشخاص الذين يمكنك الوثوق بهم.

رفعت "أجلا" كأسها وارتشفت نبيذها. ساد صمت بينهم بينما جلب النادل شيئًا من طاولة الخمور الصغيرة في الزاوية خلفهم. تابع "جون" عندما تأكد أنه لا يوجد حولهم من يمكنه التصنت:

- عندما اقترح "إنجيمار" هذه الإستراتيجية، أعترف أنني كان لديَّ شكوك. ولكن عندما وصلت الأوراق، رأيت أنها تم تجهيزها بمهارة شديدة لا يمكن كشفها. إنها لعبقرية إدارة أمر كهذا من خلال صندوق تحوُّط دولي.

ثم سأل بسعادة في عينيه:

- كيف بحق السماء استطعتِ إقناع صندوق كبير مثل "كريك" التصرف في مثل هذا الأمر؟

قالت "أجلا":

- لم يكن الأمر هيِّنًا، بالمرة.

قال "إنجيمار":

- بالطبع لم يكن. أصدقك.

وأومأ "جون" برأسه مراعيًا.

ولهذا السبب تكاليفه باهظة. كل صندوق يتعامل مع هذا النوع من الديون يأخذ رسومًا.

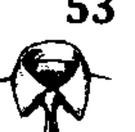
قررت عدم إخباره بحقيقة أن معظم الشركات والصناديق التي تمت تصفية الديون من خلالها كانت ملكًا لها.

تمتم "إنجيمار" بصوت منخفض:

- طبعًا، طبعًا.

ثم تنحنح. فهمت "أجلا" أنه سينقل المحادثة إلى أمور مهمة، وهو ما يدور حوله هذا الاجتماع؛ الدين الكبير.

53



صرخ "آدم" وهو يتحرك في غرفة الاجتماعات:

- ليس لديك أي فكرة عن حقيقة هؤلاء الأشخاص.

ظهرت بقعة داكنة من العرق على ظهر قميصه الأزرق الفاتح كالقمر. كان ذلك قبل ستة أشهر من الأزمة المالية، عندما منعهم القلق من النوم طوال الليل لأسابيع متتالية، وهكذا، ظل جو غرفة اجتماعات الطابق العلوي بالبنك متوترًا بشكل كبير، فانفعل عليه "يوهان" وهو يسقط قرصًا من دواء معدته في كوب ماء؛ الذي تحول إلى عاصفة صغيرة من الفقاعات، وقال:

- وجب إبلاغنا منذ البداية فيما أقحمتنا.

فردّ "آدم":

- كنتما حريصين على أخذ أموالهم.

وعلم كل من "أجلا" و"يوهان" أنه على حق، فقد رحّبا بالعملاء الجدد الذين قدّمهم "آدم" لهما. ورغم أنهما لم يعرفاهم، علما أن ذلك التدفق النقدي لم يكن مصدره قانونيًا.

قالت "أجلا":

- هذا صحيح. كنا جميعًا سعداء بالحصول على المال الذي يمكننا استخدامه بالشكل الذي يناسبنا، ولا يُدان سوانا في هذه الورطة.

تمتم "يوهان" وهو يشرب الدواء الأبيض في كوبه:

- لم نتسبب في كساد عالمي. ليس بالضبط، والتعامل مع الحدود الائتمانية التي تتوقف هو أمر صعب.

وقالت "أجلا":

- كلنا بالغنا في تقدير مدى تأثير تلك الأموال على سعر سهم البنك. وإذا كانت تنبؤاتنا قد تحققت، لأصبحت الحل الأمثل لجميع الأطراف.

أحبت في بعض الأحيان التفكير بصوت عالٍ، وقد استمعوا إليها عندما اجتمع ثلاثتهم فقط. أضافت:

- لكن كان هناك الكثير من العوامل ضد إتمام الأمر. من ناحية أخرى، إذا كانت الإستراتيجية أكبر ككل، لنجحت كما ينبغي، واستطعنا البيع بسعر أعلى، وسداد القرض، والاستفادة بقدر لا بأس به لأنفسنا.

وضع "يوهان" كوبه جانبًا وحدق أمامه ثم قال:

- معكِ حق. معكِ حق.

استمر "آدم" في التحرك ذهابًا وإيابًا في غرفة الاجتماعات، بينما ركَّزت "أجلا" على وجه "يوهان". رأت من تعبير وجهه أن شيئًا ما يدور في ذهنه، ثم قال:

- إذا نفذنا الإستراتيجية نفسها مجددًا، ولكن بحجم أكبر عشر مرات، فنحن بأمان.

وانقبض قلب "أجلا"، وقالت بإدراك مفاجئ:

- أجل.

سأل "آدم":

- ماذا؟

ودون أن ينتظر إجابة، أكمل كلامه الذي بدأ به الاجتماع:

- إن اعتقدتما أن لديكما طريقة للخروج من هذا المأزق، فمن الأفضل أن تسرعا، لأنني لا أريد التعرض للضرب. أنتما الاثنان لا تعرفان من هؤلاء الذين ندين لهم بالمال. لكنني أعرف.

قالت "أجلا" محاولةً صياغة أفكار "يوهان" ليتمكن "آدم" من التفكير بها رغم غضبه:

- إن أعددنا قرضًا، وأرسلنا الأموال في الطريق نفسه عبر "تورتولا" وجزر "كايمان" وسويسرا، فسينجح الأمر، شرط أن يكون المبلغ أكبر بكثير، بحيث يكون كافيًا لرفع سعر سهم البنك عند عودته.

فقال "يوهان":

- أعرف من أصحاب النفوذ من يُمكن إقناعه بفعل ذلك.

فجلس "آدم" أخيرًا.

خيمت لحظة من الصمت في الغرفة، حين أدركوا تدريجيًا حجم ما هم على وشك القيام به. تلك هي الطريقة التي قابلت "أجلا" بها "إنجيمار"، وظهر بها الدين الكبير.

54



انتظرت "سونيا" في صمت بينما أعدَّ السيد "خوسيه" سيجارة كوكايين أخرى. من الواضح أن "ناتي" كانت معتادة على تصرفاته، لذا فضلت أن تفعل مثلها وتصبر. قال السيد "خوسيه" بعدما نفخ في سيجارته، وهدأ من نوبة السعال العنيفة التي أعقبتها:

- لا يعجبني الأمر عندما تغلق الطرق. هذا يخل بتوازن كل شيء وأنا لا أحب ذلك.

فأسرعت:

- أتقصد جرينلاند؟

وأدركت على الفور أن الخوف قد سيطر عليها، فهي عادةً تحافظ على هدوئها تحت أي ضغط. ولكن بطريقة ما، سلبها الجلوس على طاولة السيد "خوسيه" من حذرها المعتاد. أرادت "سونيا" عض لسانها، لكنها تأخرت.

ضاقت عينا السيد "خوسيه" ونظر إليها بغموض نظرة من المستحيل تفسيرها. قالت "ناتي":

- جيد جدًا. أنتِ ذكية. إنها ذكية يا حبيبي.

قال السيد "خوسيه" وهو يقف:

- قد تكون ذكية للغاية. ربما ذكية جدًا جدًا. كيف تعرفين بشأن جرينلاند؟

أضافت "سونيا" بسرعة لتصليح موقفها، ولإعطاء الانطباع بأنها مستعدة للعمل:

- يمكنني الذهاب إلى جرينلاند.

على أمل ألا يروها كنوع من التهديد.

أخذ السيد "خوسيه" خطواتٍ بطيئةً نحو "سونيا" حتى وقف خلفها مباشرة. جلست وكأن حركتها مشلولة تشعر بنبضات قلبها. كانت على وشك شرح معرفتها بجرينلاند عندما شعرت فجأة بيدي السيد "خوسيه" حول رقبتها تضغطان على حلقها. بدأت تظهر ظلمةٌ أمام عينيها وشعرت بموجة من الغثيان تتغلغل في جسدها. سمعت "ناتي" تتمتم بشيء، والنمر يزأر من بعيد، ثم لا شيء. فقط الصمت الذي استمر حتى خفف قبضته واستطاعت السماع مجددًا. قال ببطء وهو ما زال يقف خلفها:

- تفهمين أن جرينلاند منجمنا الذهبي.

لم تستطع النطق، وكأن صوتها قد هجرها تمامًا، فأومأت برأسها بما تبقى لها من طاقة.

- مشكلات إيصال البضاعة إلى أمريكا هائلة، وتكاليفها خيالية. هناك من يبنون غواصات لنقل الكوكايين، وبحق الجحيم. حتى هذا ليس كافيًا، يتم القبض على قارب كل ثانية.

وكان الآن غاضبًا، فسار في الغرفة وهو يتكلم.

- لذا، اقترحت "ناتي"، حفظها الرب، حبيبتي وأم أطفالي، فكرة تجربة شحنات صغيرة منتظمة عبر طريق أوروبا المعتاد، ثم من الشمال إلى الجنوب، عبر جرينلاند.

فوقف جانب "ناتي" وقبل رأسها. ضحكت "ناتي" وقالت:

- مسافة نصف الكرة الأرضية. لكن الأمر يستحق. والجيد أنه إذا قُبِض على شخص ما، كما يحدث للبعض، فسيتم فقد كمية صغيرة فقط، وليس الخمسمائة كيلوجرام التي يمكن للغواصة حملها.

ضحك السيد "خوسيه" بصوت مرتفع وابتسمت "ناتي" بجانبه، وأومأت "سونيا" برأسها مِرارًا رغم أنها لم تظن أن الكميات التي حملتها كانت صغيرة. لكنها أرادت توضيح أنها تفهم وتوافق على كل ما قالوه. كان عقلها لا يزال غائمًا، ولسبب ما، ظهرت أمام عينيها صورة "توماس" حديث الولادة، وهو يرقد في مهده في حضانة المستشفى.

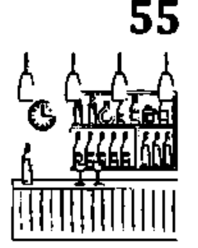
ربت السيد "خوسيه" على ظهرها، فاضطربت وسالت دموعها. بدا أنه لم يلحظ وغادر الغرفة. قالت "ناتي" بلطف وهي تضع يدها على كتفها:

- ما الخطب يا عزيزتي؟ تحتاجين إلى الاستحمام. تعالي معي.

ثم سحبت يد "سونيا".

حاولت الوقوف، لكن ساقيها رفضتا؛ لا يزال الرعب يتملكها. كانت ضعيفة جدًا في الحقيقة، لدرجة أن عقلها لم يصل حتى إلى استيعاب الإذلال الذي نشعر به والناتج عن بللها لنفسها.

55



استطاعوا، أثناء الوجبة الفخمة بمطعم "جريل بار"، وبمساعدة "إنجيمار"، التوصل لاتفاق حول إلغاء حصة ضخمة، على الأقل، من الدين الكبير. أخذ "جون" يدقق في طعامه كالطيور، مما وضح سبب ضعف بنيته الجسدية. كان يضع كل طبق أمامه من الثمانية، ويقسمه إلى قسمين، ثم يأكل نصفه فقط. كان ذلك غريبًا على النادل المتدرب الذي قام بأخذ الأطباق، فبدا قلقًا للغاية، لدرجة أن "أجلا" شعرت بأنها مضطرة لمدح الطعام له.

قال "إنجيمار" وهو يجفف فمه بالمنديل ثم يعيده على ساقيه:

- في ضوء هذا المشروع الكبير الذي تعمل عليه "أجلا" من أجلنا، من الطبيعي أن نسأل عن النتيجة بالنسبة لها ولزملائها.

كان قد أنهى شريحة اللحم الخاصة به ومسح الصلصة المتبقية بقطعة خبز، فصار طبقه نظيفًا بالفعل، ثم تحركت عيناه نحو طبق "جون"، حيث نصف شريحة اللحم السليمة.

علّق "جون":

- سنرى التأثير العام في الربع القادم من العام. لم يكن هناك سوى فاتورة واحدة حتى الآن وستصل الفاتورة الأخرى على القرض في سبتمبر.

فصحَّحت "أجلا":

- أغسطس، ولا ينبغي لأي توقعات دقيقة أن تكون مشكلة، بل هي ما يجب أن ينتج عن هذا الترتيب. يعتبر مبلغ سداد القرض ربحًا صافيًا، يمكنه مغادرة البلاد إلى الشركة الأم مباشرةً، دون الحاجة إلى القلق بشأن ضوابط العملة.

وأضاف "إنجيمار":

- غير أن هذا يعد بمثابة دليل كبير؛ من شأنه منحنا إعفاء ضريبي سليم، وبالتالي تكون الفائدة أكبر بكثير مما كنا نتوقع.

وقالت "أجلا":

- لذا لا ينبغي على مصهر الألومينيوم دفع أية ضرائب، على الأقل خلال السنوات الثلاث المقبلة.

كانت قد ألقت نظرة على الأرقام الفصلية للمصهر وحسبتها في رأسها، يستطيع أي شخص فعل ذلك. لم يكن تردد "جون" بسبب شكِّه. ما يعيقه كان شيئًا آخر. قال "جون":

- أتصور أنك ومن معك تنتظرون تنازلًا.

ولم ينظر إلى عينيها، بل إلى الطاولة، إلى وجبته التي لم يؤكل نصفها.

لم ترد "أجلا"، لأن هذا في نظرها لا يستحق الرد. بالطبع أرادوا ذلك التنازل. لم تقم بكل هذا العمل من أجل لا شيء، فقال "إنجيمار":

- يمكن لقرضٍ أن يختفي بالسهولة نفسها لظهوره. لا يوجد تعقيد في ذلك.

قال "جون":

- حسنًا، نحن نتكلم في عشرات المليـــارات.

قالها بتأكيد على كلمة المليارات، وكأن هذه الكلمة، بكل أصفارها، تحتاج إلى نوع من الاحترام عند التعامل معها.

تنهدت "أجلا" بصمت. تعرف كل شيء عن أمثاله من الرجال؛ أولئك من استخدموا المال كأداة لممارسة السلطة، الوسطاء الصغار الذين تمسَّكوا بأي صلاحية. لكنها لم تكن خائفة من الأصفار. فما إن تورطت في الأمر، سيكون هناك ثلاثة أصفار، أو ستة، أو ستمائة. وغير هذا، لم تخشَ رجلًا مثله.

قالت وهي تلفت أنظار "جون" وتبتسم:

- نعلم جميعًا أن هذه النقود لم تظهر أبدًا مع الشخصيات العامة للشركة، ولهذا السبب تمكنا من اقتراضها، لذا لا ينبغي أن يُشَكِّل شطبها مشكلة.

كأنها تحاول الضغط أولًا، وبدأ "جون":

- حسنًا، ربما على مدار بضع سنوات..

ثم قاطعته "أجلا" بجِدَّة:

- لا. يجب شطبها دفعة واحدة. الآن، وإلا فلا أرى الهدف من السماح لك بنقل عشرات المليـــارات من البلاد كل عام إذا كنت لا أزال مديونة شخصيًا.

كان الوقت قد حان للتهديد.

وشددت بالطريقة نفسها على نطق كلمة "المليارات" كما قالها، لتسليتها لا لإغاظته، فبدا محرجًا. ظل "إنجيمار" صامتًا يغمره التوتر، ينظر تارةً إليها وتارةً أخرى له، كأنها مباراة تنس. فعلّق "جون":

- إممم.

بدا يفكر، ثم أمسك شوكته وأخذ يعبث بشريحة اللحم، التي أكل نصفها، حول صحنه، وأخذ يهمهم مرة أخرى. ووضع الشوكة على الطاولة ولوح للنادل:

- نريد الحلوى.

أومأ النادل برأسه، ونظف طاولتهم واختفى. قال "جون" وهو يسند على ظهر كرسيه:

- سيكون مناسبًا إذا تمكنت شركة صغيرة أملكها في سويسرا من التعامل مع عملية الشطب، مقابل أجر طبعًا.

قال "إنجيمار"، بابتسامة رضا على وجهه:

- بالطبع.

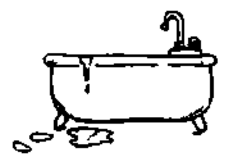
وردت "أجلا":

- بالتأكيد.

لقد فازت.

شعرت بالأدرينالين الذي صاحب الانتصار. كان "إنجيمار" على حق حين قال إنها شخص بحاجة إلى المنافسة. ومن ناحية أخرى، علمت بجشع "جون"، ذلك الرجل الطائر.

56



حين عادت "سونيا" لوعيها، وجدت نفسها في حوض استحمام، و"ناتي" جانبها، تغسل ساقيها بالماء الدافئ، فقالت وهي تأخذ رأس صنبور الاستحمام من يدها:

- شكرًا لك، سأفعل ذلك بنفسي.

لم توجد ستارة تخفي جسدها خلفها. لكنها وجدت منشفة معلقة على حامل بجانب صنبور الاستحمام، فأخذتها ولفتها حول نفسها بيد، وأغلقت الماء باليد الأخرى، وقالت:

- آسفة للغاية.

لوحت "ناتي" بيدها كما لو كان شيئًا طبيعيًا أن يبلل الضيوف أنفسهم في غرفة طعامها. ردت:

- يمكنه أن يكون قاسيًا بشكل مخيف. إنه وحش.

لم تستطع "سونيا" الرد؛ لم تجرؤ على الموافقة رغم اقتناعها بكون السيد "خوسيه" وحشًا بلا شك. وقفت بحرج في المنشفة أمام هذه المرأة الغريبة التي اعتنت بها وخلعت ملابسها وغسّلتها كطفلة صغيرة وهي عاجزة وغير واعية تقريبًا، في الحمام. فهمست لها:

- اعتقدت أنه سيقتلني.

نظرت "ناتي" إلى الأعلى والتقت أعينهما. وشعرت "سونيا" أنها تتفهم، فأسرعت "ناتي":

- سأقرضك بعض الملابس.

ثم ذهبت.

أحكمت "سونيا" لف المنشفة حولها، وتبعتها خارج الحمام إلى ما تبدو عليها غرفة الضيوف. ما زالت ساقاها ترتجفان، فتسندت على الحائط حتى لا تفقد توازنها. لم تشعر برعب كهذا من قبل. ظننت أنه على وشك أن يقتلها بحق.

أثناء عودتها إلى الفندق في سيارة الأجرة، بدا كل ما حدث في هذه الرحلة وكأنه وهم. الأمر أشبه بكابوس طويل تخيله عقلها، وساعده في ذلك التوتر والخوف، اللذين نتج عنهما هلاوس غريبة. لكن ما أقنعها بحقيقة ما حدث هو بنطالها الأزرق اللامع الذي أعطته لها "ناتي"، وألم حلقها الذي شعرت به حين ابتلعت ريقها. حاولت تركيز أفكارها في مكان آخر؛ في المستقبل، وفي عملها الذي بين يديها. جلست والحقيبة بين ذراعيها؛ خمسة كيلوجرامات تحتاج لحزمها الآن وتوصليها إلى آيسلندا، ومن هناك إلى جرينلاند، إذا جرى كل شيء كما تصورت.

دخلت الفندق على ساقيها المرتجفتين، وفمها مليء باللعاب، آلمها البلع كثيرًا. كانت صالة الفندق هادئة، لا يوجد بها سوى بعض النساء يجلسن لتناول الحلوى، وثلاثة رجال ببدلات يحملون البيرة في أيديهم وهم يشاهدون الأخبار. استغرقت "سونيا" بعض الوقت لتدرك أن هذه اللقطات المألوفة من موطنها. خُيِّل لها لوهلة أنها أخبار قديمة، حتى أدركت أنه أمر سيقضي على خططها.

نظرت إلى الشريط الجاري أسفل مشاهد الدخان الكثيف وهو يتصاعد إلى السماء في شكل فِطر عملاق مكتوب فيه "ثوران البركان الآيسلندي".

57



سأل "أتلي ثور" للمرة الثانية:

- ماذا عن هذا الرجل؟

لم تتحرك عينا "براجي" من على الشاشة. كان متأكدًا أنه الشخص المنشود. الرجل الذي كان اسمه على ورقة "سونيا"؛ "إيلوجي أفارسون". ولما بحث عن الاسم في "جوجل"، وجده على "الفيسبوك" ودقق في صوره. وفقًا لقائمة الركاب، كان قادمًا من "جلاسجو"، وهو أحد الرجال القلائل المسافرين بمفردهم على الرحلة. عادةً، لم يكن هذا الرجل ليجذب انتباه "براجي"، ارتدى بذلة رمادية فاتحة بقميص مفتوح، وسحب خلفه شنطة كمبيوتر كبيرة بعجلات طوال ممر المحطة. ربت "أتلي ثور" على ظهر "براجي" وقال:

- ألا يجب أن نستكفي ونعود إلى المنزل؟

كانت حالته المزاجية جيدة بعدما أدى ثوران البركان إلى توقف حركة الطيران، فكانت هذه هي آخر رحلة بعد الظهر، وتم تعطيل الرحلات المسائية، لذا لم يكن أمامهم إلا إرسال الموظفين إلى المنزل. لن يتضايق أي من الموظفين

لحصوله على عطلة غير متوقعة نهاية الأسبوع. قال "براجي" وهو يحدق في وجه الرجل على الشاشة:

- انتظر لحظة.

لم يكن الأفضل في التعرف على الوجوه، لكنه بدا هو بالتأكيد.

سأل "أتلي ثور" بهدوء وفي صوته القليل من التوتر:

- ما الأمر؟ أهي القشعريرة؟ الحاسة السادسة؟

رد "براجي":

- هناك شيء ما مريب به.

كان واثقًا أن هذا هو الرجل.

فقال "أتلي ثور":

- سنتحقق منه.

وتوجه إلى صالة الوصول. عرج "براجي" وراءه؛ فألم ركبتيه في زيادة.

على الرغم من إفراغ "أتلي ثور" لحقيبة الرجل في غرفة التفتيش، فإنها ظلت ثقيلة بشكل مريب. فأخذها إلى الغرفة المجاورة ليتم مسحها ضوئيًا. وفقًا للقوانين، يجب أن يكون هناك مؤشر على وجود مادة عضوية في الحقيبة قبل أن يتم فتحها.

أثناء وجوده بالخارج، جلس "براجي" بهدوء وأخذ ينظر إلى الرجل من أعلى لأسفل. كان شعره الداكن قصيرًا وذا شيب قليل من الجانبين، وذقنه محلوقة، وملابسه جيدة وحذاؤه مُلَمَّعًا. كان رجلًا مهندمًا، وبطريقة ما، لم

يكن به شيء ملحوظ. جلس فقط. لم يبدُ متوترًا ولا ضجرًا. شاهده "براجي" وانتظر. تحسس "براجي" جيبه، وأخرج قصاصة الورق وقرأ الاسم الثاني؛ "ثورستين ثورستينسون"، ثم طوى القصاصة وأعادها إلى جيبه.

قال وهو يحدق في الرجل:

- "ثورستين ثورستينسون". أهذا هو المحامي الذي ستود الاتصال به؟

فزع الرجل من المفاجأة:

- لا. من قال لك ذلك؟

- أليس هذا ما قلته؟

- ماذا؟ لم أقل شيئًا. أنت من ذكر هذا الـ"ثورستين..".

- "ثورستينسون".

فصاح الرجل بنظرة غاضبة على وجهه:

- لم أذكر شيئًا عن محامٍ.

ووقف وأخذ سترته، وفكر "براجي" أنه بدأ في التعرق بلا شك.

جلس "براجي" وحاول الحفاظ على تعابير وجهه لِألَّا تتغير وهو يراقب الرجل ثم قال:

- أهذا يعني أنك قررت عدم استدعاء محامٍ؟

فقال الرجل:

- لم أطلب أي محامٍ.

ثم طوى ذراعيه فوق صدره وأشاح بنظره بعيدًا على الحائط المجاور لـ"براجي".

عاد "أتلي ثور" بالحقيبة وبنظرة تعجب على وجهه، وقال وهو يضع الحقيبة على الطاولة:

- يبدو أن هناك كمية كبيرة من المواد العضوية في الحقيبة. أخشى أننا سنضطر إلى قطعها.

فوقف "براجي" وأخرج سكين جيب من حزام الأدوات الخاص به. اكتفى "براجي" بإخبار "أتلي ثور":

- لقد قال للتو إنه لا يريد محاميًا.

فصرخ الرجل:

- لم أقل إنني لا أريد محاميًا. قلت للتو إنني لا أريد "ثورستين" ذاك.

قال "براجي":

- "ثورستين ثورستينسون"؟ الذي ذكرته للتو؟

استمع "أتلي ثور" بحرص إلى المحادثة. كان الأمر محكمًا، لأنه سينتهي به الحال كقضية في ملف الشرطة. سيذكر التقرير، في كل من أقواله وشهادة "أتلي ثور"، أن الرجل قد طلب "ثورستين ثورستينسون" هذا، ثم غير رأيه. بينما اخترقت سكين "براجي" بطانة الحقيبة، لم يكن هناك جدال حول اسم التقرير؛ فيضان من مسحوق أبيض يتدفق عبر الثقب.

همس له "أتلي ثور" وهو يخرج سكينه لقطع الجانب الآخر من الحقيبة:

- أنت مذهل. مذهل جدًا.

58



بدا أن أكثر المعلومات مصداقية حول البركان جاءت من وسائل الإعلام الآيسلندية، فأخذت "سونيا" تفحص مواقعهم الإلكترونية بقلق، على أمل العثور على ما يطمئنها بشأن توقف النشاط البركاني قريبًا، وعودتها لتسليم البضائع. أثناء احتساء قهوتها الصباحية في مطعم الفندق، مرت بصور للمزارعين من الساحل الجنوبي يجاهدون لإنقاذ ماشيتهم ونقلهم في مأوى بعيدًا عن الرماد. أحست وقتها بأنانيتها. فبينما عانى سكان مدينتها لسد كل فجوة في منازلهم، واختنقت صغار الحملان وسط فيضان الرماد، كان قلقها الوحيد هو كيفية العودة بخمسة كيلوجرامات من الكوكايين. لكن هكذا جرت الأمور، فالكوكايين مصدر رزقها، تمامًا كما هي الحملان للمزارعين. والآن، أصبح رزقها مهددًا.

لطالما كانت إقامتها بلندن في المكان نفسه مع البضائع خطرًا، وكانت غرفة الفندق بعيدة عن المثالية. تدخلها العاملات لتنظيف الغرفة، وغيرهن من الموظفين لملء الثلاجة الصغيرة. كل زيارة جلبت معها الخطر؛ خطر أن يشعر شخص بشيء مريب في الغرفة، أو أن يقرر أحدهم التجسس. كان التحرك بالبضائع خطر أيضًا، وقد بدأت بالكاد في التفكير في خياراتها حين رنَّ تليفونها. قالت "ناتي" بالإسبانية:

- صباح الخير يا "سونيا".

بالطبع. لا بد أنهم شاهدوا الأخبار وعرفوا أنها لن تسافر إلى آيسلندا اليوم بالشحنة. قالت "سونيا"، ولا تدري ماذا يمكنها أن تقول لتطمئنهم:

- صباح الخير.

فأجابت "ناتي"، وبدا القلق في صوتها حقيقيًا:

- آسفة لرؤية ما حدث في آيسلندا. لا بد أنك قلقة على ابنك.

أجابت "سونيا":

- لا. سحابة الرماد البركاني على جنوب آيسلندا وابني يعيش في الغرب، لذا فهو آمن.

تمكنت من سماع نبرة صوتها المصطنعة وهي تنفي قلقها. بالطبع كانت قلقة على ابنها، وإن لم يكن بسبب البركان. هذا سيزيد الأمر، لكنه ليس ما هدَّد علاقتها بـ"توماس". ما يدور في ذهنها دائمًا ويذكرها أن ابنها ليس آمنًا هو الوضع الذي تعيش فيه، وكان لـ"ناتي" دور في هذا الأمر، قالت "ناتي":

- جيد. جيد. من المريح معرفة أنه ليس في خطر. لكن بما أنك لن تسافري في الوقت الحالي، من الأفضل أن تعيدي البضائع إلى هنا وسنحتفظ بها حتى ينتهي الثوران وتعود حركة الطيران إلى طبيعتها.

لم يكن هذا اقتراحًا، بل أمرًا. فقالت "سونيا":

- بالتأكيد. سأحضرها على الفور.

على الرغم من أنها لم تكن لديها أي رغبة على الإطلاق في أن تطأ قدمها مرة أخرى داخل منزل الزوجين، كان ذلك بلا شك أعقل شيء تقوم به؛ فستكون البضائع آمنة، ويمكنها الانتظار دون قلق. الآن، كان عليها فقط أن تأمل أن يستمر الثوران لبضعة أيام فقط بدلًا من أسابيع أو شهور.

59




كان هناك ضجة في الأرجاء. كما هو الأمر دائمًا حين يحدث شيء كبير. وقف معظم الموظفين في الاستراحة - حيث كان التليفزيون - يتحدثون بجدية عن الثوران، لكن ليس بصوت مرتفع كفاية للتغطية على مذيع الأخبار الذي يصف الآثار الرهيبة التي أحدثها الثوران جنوب البلاد. شاهدت "ماريا" ما يكفي من مشاهد الرماد والمزارعين البائسين. بدا أنه لا توجد راحة من البركان. كان توقع سلوك هذه الأشياء ميؤوسًا منه، رغم بذل كبار علماء البراكين في آيسلندا قصارى جهدهم. إن بدأ ثوران بركاني، من المستحيل معرفة المدة التي قد يستمر فيها في قذف الرماد والحمم البركانية. وجعل ذلك الأمر وقوفهم بكوب من القهوة، والاستماع إلى تخمينات الزملاء للمدة التي قد يستغرقها، مجرد ضياع للوقت.

رنَّ تليفونها. كان "فينور". لم يحيِّها وتحدث مباشرةً:

- أعرفتِ من هو "إنجيمار"؟

فقالت وهي تحاول مسك لسانها:

- على حد علمي هو شخص يدعى "إنجيمار" تتحدث إليه "أجلا" في بعض التسجيلات.

- إذا كنت تعرفينه بالفعل، لمَ لم تقولي ذلك من قبل؟

- ألم تعرف أنت؟ "إنجيمار ماجنسون"؛ يعيش في "تيارنارجاتا"، ومعي رقم هويته. لكن بغض النظر عن ذلك، لم أملك الوقت لمتابعة أمر ثانوي كهذا لانشغالي في قضية تهرب ضريبي كبيرة، كما تعلم.

تردد صدى صوت "فينور" بشكل غريب عبر التليفون:

- إمممم.

ثم قال:

- أعدك بأنك ستجدين "إنجيمار" أكثر إثارة للاهتمام ما إن تلقي عليه نظرة قريبة.

وأغلق الخط.

هزت "ماريا" رأسها. كان لديها كومة من وثائق التهرب الضريبي لتراجعها قبل رحلة البحث عن "إنجيمار". وقفت وأغلقت الباب وجلست أمام الملف الذي كانت تفحصه على الشاشة. سرحت عيناها في أرقام الجدول لفترة قبل أن تدرك أن عقلها لم يكن يركز فيما تفعل، ثم غضبت وقالت:

- اللعنة..

وأغلقت الملف. شتَّت "فينور" تركيزها.

فتحت "جوجل" وبحثت عن اسم "إنجيمار". تفاجأت لوجود القليل من نتائج البحث. كان أحدث رابط لمقال صحفي حول منزل "تيارنارجاتا"، فقد اشترى المبنى المُهمَل وأعاده إلى حالته الأصلية. وقد رأت له صورة مع زوجته النحيفة أمام أحد المنازل الخشبية الجميلة في الشارع. كان رجل قوي البنية في منتصف العمر بشعر داكن يرتدي بدلة فوق تيشيرت مفتوح العنق.

حاولت "ماريا" تكبير وجه الرجل بقدر ما يسمح لها المتصفح للتحقق إذا كانت قد رأته في أي مكان من قبل، لكنها لم تنجح، فكلما زاد الحجم، قلَّت جودة الصورة. لم تجد سوى القليل في الرابط التالي، حيث ظهر اسمه في وثيقة توضح بالتفصيل المساهمين في شركة الشحن. بدا أنه أحد صغار المساهمين، ولم يكن في ذلك أهمية. وفي الرابط الثالث، لم تجد اسمه في أي مكان رغم تصفُّحه جيدًا، وكانت على وشك إغلاق الصفحة حين لاحظت الاسم داخل صورة.

أظهرت الصورة وزير الصحة أثناء مصافحته للمدير الإداري لمصهر الألومينيوم، الذي تبرع بجهاز أشعة جديد للمستشفى القومي. وخلفهم وقف الأشخاص الذين وردت أسماؤهم تحت الصورة: "هوني ثور جونارسون"، رئيس لجنة الصحة البرلمانية، والمدير المالي لشركة المصهر "جون جونسون"، وطبيبان. وفني أشعة. وفي أقصى اليمين وقف "إنجيمار ماجنسون". لم يُمنح أي لقب أو وصف، ولم يكن هناك سبب واضح لوجوده غير تهنئة المستشفى على اقتنائها أجهزة جديدة. بدا سعيدًا بابتسامة عريضة على وجهه.

بحثت "ماريا" عن الاسم بمصطلحات أخرى، لكن لم تجد نتائج. أعادت كلمات "المستشفى"، "الصحة"، "الأشعة"، إلى المقالة نفسها. من الواضح أنه لم يكن هناك شيء آخر بخصوصه. حاولت بعد ذلك البحث عن كلمة "المصهر" مع اسم "إنجيمار"، فظهرت نتيجتان للبحث. كان أحدهما الحساب الخاص

بـ"الاجتماع السنوي العام" للشركة العاملة في المصهر، والذي كان "إنجيمار" مستشارًا فيها. وكان الثاني عبارة عن مدونة كتبها شخص غريب الأطوار أطلق على نفسه "صوت الحقيقة". والذي بدا مقتنعًا بأن الهبوط على سطح القمر كان خدعة كبيرة وأن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية هي التي دمَّرت البرجين في الحادث الشهير.

بدا أن المنشور الذي يخص "إنجيمار" مكتوب بلهفة؛ ينتقل كاتبه من شيء إلى آخر، وبدت الجمل تستمر إلى ما لا نهاية، ببضع فصلات فقط. يبدو أن "صوت الحقيقة" هذا يعرف الكثير. فلم يكن العنوان أكثر منطقية من بقية المقال: **"طبيب المصهر المستغل؛ الرجل الذي استنفذ آيسلندا"**.



60



اقتربت "سونيا" من المنزل، فوجدت الباب نصفه مفتوح بالفعل. صعدت الدرج على أطراف أقدامها وطرقت برفق على الباب الضخم. كانت قد استقلت سيارة أجرة إلى حدائق "بورتون كورت" وأكملت طريقها سيرًا، ومع أنها كانت تلهث من الحرارة، حبست أنفاسها لسبب ما. أحست بشيء غريب في المكان. تساءلت في نفسها إذا كان عليها التجرؤ والدخول، أو العودة والاتصال بـ"ناتي" لسؤالها إذا كان بإمكانها المجيء. ولكن قبل أن تقرر، خرجت لها "ناتي". تأكدت "سونيا" على الفور أن هناك كارثة ما، بشكل الماسكارا السائلة على خديها، وشعرها الأشعث وعينيها الداكنتين الممتلئتين بالخوف. همست لها:

- ادخلي.

كان الهلع واضحًا في صوتها. أمسكت معصم "سونيا" وسحبتها إلى الداخل وأغلقت الباب بحذر، وقالت:

- فتحت الباب حتى لا تضطري إلى رنِّ الجرس. لا أعرف إذا كان أي من الخدم في المنزل.

أدخلت "سونيا" إلى الصالة ثم إلى غرفة المعيشة، حيث أغلقت الباب بهدوء خلفهما. وكباقي المنزل، كانت الغرفة شديدة الحرارة. لم يكن فيها الكثير من الأثاث، فقط كرسيين جلديين كبيرين وأريكة ضخمة، بدت غير مريحة للجلوس، لكن مناسبة للنوم ليلًا أمام التليفزيون.

همست "ناتي" وهي تمشي على أطراف أصابعها وتشير إلى شيء ما خلف الأريكة:

- ماذا عليَّ أن أفعل؟

أملت غريزة "سونيا" عليها بالاستدارة والركض من هذا المنزل المشؤوم بقدر ما تستطيع، فما ينتظرها خلف الأريكة يجب أن يكون شيئًا سيئًا. لكن الخوف في عينيْ "ناتي" كان مهيبًا لدرجة أنها لم تستطع التخلي عنها، رغم أنها شعرت وهي تقترب نحو الأريكة بأنها ستندم إلى الأبد لعدم هروبها على الفور.

اقتربت أكثر، وانحنت لتنظر عند آخر الأريكة، ثم قفزت مفزوعة من هول ما رأت. رقد السيد "خوسيه" وسط بركة من الدماء. استجمعت "سونيا" نفسها، ونظرت مرة أخرى. وعندما رأته بلا حراك، اقتربت أكثر وتفحصت المشهد. لم تحتج إلى التحقق من النبض أو التنفس لتعرف أنه قد صار جسدًا بلا روح. كانت عيناه شاخصتين إلى أعلى، وقد بدأ الدم حوله بالتجمد. تم غرز سكين مطبخ في صدره حتى آخرها. قالت "ناتي":

- وجدته ملقى هكذا، ولا يمكنني إبلاغ الشرطة. لا أستطيع إحضارهم إلى هنا. ماذا سأفعل؟

تحركت بعشوائية وعيناها تنتقلان من "سونيا" إلى الجثة الملطخة بالدماء على الأرض. سألتْ "سونيا" في ذهول:

- من طعنه؟

ناحت "ناتي" برعب واضح في عينيها:

- لا أعرف. ذهبت لأستحم وعدت لأجده هكذا. تعرفين كم كان مكروهًا. هناك الكثيرون ممن يريدون قتله.

لم تشك "سونيا" بوجود قائمة طويلة من الأشخاص الذين أرادوا رؤية السيد "خوسيه" ميتًا. ولو كانت تلك السكين على المنضدة في اليوم السابق حين خنقتها يداه، لطعنته بنفسها. ولسبب ما، شعرت أن "ناتي" كانت ستساعدها.

- أتعرفين أي شخص يمكنه مساعدتك؟

سألتها "سونيا" وهي متأكدة بأن "ناتي" لديها من المعارف المشبوهة من يملك فكرة أفضل منها عن كيفية التخلص من جثة دموية. همست "ناتي":

- لا أستطيع الوثوق بأحد. لا أعرف من فعل هذا، لذا لا يمكنني الذهاب إلى أي من أقارب "خوسيه". عليكِ مساعدتي. أعلم أنني أستطيع الوثوق بك.

قالت "سونيا" وهي تتراجع ببطء نحو الباب:

- أنا لا أعرف ما يجب عليَّ فعله.

وثت الجري. وصرخت كل قطعة من جوارحها تستجديها الهروب بأسرع ما يمكن، بعيدًا عن هذا المنزل وأهواله التي لا تنتهي، فقالت "ناتي":

- سأساعدك فيما يخص ابنك. أستطيع ضمان وعد السيد "خوسيه" بالتأكد من سماح "آدم" لك بإبقاء ابنك.

وأثناء حديثها، أدركت "سونيا" ما خسرته بوفاة السيد "خوسيه". كان سيتحدث إلى "آدم". كان سيتأكد من عودة "توماس" لها. لكن الآن، أصبح الأمر في يد "ناتي". وبنشاط مفاجئ، قالت:

- أحضري بعض المناشف. بل الكثير منها، وأكياس قمامة سوداء.

اختفت "ناتي" وتركت "سونيا" وحدها مع الرجل الذي كان سببًا في معاناتها. لم يخطر ببالها أبدًا أنها في يوم من الأيام ستقف أمام رجل ميت في ظروف كهذه. ولكن بما أنها اضطرت؛ بدا من العدل أن يكون ذلك الرجل هو السيد "خوسيه"، فبدونه أصبح عالمها أقل خطورة قليلًا؛ لن يستطيع إخافتها أو تعذيبها بعد الآن. جلست على ذراع الأريكة وتنهدت بعمق. شعرت بالدوار. أحست بأنها تطفو على نهر جارٍ، ويسوقها بعيدًا تيار عنيف لا يمكنها مقاومته. كان السيد "خوسيه" مشكلة.. حيًا أو ميتًا، كان دائمًا مشكلة.

61



اتضح أن "صوت الحقيقة" يدعى "مارتين"، ويعيش بقبو في "جريتيسجاتا"؛ أحد شوارع وسط المدينة بالقرب من "لوجافيجور"، والتي

يحيط بأغلبها منازل خشبية تقليدية صغيرة مطعمة بالحديد بألوان عدة. ولولا سماح بعض المخططين في السبعينيات ببناء منازل خرسانية ضخمة بين المباني الخشبية، لبدا الشارع كقوس قزح.

فُتِح الباب، فأصابت "ماريا" رائحة حادة كريهة جدًا لدرجة أنها غطت أنفها بشالها. قال وهو يرفع نظاراته الملطخة أعلى أنفه:

- لا أدعو الناس للدخول عادةً.

غطت أكتافه القشرة، التي تساقطت كندفات الثلج من شعر ربما لم يرَ مقصًا منذ عامين على الأقل. قالت "ماريا" بارتياح:

- جيد. أردت فقط طرح بعض الأسئلة.

لم تجرؤ على مواجهة تلك الرائحة داخل الشقة. تمكنت "ماريا" من رؤية نظرات الشك في عينيه من وراء نظاراته الملطخة وهو يسألها:

- قلتِ إنك تعملين لصالح من؟

أجابت:

- مكتب النائب العام. نحقق في الجرائم المالية المتعلقة بأزمة الانهيار البنكي.

قال:

- أعرف ماذا تفعلين. لكن لا يمكنني تحديد إذا كنت فاسدة أم لا. هل أنتِ نزيهة؟

وضاقت عيناه فابتسمت "ماريا"، وقالت:

- أعتقد أنني نزيهة. على الأقل أبذل قصارى جهدي للعمل وفقًا لمبادئي، ولا آخذ أية نقود غير راتبي. من ناحية أخرى، تصعب طبيعة الفساد معرفة إذا كنت تعمل من أجل مصالح الشخص الفردية أو لمصلحة المجتمع ككل.

كانت إجابة صادقة تمامًا، فقد عرفت القليل جدًا عن "فينور"؛ موقفه السياسي، وتفاصيل عائلته، وكيفية حصوله على التسجيلات بين "أجلا" و"إنجيمار". قد تكون هناك دوافع مشبوهة وراء تصميمه على التحقيق في الأمر.

- إممم، حسنًا.

ثم نظر إليها "مارتين" من أعلى لأسفل مجددًا، وكأنه سيلاحظ شيئًا جديدًا.

- ولِمَ أنتِ مهتمة بما أعرفه عن "إنجيمار"؟

- أنا أحقق في صلته بـ"أجلا مارجيرسدوتير". أعتقد أنك على علم بأنها تترقب مثولها أمام المحكمة بتهمة التلاعب بالسوق. أنا أجري هذا التحقيق.

قال "مارتين":

- غسلت "أجلا" الأموال لـ"إنجيمار".

قالت "ماريا"، وهي تمد في الكلمة ليواصل حديثه:

- أوكـــــي.

لم تستمتع بالتحدث إلى الغرباء هكذا. لكنه ظل صامتًا بينما سارت ببطء امرأة تحمل طفلًا صغيرًا في الشارع. ولأن مدخل شقته على جانب المبنى، لم تكن المرأة لتسمع محادثتهما، لكن صمت "مارتين" كان خير دليل على وساوسه.

سألت "ماريا" عندما اختفت المرأة عن الأنظار:

- أية نقود؟

فرد محدقًا وكأنه ينتظر ردة فعل:

- "إنجيمار" هو زعيم الألومينيوم في آيسلندا.

حدقت فيه بعجب:

- زعيم الألومينيوم؟

بدت تلك اللحظة التي كان ينتظرها، حيث انفجرت منه الكلمات فجأة:

- نعم. ألم تعرفي؟ الجميع يعلم هذا. إنه المسؤول عن العقود بين منتجي الألومينيوم والحكومة، وقد توسط لهم في صفقات مربحة للغاية لدرجة أنه لا يُسمح لأي شخص بمعرفة حجم تلك الأرباح. لِمَ السرية في هذه العقود، هاه؟ لأنها مربحة للغاية لمنتجي الألومينيوم. أتعرفين كيف يعاملون عمالتهم في الصين؟ قبل الانهيار، دفعت المصاهر مقابل الطاقة، لكن الاتفاقية الذي توسط فيها "إنجيمار" نصَّت على أن تقوم الدولة بسداد تكاليف الطاقة، بينما أنهت شركات الألومينيوم "استثمارات المؤسسة" الخاصة بهم. لكن مثل هذه الشركات لا تنتهي أبدًا من دفع تكاليف إنشائها، بل يستمرون في إرسال الفواتير. لن أتفاجأ إذا كانوا يرسلون فواتير بتكاليف الإنشاء للحكومة للوقت الحالي. سياسيو آيسلندا أغبياء. حمدًا للرب على قانون ضوابط صرف العملات الذي يتحكم به، حاليًا على الأقل. ليس هذا لإيماني بالرب. الدين هو دواء ضعاف العقل. ولكن قبل الانهيار المالي، تأكد كل من "أجلا" و"يوهان يوهانسون" من إخفاء البنك لأثر الأموال المتدفقة إلى خارج البلاد. أليس هذا غسيل أموال؟ يجب على قانون ضوابط العملة أن يوقفه، أليس كذلك؟

هزت "ماريا" كتفيها. شعرت وكأنها أمام انهيار جليدي، ثم سألته:

- ألديك أي دليل على كلامك؟ أم أنها مجرد نظرية؟

- هذه هي المشكلة مع هؤلاء الناس. لا يمكنك إثبات عليهم أي شيء أبدًا.

فاحتجت "ماريا":

- يمكن إثبات سوء السلوك، لكن هذا يحتاج إلى وثائق. لا يكفي ابتكار نظريات هوجاء.

رد "مارتين" مضطربًا فجأة:

- نظريات هوجاء؟ سأعطيكِ ما تحتاجينه من أدلة.

وعاد إلى الشقة. ثم استدار وأشار إليها بإصبعه قائلًا:

- انتظري هنا.

أومأت "ماريا" بتواضع. لم يكن هناك احتمال أن تتسلل خلفه. ستموت قبل أن تخطو داخل حجرة الفئران تلك التي يسكنها "مارتين". علمت من الرائحة أنه لم يقم بإفراغ سلة المهملات، ولم يكن هناك مساحة لوجود شخص آخر معه. كان على جانبي الصالة أكوام من الصحف، ولم يتبقّ سوى ممر ضيق بينهما. ثم سمعته يقول لأحد المستندات:

- وجدتك.

وعاد بملف سميك أعطاها إياه.

- هذا هو كل الأدلة التي تحتاجينها.

أخذت "ماريا" الملف، وسألته:

- عما أبحث فيه؟

فتنهد، كمعلم أمام تلميذته الغبية، ثم قال:

- انظري في التقارير السنوية. ستفهمين ما أقصده.

شكرته "ماريا"، وودَّعته، وما لبثت أن خطت قدمها على الدرج حين ناداها:

- تذكري أنك لم تحصلي على هذا مني. إن عرفوا ذلك، فأنت تعرضينني للخطر.

فسألته:

- أي نوع من الخطر؟

- إذا استيقظت ووجدت نفسي مخدرًا في جناح للأمراض النفسية، فسأعرف أنك من بلغت.

منعت "ماريا" نفسها من السخرية حتى دخلت السيارة. لم تجنِ هذه الزيارة ثمارها، ولكن سيكون مفيدًا إلقاء نظرة على الملف. لن ترفض أي معلومات عن "إنجيمار ماجنسون" الغامض.

62



استخدمت "سونيا" منشفة تلو الأخرى وهي تشاهدها تتشرب الدماء اللزجة ذات اللون الأحمر الداكن، فقالت لـ"ناتي":

- المزيد. أحضري المزيد من المناشف.

أسرعت "ناتي" وعادت بكومة أخرى من المناشف.

أخذتها "سونيا" منها وأمرتها أن تذهب وتتأكد من عدم وجود أي شخص في المبنى، وأن ترسل بعيدًا أيًا من الخدم إن وجدت أحدهم في المنزل. كوَّرت المناشف المليئة بالدماء ووضعتها في كيس قمامة أسود، وهدأت حين رأت توقف تدفق الدم من الجثة. ربما فقد الجسد كل دمائه. فكرت بعد ذلك في سحب السكين من صدر السيد "خوسيه"، لكنها قررت عدم إخراجها. كان من الأفضل عدم لمس السكين على الإطلاق. شعرت بقلبها ينبض بشدة، لدرجة أنها تأكدت أنها على وشك الإغماء. لم تجرؤ على لمس الجثة، فكانت شبه مقتنعة بأنها إذا فعلت ذلك سيقف السيد "خوسيه" على قدميه ويخنقها بيديه مجددًا.

ازدحمت أفكارها بمزيج غريب من الاشمئزاز والتعاطف. أشعرتها رائحة الدم المشوية بالحديد بالغثيان. وفي الوقت نفسه، أحست بالقليل من التعاطف مع الشخص الراقد أمامها، فقد كان السيد "خوسيه" صبيًا صغيرًا، ذات يوم، وبدا الأمر وكأن براءة ذلك الطفل قد سكنت جسده مرة أخرى. رأت ضعفًا في وجهه لم تره حين كان على قيد الحياة.

هزت "سونيا" رأسها وكأنها تنفض عنها هذه المشاعر. لا يمكنها البدء الآن بالتفكير في الأولاد الضعفاء، لأنه سيقودها إلى "توماس"، وكانت متأكدة أنها إذا بدأت بالتفكير في ابنها، فلن تستطيع إنهاء هذه المهمة. تضايقت بهدوء، وجزَّت أسنانها، ثم واصلت الضغط على المناشف لتمتص الدماء بسرعة أكبر.

همست "ناتي" من خلفها:

- ماذا نفعل الآن؟

تفاجأت "سونيا" بامتلاكها إجابة على السؤال، كأنها قفزت إلى ذهنها، أو انتظرت هذه المناسبة لتخرج. ربما كان هذا ما حدث بالضبط، وبالنسبة لآيسلندية، كان الخيار البارد هو الأقرب دائمًا لشخصيتها.

- ستقومين بشراء أكبر "ديب فريزر" من على الإنترنت.

صرخت "ناتي":

- وماذا بعد ذلك؟ لا يمكنني الاحتفاظ به داخل "فريزر" إلى الأبد.

قالت "سونيا":

- ليس للأبد. لبضعة أسابيع فقط.

ترددت "ناتي" في ذهول، واستطاعت "سونيا" رؤية أنها على وشك الانهيار، فأضافت محاولةً إظهار الشدة في صوتها:

- هيا، افعلي كما أخبرتك.

لم تقوَ على التعامل مع توتر الزوجة أيضًا. تكفيها جثة في بركة من الدماء.

غادرت "ناتي" الغرفة وجلست "سونيا" على الأريكة تقرص ذراعها. أليس هذا ما يفعله الناس حين يريدون التأكد من أنهم مستيقظون وليسوا في حلم؟ كان الألم في ذراعها واضحًا، لذا فلن يكون الهروب سهلًا بالتأكيد. لم يكن كابوسًا، بل واقعًا باردًا وقاسيًا؛ واقعها. سبق أن فعلت كل ما في وسعها للفرار لإبقاء نفسها و"توماس" بعيدًا عن قبضة الرجل في هذا المنزل، لكن بدا أن ذراعيه ممدودتان في كل مكان، تمسكانها وتسحبانها مرة أخرى، تمامًا إلى وسط المصيدة. لكن ما وجدته هنا لم يكن ما قد تتوقعه أبدًا. فقد أصبحت بركة الدماء تلك مشكلة كبيرة أخرى يجب حلها. وستحلها بالطريقة نفسها التي

نجت بها من كل شيء آخر ألقته الحياة بوجهها حتى الآن، بعملية وعقلانية. لم يبدُ عليها وكأنها من قتله، ولم تشعر بأدنى ذنب بسبب موت هذا الرجل. تنفست بعمق، ثم تنهدت. ستفعل ما يجب القيام به. قالت "ناتي" عند عودتها الغرفة متسللة:

- سيصل "الفريزر" في الساعة الثانية بعد الظهر. ماذا نفعل الآن؟ ما الذي يمكننا القيام به؟

تذمرت برعب كاد أن يسيطر على كامل جسدها. حينها، بدا أن الحيوان الذي كان حاضرًا في ذهن "سونيا" منذ المرة الأولى التي رأته فيها منذ كل تلك الأشهر الماضية قد فتح فكيه. كادت تسمع زئيره الجائع قادمًا من مكان ما في المنزل، يخبرها بالحل لأكثر المشكلات تعقيدًا التي عليها مواجهتها.

قالت "سونيا":

- عندما يتجمد تمامًا، سيسهل تقطيعه إلى أشلاء. عندها يستطيع النمر أكله، قطعة تلو الأخرى. وهكذا سيختفي تمامًا.

فصرخت "ناتي" بيدها على وجهها:

- لا يمكنني قطعه. لا أستطيع فعل ذلك!

تأوهت "سونيا" من التوتر، فلم تكن وظيفة تثق أن تقوم بها بنفسها أيضًا. ولكن كان هناك شخص ما يمكنه ذلك، سيقطع السيد "خوسيه" لإطعام النمر، بل سيستمتع بهذه المهمة.

- الرجل النيجيري الذي عمل عندكم؛ "أمادو"؟ أما زال في لندن؟

يونيو 2011

63



بدا أن كل غضب "آدم" قد تبخر.

وقف مسترخيًا على باب شقة "سونيا" يتحدث بهدوء غريب، كأنه يريد التأكد من فهمها له:

- رحلات جرينلاند ليست مشكلة يا "سونيا". فقط تصرفي كسائحة. لا تحتاجين سوى تعليق كاميرا حول رقبتك، وسيتم السماح لكِ بالمرور. ما يبحثون عنه هو الحشيش الدنماركي، هذا فقط هو ما يدربون كلابهم على شمه.

أومأت "سونيا" بنظرة شك على وجهها. كانت قد استعدت بالفعل للقيام برحلة إلى جرينلاند، لكنها ماطلت في الموافقة على الذهاب للحصول على بعض الوقت الإضافي مع "توماس". فقد استنفذ الأسبوع الذي قضته في لندن قوتها وسلبها طاقتها كبطارية رخيصة، وهي تنتظر ركود البركان للسماح للطائرات بالعودة إلى آيسلندا مرة أخرى. أرادت بضعة أيام هادئة لتستريح، لكن ما غلب إجهادها هو أملها في قضاء بعض الوقت مع "توماس". فإن كانت هناك فرصة لرؤيته واحتضانه، لن تتركها بلا شك. ولأجله، يمكنها الذهاب إلى أي مكان على الأرض. سألته:

- وما المقابل؟

ثم رأت تغيُّرًا مفاجئًا في تعابير "آدم" بينما جزَّ على أسنانه وضَبَّ قبضتيه. كانت تلك - خلال زواجهما - إشارة لانهياره. اعتادت "سونيا" دائمًا الانسحاب حينها. لطالما سكتت عن مطالبها وأخفت آراءها لإبقائه هادئًا، ولتجنب غضبه الذي هدد بالثوران حين يتحداه أحد. لكنها انتظرت الآن. لم تعد تهتم بما قد يحدث؛ حتى وإن لكمها. فبعد تخطيها أصعب الضغوط من رحلات التهريب بكل ما فيها، وما حدث أخيرًا من تغطيتها على جريمة قتل وإطعام الجثة لنمر، لم يعد هناك ما يخيفها. أثبتت مقولة أن ما لا يقتلك فقط يجعلك أقوى.

قال "آدم" بعد أن استعاد اتزانه:

- أجرك، كالعادة.

وكررها:

- أجرك. هذا ما تحصلين عليه.

قالت "سونيا":

- بالطبع. لكنك تعرف ما أرمي إليه.

ابتسم "آدم" بلطف، فاستُفِزَّت "سونيا". لم يخطر لها أبدًا، من بضع سنوات فقط، حين جلسا معًا على الأريكة يضحكان مع "توماس"، الذي بذل قصارى جهده للزحف أمامهما، أنه سيصبح محور الخلاف بينهما، بل أكثر من ذلك. فقد تحول إلى نقطة مساومة في تنافس والديه على المنصب.

- كيف أثق في عدم هروبك معه مرة أخرى؟

- يمكنك الحصول على جواز سفري حين يكون معي. لن يمكنني السفر بدونه.

قال "آدم" والعند على وجهه:

- أنت ماكرة لدرجة أنك قد تملكين جواز سفر احتياطيًا مخبأ.

لم يكن التعامل مع عناده أمرًا سهلًا.

- "آدم"، قبل أن أكتشف أنك من وراء كل هذا، فعلت كل ما قيل لي خوفًا على "توماس"، رعبًا من أن يصيبه أذى. ولكن الآن بعد أن علمت أنك المسؤول، لست بحاجة لأن أخاف عليه بعد الآن. أعرف أنك لن تؤذيه أبدًا، ما يعني أنك لم تعد لديك السيطرة نفسها عليَّ. أعطني ما أريد وسأذهب إلى جرينلاند.

ثم عادت خطوة إلى الوراء وأمسكت الباب بيدها، إشارة أنها على وشك إغلاقه. لم تكن في حالة مزاجية تسمح بمهاودة "آدم" كما اعتادت حين كانا يعيشان معًا، فقد كانت تستخدم نبرة التوسل، ولم تعد تتسول الآن. بدأت تغلق الباب. وظهر نجاح الأمر عندما لانت تعابير وجهه وقال:

- يمكنك أخذه عطلة واحدة في الشهر، مع احتفاظي بجواز سفرك أثناء تواجده معك.

ردّت "سونيا":

- عطلة كل أسبوعين على الأقل.

فكر "آدم" للحظة، ثم قال:

- حسنًا. عطلة كل أسبوعين.



64



- لنقل إن هناك.. آ.. بعض الضغط.. لإقناعك بالتقاعد.

اعتلى وجه "هرافن"، كبير ضباط الجمارك، نظرة حرج، وأخذ يفرك كفيه كأنه يضع الكريم فيهما. كان مكتبه ضخمًا، وشعر "براجي" أن "هرافن" بدا صغيرًا بعض الشيء، وهو يجلس على الجانب الآخر منه. كان قد أتى من مكتب جمارك ريكيافيك للحصول على حزام أدوات جديد. وبطريقة ما، سمع "هرافن" بوجوده واستدعاه. قال "براجي":

- أجل. أعلم ذلك.

لو كان استسلم لضغط الجهات الأعلى، لكان قد غادر منذ فترة طويلة، فقد مرت أربع سنوات منذ التلميحات الأولى. لكنه أصر على موقفه، فلديه كل الحق في العمل حتى السبعين، وهذا بالضبط ما كان سيفعله. لقد احتاج السنوات القليلة الماضية لتصحيح كل شيء، لضمان راحة "فالديس" في سنواتها المتبقية، معه، في بيتهما. وتابع:

- كنت بحاجة إلى النقود.

رغم أنه لم يكن يقصد راتبه كموظف في الجمارك، بل ما كسبه فيما بعد.

تمتم "هرافن"، وهو لا يزال يفرك يديه بقوة:

- أتفهم بالطبع. تم تحديد موعد تسوية معاشك في أغسطس، أليس كذلك؟

قال "براجي":

- هذا صحيح. سأبلغ السبعين في الثاني من أغسطس، وحينها، سأغرب عن وجهك للأبد.

ضحك "هرافن" بسخافة وتحرك بضيق في كرسيه، ثم قال:

- في الواقع، التخلّص منك ليس المراد بالضبط يا "براجي".

- كيف ذلك؟

رفع "براجي" حاجبه متعجبًا. أخرج "هرافن" ضحكة حرجة أخرى وقال:

- حسنًا، كما ترى.. كيف أقولها؟ فريق التحليل سعيد حقًا بما حققته في الأسبوعين الماضيين، وهم يتساءلون إذا كان هناك أي شيء يمكن للآخرين تعلمه منك. سواء كانت معلومات أو غيرها.

هذا ما كان ينتظر "براجي". لم تمر هاتان الصيدتان مرور الكرام. قال بابتسامة اعتذارية:

- لا، أنا لا أخفي شيئًا أبدًا. أعتقد أنني اعتمدت أكثر على حدسي في الأسابيع القليلة الماضية، باعتبار قرب رحيلي على أية حال.

- حدسك؟

- بالضبط. لم ألتزم بإرشادات فريق التحليل، ولم أقم بعمليات بحث مسبقة. لم أفكر كثيرًا، لكنني ببساطة أراقب الناس وأترك الأمر لغريزتي.

- إمممم.

لم يعرف "هرافن" بمَ يرد. تحرَّك حاجباه لأعلى ولأسفل وأومأ كثيرًا، كأنه يحاول الاتفاق مع "براجي" بطريقة ما، لكنه لا يفهم علام يتفق معه بالضبط.

- اعتقدت، بما أنني مغادر على أي حال، أنه لن يكون هناك ضرر إذا ارتكبت بعض الأخطاء البلهاء. ولكن ها أنت ترى نتائجها.

قال "هرافن" ضاحكًا مرة أخرى:

- أجل أفهم. أيمكننا طلب المزيد من الأخطاء البلهاء؟

- سأبذل قصارى جهدي طالما ما زلت هنا.

- آه. بخصوص ذلك..

أكمل "هرافن" فرك يديه.

- يتساءل بعض الناس إذا يمكن إقناعك بالبقاء، بطريقة أو بأخرى، ربما كاستشاري، ما رأيك؟

اندهش "براجي" حقًا. لم يكن ذلك ما توقعه، فقال:

- ناس؟ أي ناس؟

- حسنًا. فريق التحليل، وأنا.

منع "براجي" نفسه من الابتسام، رغم أنه كان يتوق إلى ذلك. فحتى الآن، كما يبدو، فعل "هرافن" كل ما في وسعه للتخلص منه، وعزم على تعيين بعض الشباب المتحمسين لمنصب كبير المفتشين، ولم يُخفِ رأيه بأن "براجي" كان قديمًا وكبيرًا جدًا بالنسبة للوظيفة.

ولكن ببقائه حتى أغسطس، سيكون لديه الوقت الكافي لتكوين أساس من أرباحه من "سونيا"، وهو ما يكفي لإبقاء "فالديس" بأمان في المنزل، فطالما لديه المال للعيش، لم يكن هناك ما يحتاجه.

فوقف وقال:

- لا، شكرًا. ثلاثون سنة تكفيني تمامًا.

65



سأل "ماجي" ممسكًا أنفه:

- ما هذه الرائحة؟

اعتدلت "ماريا" في جلستها ووقفت وهي تقول:

- أوه، آسفة. إنه ملف قديم كان بغرفة تخزين رطبة لفترة طويلة. سأضعه في الغرفة الأخرى.

لم تنوِ ذكر هذه المهمة الإضافية الغامضة لـ"ماجي"، ولن تحكي له بالطبع عن "صوت الحقيقة" أو من أين أتى الملف. في الواقع، لم تعتقد أنها ستجد فيه ما يفيدها، فاحتفظت به في صندوق السيارة لبضعة أيام، على أمل أن تختفي الرائحة وتصبح قراءته أسهل. بدت الرائحة أقل عندما أخذته معها إلى الداخل. لكن بمجرد أن فتحته، انتشرت رائحته الكريهة مرة أخرى.

أخذت الملف إلى الغرفة الأخرى ووضعته على طاولة غرفة الطعام. كانت قد ألقت بالفعل نظرة سريعة عليه، وتحقَّقت من التقارير السنوية للشركة الأم في الخارج وتقارير شركة الألومينيوم الآيسلندية. ولكن كما لاحظت، بدا كل شيء في مكانه. الفواتير مُعَدة وفقًا للتواريخ المعتادة والأرقام الرئيسية طبيعية تمامًا. تنهدت. كان عليها ألا تتوقع صدق الكثير مما قاله "صوت الحقيقة" هذا. ربما كان خياله واسعًا قليلًا.

ذهبت إلى الحمام وغسلت يديها ثم تفحصتهما مرة أخرى. كانت لا تزال هناك رائحة خفيفة في كفيها؛ رائحة العفن نفسها التي تخرج من صندوق قمامة في يوم حار، فغسلت يديها مرة ثانية ووضعت كريم اليد عليهما.

عند عودتها إلى السرير بجانب "ماجي"، وجدته مستلقيًا بكتاب على بطنه، وعلى أنفه نظارة القراءة. لم تعرف إذا كان يقرأ أم نائمًا، لكن لم تكن لتزعجه بإغلاق ضوء القراءة. تساءلت في بداية غفوتها إذا عليها قبول هذه المهمة الإضافية التي كلفها "فينور" بها. لم تستطع الكشف عن أي شيء مهم له علاقة بـ"إنجيمار" أو مكالماته مع "أجلا"، وأقرَّت أنه إذا لم تكن "أجلا" متورطة وأن الأمر يتعلق بشخص آخر، فلن تكمل القضية. ربما كان من الأفضل إعادة الملف غدًا إلى مالكه الغامض، ثم إخبار "فينور" بالتصرف في المكالمات المسجلة بنفسه.

من الواضح أن الوقت كان متأخرًا حين استيقظت فجأة، فكانت الغرفة مظلمة و"ماجي" نائمًا بجانبها. كأن قد وصلتها رؤية ما أو رسالة في منامها. لم يكن هناك خطأ في التقارير السنوية. كلها طبيعية تمامًا. الخطأ كان في ربط الاثنين ببعضهما بعضًا، فقد أظهرت أرقام الشركة الأم أرباحًا مذهلة من المصهر في آيسلندا، بينما أثبتت أرقام الشركة الآيسلندية خسارة.

66



جلست "سونيا" على الكمبيوتر تقرأ صفحة تلو الأخرى عن جرينلاند، لكنها لم تستطع التركيز؛ فعقلها مع "توماس". شتتها شوقها لرؤيته مرة أخرى، انشغلت بالتفكير فيما سيتناولانه على العشاء، وقد يذهبان للسباحة بعد ذلك، ولعب الألعاب السخيفة، والرقص حول غرفة المعيشة ثم القراءة له حتى النوم.

لم يكن هناك أجمل من أن تحكي له حتى يستكين رأسه الصغير على ذراعها، فتتنفسه. لطالما كانت رائحة شعره منعشة كيوم ربيعي ولم تفشل أبدًا في أن تأخذها كل مرة في رحلة عاطفية لتتذكر الأسابيع الأولى من مولده، عندما لم تجرؤ أبدًا على ترك هذه المعجزة الوليدة خوفًا من أن يغيب عن أنظارها، حيث كانت لا تستطيع أن تفارقه أبدًا. والآن ستمر الأيام بصعوبة حتى عطلة نهاية الأسبوع، لكنها تستغل الوقت بالتجهيز لرحلة جرينلاند.

استطاعت التركيز للتو على خريطة للعاصمة نوك؛ عاصمة جرينلاند، عندما رن تليفونها. ندمت "سونيا" على الرد بمجرد سماعها صوت الطرف الآخر. كان هناك شخص واحد فقط هو من يبدأ محادثة بقول: "نعم، أهلًا" جملة واحدة، هي والدتها.

أجابت "سونيا" بسرعة:

- مرحبًا.

وأدركت على الفور أن نبرتها ودودة للغاية، حيث ردت والدتها بتحية يابسة:

- مرحبًا. أود التحدث إلى "توماس".

هكذا إذًا. اعتقدت والدتها أن "توماس" معها، فهي لن تتصل بـ"سونيا" للتحدث معها. كان واضحًا عندما افترقت هي و"آدم" أن والدتها لا تملك ما تقوله لها. قالت "سونيا":

- "توماس" ليس معي حاليًا.

- حسنًا. لم يرد عليَّ أحد عندهما، وبعد أن أخبرني "آدم" أن لديك الصلاحية مرة أخرى، فكرت.

قالت "سونيا" مقاطعة:

- سيكون معي نهاية الأسبوع المقبل، ثم كل أسبوعين بعد ذلك.

- هذا لطف من "آدم"، بعد هروبك مع الصبي.

قالت "سونيا":

- هذه مبالغة.

حاولت جعل كلماتها تبدو طبيعية، على الرغم من الغضب الذي تملكها من فكرة إقحام "آدم" لوالدتها فيما يحدث، فبدت قادرة على مواصلة الحديث مع زوج ابنتها العزيز عن "سونيا"، دون الحاجة إلى التحدث إلى ابنتها "سونيا" نفسها.

- أخذت "توماس" في إجازة بـ"فلوريدا" ولم يعجِب هذا "آدم"، ففقد أعصابه.

- حقًا؟ أهذا كل ما حدث؟

وكانت هناك نبرة مُهينة في صوت والدتها. قالت "سونيا":

- أجل. هذا ما حدث. يمكنك معاودة الاتصال في عطلة نهاية الأسبوع إن أردت التحدث إلى "توماس".

قالت والدتها بتكبر:

- أظن أنني سأصل إليه قبل ذلك الوقت، فنحن على اتصال وثيق جدًا، أنا و"آدم".

- مفهوم.

ردت "سونيا" بجفاء، وأقفلت الخط.

شعرت بحرق في عينيها، وأخذت أنفاسًا طويلة لحبس دموعها. مر وقت طويل منذ أن وعدت نفسها بألا تدع والدتها تبكيها مرة أخرى.

لم تلبث أن أغلقت التليفون حين رن جرس الباب. اعتادت فحص العين السحرية أولًا قبل فتح الباب، وهذه المرة، لم تصدق عينيها. تراجعت فجأة إلى الوراء ولقطت أنفاسها قبل إلقاء نظرة ثانية للتأكد من صحة ما رأت. لم تتوقع "سونيا" أن يزداد اليوم سوءًا بعد مكالمة والدتها، لكنه ساء بالتأكيد. ارتجفت بعدها حين طُرِق الباب.

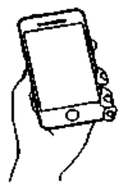
- "سونيا"! افتحي. أعلم أنكِ بالداخل.

لم يكن هناك مخرج. كان عليها أن تفتح الباب. وعندما فعلت، دخلت "ناتي" وهي ترقص وكأن ذلك أكثر الأشياء طبيعية في العالم. وألقت حقيبة سفر ضخمة ومجموعة حقائب صغيرة. كانت كل ما ترتديه من الجلد، ولم تستطع "سونيا" رفع عينيها من على ملابسها الأنيقة.

صاحت "ناتي" بمرح:

- أنا في إقامة قصيرة، ويمكنكِ الآن أن تأخذيني في جولة سياحية في مدينتك.

67



- نعم؟

كان هناك ترقُّب في صوت "فينور"، وشعرت "ماريا" بالأسف لعدم وصولها لأي جديد تبلغه به، فأغلقت باب المكتب خلفها وجلست على الكرسي أمام مكتبه. قالت:

- أخبرتني أنه يمكنني الحصول على بعض المساعدة. أي شيء أحتاجه.

فأجابها:

- صحيح. لكن ربما ليس دليلًا قويًا يوصلك إلى المحكمة، فيمكنك الحصول على مساعدة لإجراء تحقيق أولي للعثور على شيء يمكنه دعمك بعد ذلك رسميًا.

ثم فتح درج مكتبه وأخرج لوحًا من الشوكولاتة، وأكمل:

- كانت واحدة من المنتجات الجديدة لشوكولاتة الحليب الآيسلندية التي بدا أنها تسبب الإدمان، لأن الجميع بدأ باستهلاك كميات هائلة من تلك الحلوى، والتي كانت منذ بضعة أشهر فقط غير مطلوبة.

مزق "فينور" الغلاف، وكسر قطعتين من اللوح، ووضعهما في فمه ثم أعطاه إلى "ماريا" وقال:

- بالكراميل المملح.

هزت رأسها معتذرة؛ فهي تأكل في أوقات محددة، وليس في أي وقت أرادت فيه ذلك، فأكملت:

- أفهم من ذلك أنه لا تُجرى تحقيقات في الوقت الحالي.

ثم أحست بارتياب مفاجئ، وأدركها مجددًا الانزعاج الذي شعرت به من قبل. قال "فينور" وهو يمضغ الشوكولاتة:

- تعرفين كيف تسير الأمور. لا توجد تحقيقات جارية الآن. ولكن لك ما أردتِ، وإن توصلتِ لشيء، يمكننا حساب تكاليفك فيما بعد.

- وستصلك مسجَّلة؟

قال "فينور":

- نعم. ماذا تحتاجين؟

كسر "فينور" مربعين آخرين من لوح الشوكولاتة.

- أعتقد أنه سيكون من المهم تتبع "أجلا" لمعرفة ما تنوي فعله، أين تذهب، من تقابل، ثم نرى ما يحدث. وإذا كان ممكنًا، الاستمرار في مراقبة تليفونها.

قال "فينور" بفم ممتلئ وهو يهز كتفيه، كما لو كانت هذه مسألة تافهة:

- المراقبة ليست مشكلة، سأوكل الأمر لـ"ستيني" وسيوافيكِ بآخر أخبارها بشكل منتظم. أما التليفون فهو المشكلة الأكبر.

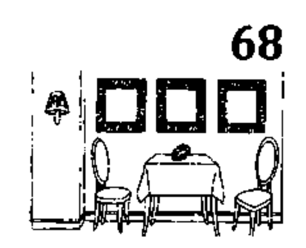
- كيف ذلك؟

- ما نعرفه هو تليفونها الآيسلندي الذي لا تستخدمه كثيرًا. لديها رقم آخر لا يمكننا الوصول إليه لأنه مسجل في الخارج.

- فهمت.

وهذا يفسر عدم استخدامها تليفونها كثيرًا. كان خيارًا من الاثنين. سيكون على "ماريا" معرفة الرقم الآخر إذا كان هذا سيضيف أي شيء لهذا "التحقيق"، إذا كنا نستطيع أن نسميه "تحقيقًا".

68



ظلت "أجلا" تحاول التركيز في كلام "إلفار" المحامي، ونظراتها تتحول باستمرار إلى طاولة "سونيا"، حيث جلست بصحبة امرأة غريبة. بدت أجنبية؛ بشعر أسود لامع وبشرة ذهبية وملامح لاتينية. جلست "سونيا" وظهرها لـ"أجلا"، من هنا استطاعت "أجلا" رؤية وجه المرأة الأخرى وهي تتحدث، ولم تستطع تمييز أي كلمة مما قالته. رأت "سونيا" مشدودة إليها، من وضعية رأسها، والطريقة التي أومأت بها. سألها "إلفار":

- أتسمعينني؟

أومأت "أجلا" برأسها ورشفت نبيذها، ثم بذلت مجهودًا لتقطيع شريحة اللحم الخاصة بها إلى قطع صغيرة لأكلها. لكنها لم تستطع، فقد ضاق حلقها وسُدَّت شهيتها.

لا بد أن تكون هذه المرأة هي سبب عدم رد "سونيا" على تليفونها. ربما كانت أيضًا سبب اختفائها ووصولها إلى آيسلندا في ظروف غامضة بشورت. وها هي الآن، تجلس معها بجانب المدفأة في مطعم "أجلا" المفضل، وقد أفسد ذلك استمتاعها بعشائها. سبق أن جاءت "أجلا" بـ"سونيا" إلى هنا بضع مرات، لذا شعرت أن إحضارها امرأة أخرى لهذا المكان خيانة لها. في الواقع، كان المكان الوحيد في "ريكيافيك" الذي يقدم لحمًا جيدًا، فاللحم الآيسلندي لا يصنف ضمن ألذ اللحوم في العالم، ولكن يبدو أن الأرجنتينيين لهم طرقهم في إعداد أفضل أطباق شرائح اللحم للشواء. أضاف وهج المدفأة جوًا دافئًا على الزبائن في المطعم، مثاليًا لتبادل الأسرار والمغازلات، تمامًا كما بدتا "سونيا" وتلك المرأة تفعلان. أخذت "أجلا" تنظر ناحيتهما باستمرار، ولاحظت قدم المرأة تنقر على الأرض أسفل الطاولة. لا شك أنها تنتظر فرصة للمس "سونيا". شعرت "أجلا" أنها تفقد السيطرة على توترها. فارتشفت نبيذها مرة أخرى وأومأت لـ"إلفار" على أي كان ما قاله، كما لو كانت منتبهة. فكرت في الذهاب وإلقاء التحية لمجرد التطفل، لكنها لم تجرؤ على ذلك. لم تأمن تمالكها لأعصابها. أخذ "إلفار" يثرثر بشأن جلسة المحكمة القادمة، بينما أنهت "أجلا" مشروبها وتمنت ذهاب "سونيا" للحمام؛ ولم تنتظر طويلًا.

فقالت لـ"إلفار" وهي تقف لتتبع "سونيا":

- اعذرني.

كان في داخل الحمام مرحاضان فارغان، ولم يكن هناك أحد أمام الأحواض. وقفت "سونيا" وحدها أمام المرآة بفستانها الأسود الجذاب وشعرها المربوط. وحول رقبتها العقد الذي أهدته لها "أجلا" في عيد الميلاد. فاجأتها "أجلا"

باحتضانها من الخلف، وقد آلمها توتر معدتها وهي تلمسها. لكن "سونيا" انتفضت من أحضانها، وأبعدت يدها التي أرادت لمس رقبتها، ثم صرخت بغضب:

- أنا هنا مع صديقة يا "أجلا"!

تهكمت "أجلا":

- صديقة؟ أهذا ما هي عليه حقًا؟

حاولت سحب "سونيا" مجددًا بين ذراعيها، لكنها دفعتها بعيدًا، فارتجفت شفتيها واندلعت من عينيها شرارات غاضبة، ثم قالت:

- دعيني وشأني يا "أجلا". أنتِ سكرانة وتتصرفين بفظاعة.

تسندت "أجلا" على الحوض عندما شعرت فجأة بالسكر وعدم الاتزان. لم تستطع فهم ما حدث. جذبتها "سونيا" بقوة لا يمكن مقاومتها، بينما استطاعت "سونيا" نفسها وضع شروطها الخاصة لسير الأمور، حيث يمكنها الابتعاد بسهولة حين تريد. لكنها الآن معها امرأة أخرى تعود معها إلى المنزل، ولم يكن لـ"أجلا" أحد.

ربما كانت هذه هي المشكلة. ربما، إن أرادت الخلاص من هذا الشوق المستمر، فعليها أن تفعل مثلما فعلت "سونيا". جاءتها فكرة هوجاء من عقلها الباطن حين تذكّرت رؤية تقرير إخباري عن مكان يدعى "كوبافوجور"، حيث تستعرض النساء أجسادهن.

وبعد دقائق، ورغم غرابة الأمر، بدأت بالتنفيذ. استأذنت من "إلفار" ثم خرجت من المطعم. وتأكدت من المرور بطاولة "سونيا" مع المرأة وأوقعت كوبًا بحقيبتها، كأنها لا تقصد.

أثناء ذهابها إلى "كوبافوجور" في سيارة أجرة، كانت المشاعر التي اندلعت بداخلها عند لمسة "سونيا" قوية جدًا لدرجة أنها شعرت أن قلبها سينفجر. وفي الوقت نفسه، كانت غاضبة منها لدرجة أنها مصممة على اختبار هذا الشعور مع امرأة أخرى. فإذا تمكنت "سونيا" من التخلي عنها، يمكنها الاستغناء عنها هي الأخرى.

69



لم تستغرق "أجلا" الكثير من الوقت لاختيار فتاة، فلم يوجد في المكان سوى واحدة ببشرة داكنة وشعر أسود. عزمت على اكتشاف ما تبحث عنه "سونيا" مع ذات الشعر الأسود، فقد قال بعض الرجال الذين عملت معهم في البنك إن للسمراوات رائحة خاصة.

أخذتها الفتاة إلى كابينة ما منزوية، حيث جلست "أجلا" على كرسي بذراعين وهي تشرب من شمبانيا رديئة لم تطلبها، وأخذت الفتاة وضعية البدء. وبسبب رائحة السجائر، والبيرة المنسكبة، والرائحة الحامضة التي حاولت "أجلا" ألا تفكر فيها - ربما كانت لمن قبلها - لم تستطع تمييز أي رائحة للفتاة. حجزت رقصة لمدة عشر دقائق وقد بدأت الفتاة في العمل بالفعل.

سألتها "أجلا":

- أيناسبكِ الرقص لامرأة؟

نظرت الفتاة في عينيها وابتسمت قائلة:

- بالتأكيد.

ثم ابتعدت واستدارت وجلست القرفصاء لخلع ملابسها. وفكرت "أجلا" كم ستكون الحياة أسهل إذا تمكنت جميع النساء من فعل ذلك. استدارت الفتاة وظهر جسدها. بدا رائعًا؛ وشعرت "أجلا" بغصة في حلقها. رقصت لها الفتاة بطريقة جيدة، لكنها بدت سخيفة في هذا المكان الضيق. ورغم حركاتها، ظلت عينا "أجلا" متركزتين على صدرها.

انتهى وقتها. وتأكدت "أجلا" من إحساسها بشيء ما، فحجزت ساعة. أكملت الفتاة من حيث توقفت، واندمجت الموسيقى مع نبض "أجلا"، الذي تبع إيقاع الرقص بسرعة، فأسرع، حتى أحست بتحول الأجواء من حولها، كأنها في غابة برية ممطرة. بقرع الطبول في الخلفية، ولمعان جسد الفتاة الداكن في الظلام، ورائحة العرق المالحة، وضربات قلبها، بدا الأمر وكأن أمريكا الجنوبية هنا في "كوبافوجور".

كانت الفاصلة حين لمست الفتاة شعرها. لم تملك السحر المنشود، ولم يكن من المريح أن تلمسها. وفجأة، سيطرت على "أجلا" رغبتها في "سونيا"، لدرجة أنها لم تستطع التنفس. وفوق ذلك، تفكيرها أن "سونيا" الآن في المنزل مع المرأة التي رافقتها في المطعم. وقعت الفكرة عليها كطعنة في القلب، وكان مؤلمًا جدًا أن تتحمل بصمت، فمالت إلى الراقصة وسمحت لدموعها بالتدفق.

أفاقت "أجلا" حين أعطتها الفتاة منديلًا وأخبرتها أنه لا يزال أمامها عشرين دقيقة. واقترحت الفتاة:

- دعيني أُسعِدُكِ؟

لكن "أجلا" هزت رأسها بالرفض. كل ما أرادته هو البكاء، وإخبارها عن "سونيا": القصة بأكملها، فأخبرتها عن علاقتهما؛ كيف كانتا بالكاد تبتعدان عن بعضهما بعضًا. أخبرتها كيف تدفقت السعادة في عروقها كالأكسجين للدم في كل مرة ابتسمت "سونيا". وكيف كانت أحيانًا تراقبها أثناء نومها، وقلبها يغمره الامتنان. فعلَّقت الراقصة:

- أنت تحبينها كثيرًا.

- أجل. كثيرًا.

لقد أحبت "سونيا". كان هذا أكثر بكثير من مجرد افتتان أو جنون لحظي، فقد أحبتها حقًا.

أخذتها الراقصة وأحد الحراس إلى سيارة الأجرة. لم تستطع الاتزان بعد أن بكت حتى النحيب. ورغم ذلك، طلبت من السائق أن يأخذها إلى منزل "سونيا". كان عليها أن تخبرها أنها تحبها. احتاجت أن تخبرها أنها تحبها. خارج منزل "سونيا"، تركت سيارة الأجرة تنطلق واثقة من أن "سونيا" ستسمح لها بالدخول بمجرد إعلان حبها، وأنها سترمي الحلوى الأجنبية وتأخذ "أجلا" في أحضانها، بينما تواصل إخبارها عن مدى حبها. كانت لتخبرها ألف مرة، عن كل مرة ودَّت فيها "سونيا" سماعها وهي تقولها، وكل مرة لم تقدر على النطق بها.

صعدت "أجلا" درجات السلم ودقت جرس الشقة العلوية، لأنها تعلم أن العجوز الذي يسكن بها سيفتح البوابة دون أية ضجة. وفي الداخل، صعدت السلم وأخذت تطرق باب "سونيا" بقبضتيها إلى أن رأت الضوء من الزجاج الملون فوق الباب.

وحين فتحت "سونيا" الباب أخيرًا بقميص نومها العنابي، وشعرها المنسدل على كتفيها، قالت "أجلا" بلهفة:

- لديَّ شيء مهم لأخبرك به.

فأجابتها:

- أنتِ ثملة.

وأغلقت الباب في وجهها وأطفأت الضوء بالداخل.

70



ازدادت سرعة الطائرة حتى ارتفعت في الهواء. كانت حركاتها لطيفة لكن سريعة. شعرت "سونيا" كأنها تجلس على أريكة محلقة. كان المقعد الجلدي فخمًا، وبدت الطاولة التي بينها وبين "ناتي" مصنوعة من الخشب المصقول المرصع بالبلاط اللامع الملون. سألتها "ناتي" بفخر:

- ما رأيك في الديكور؟

ردت "سونيا" بخبرتها المحدودة في الطائرات الخاصة:

- إنه جميل جدًا.

لم تعرف ما تقارنها به. كانت المرة الأولى لها في مثل هذه الطائرة. كان "آدم" يسافر من حين لآخر في طائرات خاصة لحضور اجتماعات للبنك في لندن، لكنها لم تذهب معه أبدًا. لم ترِد الابتعاد عن "توماس" عندما كان رضيعًا.

قالت "ناتي" وهي تشير بيدها للتصاميم على الجدران:

- لقد صممتها بنفسي.

صبار وطيور وثعابين محاطة بنباتات خضراء كثيفة. لم تستطع "سونيا" تحديد إذا كان ورق حائط بلاستيكيًا أو إذا كانت دواخل الطائرة مرسومة يدويًا بالفعل. طقطقت "ناتي" أصابعها لاستدعاء المضيفة، التي وقفت وجاءت، رغم أن ضوء حزام الأمان كان لا يزال مضاءً. طلبت "ناتي":

- نريد شمبانيا، وبعض الوجبات الخفيفة.

فقالت "سونيا" حين أتت المضيفة وصبَّت الشمبانيا في كأسيهما:

- لا أعرف لماذا أذهب إلى المكسيك معكِ.

كانت مرهقة من الطيران لمدة 24 ساعة في طائرة "ناتي". مرت المروحية فوق "إنجيلير" وشلال "جولفوس"، وزارت "بلو لاجون" وعربة الثلج. جعلها كل ذلك تشعر كأنها سائحة. وكأن "ناتي" تُظهر لها جانبًا من آيسلندا قد نسيت وجوده. كان ذلك شيئًا لم تختبره منذ الانهيار المالي. في الليلة السابقة، أخبرتها "ناتي" أن تختار مطعمًا، ففكرت بأفضل الأماكن في المدينة، وقررت أخيرًا اختيار مطعم بطابع لاتيني؛ شعرت أنه سيطابق معايير "ناتي". ولم ينقصها إلا وجود "أجلا" هناك، سكرانة وغيرانة.

قالت "ناتي" وهي ترفع كأس الشمبانيا الخاص بها:

- أحتاج صديقة. صديقة جيدة يمكنها الوقوف بجانبي دائمًا، مهما حدث. إنه عالم ذكوري وعلينا نحن الفتيات أن نبقى معًا.

رفعت "سونيا" كأسها بالموافقة لكنها بالكاد تذوقت ما به. فعكس "ناتي"، شربت "سونيا" ما يكفي من الشمبانيا خلال الأربع وعشرين ساعة الماضية. تجرعتها كما لو كانت مصدر قوتها الوحيد، ورغم ذلك، لم تؤثر عليها مطلقًا.

- هل تريدين أن تكوني تلك الصديقة؟

ووضعت "ناتي" يدها على يد "سونيا" بحنان.

سحبت "سونيا" يدها برفق، وابتسمت في إحراج. أصبح ذلك عمليًا هو رد فعلها التلقائي للابتعاد عن لمسات "ناتي" ومداعباتها دون أن تبدو وقحة. ردت "سونيا" بهدوء:

- بصراحة، أحلم بحياة بسيطة مع ابني، ووظيفة عادية. وإذا كنت صريحة معك تمامًا، فأنا لست متأكدة من كوني مناسبة لصداقتك.

ثم ندمت على الفور لصدقها؛ حيث عبس وجه "ناتي"، وتحولت عيناها الداكنتان اللتان حدقتا بها إلى الفتور.

71



- لا، لم تكن هناك للشرب فقط. تبعتها إلى الداخل ورأيتها تدخل كابينة للرقص مع إحدى الفتيات، وظلت بالداخل لفترة طويلة.

من سعادتها، لم تصدق "ماريا" الأخبار، فقد تكون هذه هي الفرصة التي انتظرتها. جلست في مكتبها وظهرها للنافذة تستمع بحماس بالغ بينما قدم "ستيني" تقريره، وهو يقرأ من دفتر ملاحظات صغير أوقات وأماكن تحركات "أجلا" في اليوم السابق. ولكن عند ذكره الزيارة لنادي الرقص الليلي، فكرت "ماريا" أنه بهذا فقد تم منحها فرصة للاقتراب من "أجلا" دون أن تشك أنها قد تخضع للتحقيق مرة أخرى. سألت "ماريا":

- وعادت إلى المنزل وحدها؟

- أجل. كانت منهكة بالكامل. بالكاد استطاعت الوقوف. ساعدوها في ركوب سيارة أجرة في الساعة.. الحادية عشرة وثلاثة وأربعين دقيقة، والتي أخذتها إلى..

قلَّب "ستيني" في دفتر ملاحظاته وأكمل:

- "إسكيهليذ 16". دخلت إلى هناك لكنها خرجت بعد فترة وجيزة، ثم عادت سيرًا على الأقدام، ببطء شديد، تترنح في مشيتها حتى وصلت إلى منزلها غرب المدينة، في الثانية عشرة وسبعة وثلاثين دقيقة.

- شكرًا "ستيني". هذا ما أحتاجه في الوقت الحالي. سأتصل بك إن كان هناك أي شيء آخر.

نهض "ستيني" وترك مكتبها في صمت. شاهدت جسده القوي يتحرك بهيبة. بدا كأنه يتمشى فوق الأرض بقليل. لطالما وجدته فريدًا من نوعه. كان أحد فريق النائب العام. ومع أنه، كالبقية، تمتع بسلطات خاصة بالشرطة، لم يسبق له الاختلاط بالآخرين أو المكوث طويلًا في غرفة العمليات. اعتاد تقديم تقاريره ثم الذهاب.

كانت تلك هي المرة الأولى التي تستخدمه فيها "ماريا" في مهمة. لطالما قوبلت بالرفض إذا طلبت مراقبة مشتبه به، إما لتكلفتها أو لعدم أهميتها. تساءلت لماذا قرر "فينور" مراقبة "أجلا" هذه المرة، في حين أن كل ما لديهم هو الأمل في أن يكشف هذا عن شيء مفيد. سيكون للنائب العام الكثير من الأسئلة عند عودته من الإجازة.

من الواضح أن "فينور" كان يأمل في شيء ليكون أساسًا لتحقيق رسمي، وأملت هي في الشيء نفسه. كانت تحلم بتثبيت التهمة على "أجلا"، أو بالأحرى تثبيتها بقوة أكبر مما كانت عليه. في أفضل الأحوال، ستبعدها قضية التلاعب بالسوق عن العمل لبضعة أشهر فقط. لكن الجميع يعرف أنها من كبار المسؤولين عن الانهيار المالي بأكمله. كانت واحدة من هؤلاء المجرمين الكبار الذين فعلوا من الكوارث ما فعلوا ثم جلسوا بابتسامة أثناء استجوابهم، لا تظهر سوى القشور من جرائمهم.

استدارت "ماريا" بكرسيها لتتمكن من رؤية النافذة. سمعت صوت اصطدام الرياح بالزجاج؛ طقطقات صغيرة من التراب الذي امتلأت به أجواء هذه الأيام، وهو الرماد البركاني الناعم ومزيج الملح والرمال الذي قضت هيئة الطرق الشتاء بأكمله تنشره في شوارع ريكيافيك والصيف بأكمله تحاول التخلص منه، ثم نقرت بأصابعها نمط طرْق الزجاج نفسه، بينما عَمِلَ عقلها بأقصى سرعة.

لم تضمن العثور على أي دليل يمكنها إمساكه على "أجلا". فمن أجل تتبع الأموال، وهو الطريق المؤدي للحقيقة، احتاجت لأسماء؛ أسماء الأشخاص الذين كانت "أجلا" على اتصال بهم بشأن كل ما خططت له مع "إنجيمار ماجنسون"، ولم تكن متأكدة بأن يمكنها الحصول عليهم.

لكنها وجدت طريقة من شأنها أن تأخذها إلى منزل "أجلا"، ومن ثم - آملة - إلى تليفونها.

72



على الرغم من تجميعه لأحداث حقيقية، قدم الفيديو سردًا مضللًا لحقيقة ما حدث. أدركت "سونيا" أنه يمكن بسهولة تكوين رؤية خاطئة تمامًا مما لم يقال. وفجأة، صار مقعد الطائرة المبطن يضايقها.

فقالت وهي تعيد لـ"ناتي" تليفونها:

- لا يبدو الأمر جيدًا بالنسبة لي.

لم تحتج لمشاهدته مرة أخرى لفهم قصد "ناتي" بعرضه عليها. أظهرت الصور الأولى السيد "خوسيه" وهو يقف قرب طاولة المنزل ويديه حول حلق "سونيا"، ثم توالت اللقطات إلى تعثر "سونيا" عبر جسد السيد "خوسيه" ومسح دمه بالمناشف. وأخيرًا، ظهرت هي و"أمادو"؛ بيده الواحدة، وهما يلفّان الجثة بغطاء بلاستيكي ويسحبانها نحو الدرج المؤدي إلى القبو. لم يكن للفيديو أي صوت، لذا بدت أحداثه مختلفة تمامًا عما تتذكره "سونيا". بدت الآن مناورتهما بالجثة هي و"أمادو" إلى خارج غرفة المعيشة سهلة، حيث لم نُسمع أي من اللعنات أو التنهدات التي خرجت منهما أثناء معاناتهما مع ذلك الجسد الثقيل.

ابتسمت "ناتي" بلطف وهي تقول:

- سيشهد "أمادو" بأنكِ من طلب منه أن يقطع الجسد ويطعمه للنمر.

جزّت "سونيا" على أسنانها منزعجة من غبائها، فقد طلبت بالفعل من "أمادو" مساعدتها في التخلص من الجثة، رغم تأكيدها أنها لم تطعنه، لكن هذا لا يهم الآن. تابعت "ناتي":

- فقط من باب الاحتياط، احتفظنا بقطعة "ستِيك" صغيرة. تلك التي تسمى "السيرلوين"، إن كان عزيزي "خوسيه" من البقر.

رسمت "ناتي" شارة الصليب على وجهها وتمتمت بشيء فشلت "سونيا" في تمييزه بسبب صوت الطائرة، وأكملت:

- وأعلم أن "أمادو" يحتفظ برأسه في مُبَرِّد بيته، لإخراجها والبصق عليها حين يكون في حالة مزاجية سيئة، فقد تضايق بشدة من "خوسيه" بعد موقف يده ذاك.

أسندت "سونيا" ظهرها مرة أخرى على المقعد الجلدي وأغلقت عينيها. شعرت بفراغ غريب داخلها، وكأن الغضب لم يعد كافيًا؛ غضبها من تحطم آمالها في التحرر مع "توماس". بدلًا من ذلك، بحث عقلها بهدوء عن مخرج، أي قَطْعٍ صغير في هذه الشبكة المحكمة التي شعرت أنها تخنقها، لكنها لم تجد. والآن، على ارتفاع ثلاثين ألف قدم فوق المحيط الأطلسي، استسلمت أخيرًا. تخلت عن أملها في انتهاء الكابوس الذي تعثرت به منذ عام ونصف. لن ينتهي أبدًا.

لم يكن هناك مخرج، عليها تقبل الواقع. لم يجدِ كم بذلت لمحاربة الأمر، لن تكون حرة أبدًا. فحتى لو انفصلت عن "آدم"، صارت ملزمة بـ"ناتي" بدلًا منه. كل طريق كان من شأنه إعادتها لحياة طبيعية نوعًا ما، بدا مغلقًا أمامها الآن.

أخذت "سونيا" نفسًا عميقًا، واعتدلت في جلستها ونظرت بعمق في عيني "ناتي" البنيتين، ثم قالت:

- الآن بعد أن أعدت النظر، أود حقًا أن أكون صديقتك.

73



لم تتذكر "أجلا" مقابلة "ماريا" أو زوجها. وعندما حاولت جاهدة، بدا وكأن ضبابًا قد تسرب داخل عقلها وغطى بعض أحداث البارحة. أما الأشياء التي لم يمسها الضباب، كانت ما تمنت نسيانها. قالت "ماريا" إنهما التقيا في اللحظة التي دخلت فيها هي وزوجها النادي وكانت "أجلا" تغادر، لكن "أجلا" لا تتذكر ذلك على الإطلاق. بدا أن عقلها تملكته حالة غريبة من الذعر، وأخذت تفكر كم هي مرتاحة لمجيء عامل النظافة بالأمس، فقد بدت الشقة مرتبة. لكن ذلك لا يعني أن "ماريا" قد أتت لاختبار مهاراتها في التنظيف. جلست "ماريا" على أريكتها بانحناء، بعيدًا تمامًا عن شخصيتها المعهودة. بدت مغمورة بالبؤس والندم.

- تقصدين أنني أحط من نفسي بالمجيء إلى هنا لأطلب منكِ التكتم دون سبب؟ أنا واثقة بأنكِ رأيتني. تقابلت أعيننا.

تمتمت "أجلا" وبدت مرتبكة جدًا:

- لا يوجد ما هو مهين في الأمر.

كان واضحًا أن المرأة بائسة للغاية. وبطريقة غريبة، ساعدها في التغلب على شعورها بالخزي مقابلة شخص تعرفه في أحد نوادي التعري بـ"كوبافوجور". تعلم تمامًا كيف تشعر "ماريا". احتاجت فقط إلى إيجاد طريقة لتهدئتها، أو للتسرية عنها.

- أتريدين سطرًا، للشم؟

- ماذا؟

نظرت "ماريا" إلى الأعلى، ثم هزت رأسها بالنفي عندما أدركت ما تقصده "أجلا".

- أنا أعمل لدى النائب العام، أتذكرين؟

سألتها "أجلا":

- أو بيرة؟

أجابت بابتسامة باهتة:

- نعم، ستكون أفضل.

عمل عقل "أجلا" بسرعة حين ذهبت إلى المطبخ لجلب زجاجتين من البيرة. وقرر أنها بحاجة إلى جرعة قليلة، حتى لو لم تُرِد "ماريا". أخذت علبة من خزانة المطبخ ورفعت الغطاء، ثم استنشقت القليل من الكوكايين باستخدام طرف ملعقة صغيرة. جرعة صغيرة من الثقة هي ما تحتاجه الآن. عند عودتها بجانب "ماريا" على الأريكة، وبعد بضع رشفات من البيرة، تنحنحت وحاولت التفكير في شيء تقوله من شأنه تهدئة مخاوف هذه الضيفة غير المتوقعة، ثم قالت:

- لا داعي للقلق مني. يمكنكِ قول الكثير عني، لكنني لن أستخدم هذا ضدك أبدًا بأي شكل من الأشكال. ومهما يحدث في التحقيقات حولي وحول شئوني،

يمكنك الاطمئنان لأن هذا ليس شيئًا لأستخدمه ضدك. لن أذكر ذلك لأي من زملائك في مكتب النائب العام، أو لأي شخص آخر. وفي الواقع، لا أذكر أنني التقيت بكما في ذاك النادي.

همست "ماريا" قائلة:

- شكرًا لك.

ورأت "أجلا" يدها التي تحمل البيرة ترتجف.

- يا إلهي، لا أعرف ما الذي كنا نفكر به.

رمشت عينها بسرعة كما لو كانت ستبكي وتعاطفت معها "أجلا" بصدق.

ذكرت "ماريا" أنها كانت هناك مع زوجها، وأنها فكرته، لكن لن تصدق "أجلا" موافقتها على النزول إلى "كوبافوجور" لمشاهدة النساء وهن يخلعن ملابسهن؛ ما لم تكن اهتماماتها في هذا الاتجاه.

ربما كانت سخافة الموقف، أو تأثير الكوكايين، لكن بدون تفكير، انحنت "أجلا" وقبّلت "ماريا".

74



عرفت "ماريا" أنها قد أخذت الأمور لمنحنى بعيد جدًا. تفاجأت من نفسها، والآن بعد أن عادت إلى سيارتها، بدت الأشياء اليومية التي ترمز إلى حياتها

الطبيعية والتي تحيط بها الآن، كسترة "ماجي" المفضلة التي لا تزال في كيسها بعدما عادت من التنظيف الجاف، والقفازات القديمة التي ارتدتها لكشط الثلج من على السيارة، وسي دي موسيقى "إلفيس" في الكاسيت؛ كأنها كلها تتهمها بالخداع. بالطبع، هكذا هو الأمر؛ خداع بحت؛ خيانة لـ"ماجي" ولحياتهما بأكملها. فبالنسبة لهما ولأسلوب حياتهما، زيارة لنادي التعري هي بالكاد آخر شيء يمكنهما فعله. لن يفقد "ماجي" حياته في مكان كهذا. قامت بحبك الكذبة لمحاولة كسب ثقة "أجلا" من خلال التظاهر بأنها في مثل موقفها، وبطريقة ما، كان سيناريو ذلك النادي طريقة مثالية للوصول إليها.

عندما قبّلتها "أجلا"، أدركت أنها قد توغلت بعيدًا؛ أبعد مما كانت تثق في نفسها، وأنها على وشك أن تفقد السيطرة على الموقف الذي خططت له. سيطر الارتباك عليها. وبدا أن الغضب والاشمئزاز اللذين شعرت بهما تجاه "أجلا" حين جلستا أمام بعضهما في غرفة التحقيقات أثناء قضية التلاعب بالسوق أُطلِقا في الصفعة التي أنزلتها على وجهها. لكنها توصلت لما أتت من أجله. كان بحوزتها تليفون "أجلا" السري الآن؛ التليفون المسجل رقمه بلوكسمبورج. انتزعته من على المنضدة بعد أن فرَّت بكبرياء. سيكون على هذا التليفون ما هو أكثر إثارة للاهتمام من رقمها الآيسلندي. سيتوجب عليها الآن العمل بسرعة، قبل أن تكتشف "أجلا" أن التليفون مفقود وأن هذه الزيارة الغريبة لم تكن شخصية، بل مرتبطة بتحقيق مباشر تعمل عليه "ماريا". كانت هذه الطريقة مناقضة تمامًا لشخصية "ماريا"؛ الشخصية التي شكلتها وحافظت عليها طوال هذه السنين. ربما فعلت أشياء طائشة كهذه حين كانت أصغر سنًا. لكنها شعرت الآن وكأن طلب "فينور" الخفي لها بأن تخرج من إطار القواعد

المعتاد، قد دفعها إلى أسفل منحدر بأرض رخوة، ولم يكن هناك حبل لتمسك به. لم يعجبها ذلك؛ فقد كان قريبًا جدًا من نفسها السابقة.

أرسلت إلى "ماجي" رسالة نصية لتخبره أنها ستعمل حتى وقت متأخر من الليل ولن تأتي للعشاء. والآن، يجب أن تسرع في نسخ البيانات من تليفون "أجلا" قبل أن تلاحظ اختفاءه وتدرك الأمر. سيكون من الأفضل القيام بذلك أثناء عدم وجود أحد في المكتب.

75



كان استسلامها تجربة عجيبة حقًا؛ لم تتذكر "سونيا" متى استرخت آخر مرة هكذا، فقد نامت طوال الليل ولم تستيقظ حتى هبطت الطائرة، ثم سارت بخضوع إلى السيارة التي جاءت لتنقلهما وراقبت طريق المدينة بنعاس عبر النافذة. أصبحت لا تهتم بما سيحدث لها، فـ"ناتي" المتحكمة الآن، وهي فقط تابعتها. لم تعد حياتها في يدها، وكانت محاولتها للمقاومة عبثية كحيوان في المصيدة.

أخذت "ناتي" تتحدث بجانبها إلى السائق بإسبانية سريعة، بينما جلس رجل في المقعد الأمامي بنظارة شمسية لم ينطق بكلمة واحدة. هو من اصطحبهما من الطائرة إلى السيارة وفتح لهما الأبواب. بدا أنه لم يكن هناك اهتمام كبير من الجمارك عند وصولهما هذا البلد. فكرت كيف لحياتها أن تصير أسهل إذا كان في آيسلندا مثل هذه المعاملات السلسة.

أسرعت السيارة عبر منطقة ما بدت مهجورة تقريبًا. لم ترَ إلا شكل الحي فقط، وكلبًا أصفر وحيدًا يركض في الشارع، مارًّا بالمطاعم وواجهات المحلات

الصغيرة، بواجهتها الوردية والزرقاء والأصفر الخافت، والتي بدت جميعها مغلقة، فسألت:

- أين كل الناس؟

فأجابتها "ناتي" بدهشة:

- أما زلتِ على قيد الحياة؟ إنه وقت القيلولة يا عزيزتي. يختبئ الجميع أثناء أشد أوقات اليوم حرارة.

فهمت "سونيا".

كان تكييف السيارة على أقل درجة، ومع ذلك، ظل يتساقط منها العرق، فالشمس الحارقة وسط السماء فوقهم مباشرة، لا توجد أية ظلال يحتمون بها، وتَمَوَّر الطريق أمامهم في شبورة الحرارة، وتعرق الأسفلت فتلألأ كالمعدن في ضوء الشمس.

انعطفت السيارة إلى حي مكتظ بالبيوت المرصوصة جنبًا إلى جنب، والمطلية بألوان الباستيل مع زخرفة مذْهبة. وكان على سطح كل منزل صليب؛ فبدا الحي كمجمع كنائس صغيرة.

توقفت السيارة خارج منزل أصفر، الأكبر في المنطقة، بنوافذ ملونة وسلالم مكسرة آخرها بابان خشبيان منحوتان. نزل الرجل الصامت من السيارة وفتح الباب لـ"ناتي" بينما فعل السائق الشيء نفسه لـ"سونيا" في الوقت نفسه. سألت "سونيا"، وهي تحدق بالملاك الضخم المنحوت على السطح، الذي بدا وكأنه على وشك الطيران:

- أسنبقى هنا؟

ضحكت "ناتي" بهدوء وقالت:

- لا، أيتها السخيفة! فهذا ضريح.

- ضريح؟

- أها. ضريح زوجي. بارك الرب روحه الشريرة.

ورشمت صليبًا على نفسها.

- ضريح السيد "خوسيه"؟

- أجل. تبدأ مراسم التأبين في الرابعة، لذا علينا التحرك بسرعة.

لم تستطع "سونيا" طرح المزيد من الأسئلة من الصدمة وتبعت "ناتي" إلى المبنى. شعرت بالارتياح بالعودة إلى تكييف الهواء بعد الحرارة الشديدة بالخارج.

دخلتا من الباب الرئيسي إلى غرفة كبيرة فارغة، باستثناء بعض الكراسي على طول الجدران ومذبح واسع بعيد، حيث احترق عدد لا يحصى من الشموع أمام صورة عملاقة للسيد "خوسيه". ظهر طيف بها، ببدلة وشعر ناعم ممشط. حدقت "سونيا" في الصورة. رغم إظهارها جانب مختلف تمامًا مما عرفت منه، إلا أن مجرد النظر إليه أشعرها بالبرودة، واندمج هذا الشعور بقطرات العرق على ظهرها. ومع الخوف الذي أثارته الصورة، شعرت "سونيا" فجأة بالغثيان حيث استرجع أنفها رائحة الدم المشبعة بالحديد، وتحول كل شيء أمام عينيها باللون الأحمر، كلون بركة الدم التي وجدت السيد "خوسيه" ممددًا فيها. قالت "ناتي" بتأثر واضح:

- لا تزال الشموع تحترق هنا منذ وفاته. لقد أحبه الناس هنا؛ ذلك الوحش. لقد أحبوه حقًا.

76

اغتسلت "أجلا" وجففت شعرها وقامت بوضع طبقة سميكة من كريم الأساس، على أمل إخفاء تورم خدها، فقد صفعتها "ماريا" بشدة عندما قبَّلتها. اختفى الاحمرار. ورغم ذلك، ظلت تشعر بتوهُّجها. لا بد أن تكون هذه مجرد تخيلات. كان الخزي، في الحقيقة، هو ما أوقِد بوجهها. شعرت برعشة بسيطة وهي ترتدي ملابسها، واسترجعت مرة أخرى الاضطراب الذي أصابها عقب تلك الصفعة.

ظلت تعتذر وقتها مئات المرات بينما شدت "ماريا" حقيبتها ثم انتزعت معطفها بقوة من شماعة بجانب الباب، لدرجة أنه خرج من الحائط، وسقط مع جميع المعاطف في كومة على الأرض. وخرجت "ماريا" دون الالتفات إليها.

تعطرت "أجلا" وانتعشت، ثم قامت بتثبيت الشماعة مرة أخرى على الحائط وعلقت المعاطف، ثم أدركت أنها لا يمكنها العثور على تليفونها في أي مكان. كان تليفونها الآيسلندي موجودًا، لكن الآخر اختفى؛ تليفونها الأساسي. كانت متأكدة أنه لم يضع، فهي تتذكر استخدامه في البحث عن شيء ما على الإنترنت لاحقًا ذلك اليوم، قبل زيارة "ماريا". بحثت في غرفتها ثم عادت إلى غرفة المعيشة، ورفعت كل الوسائد، لكن دون جدوى. ربما كان في السيارة؟ قررت أن تلقي نظرة بمجرد أن تتخطى أمر الصفعة ولم تعد تشعر بتوهج خدها.

على الرغم من عدم ارتياحها، شعرت "أجلا" أن هذا الحدث المؤسف هو انتصار نوعًا ما. فكما كان غريبًا ومحرجًا، هو نصر مبهج في الوقت نفسه. شعرت أنها قد تغلبت على حاجز الاقتراب من "ماريا". ومع أن رأسها كان مليئًا بالكوكايين في ذلك الوقت، أساءت فهم الموقف تمامًا، ولم تعرف من أين أتت بالشجاعة لتقبيلها، إلا أنها لا تزال تملكها، وهنا يكمن الانتصار.

دائمًا ما انتابها الفضول حول الفتيات أكثر من الأولاد. كان الأولاد مجرد صبيان؛ رأت منهم ما يكفي في المنزل. لكن كان بالفتيات شيء من الغموض، خافت منهن إلى حد ما. ولطالما وجدت صعوبة في قراءة أفكارهن ولم تفهم أبدًا سبب تفضيلهن للبقاء بعيدًا للحديث في غرفة النوم وقت أن يستطعن الخروج للعب كرة القدم في الهواء الطلق. لم يكن الأمر أنها لم تملك صديقات. كان لديها الكثيرات منهن. لكن لم تستمر صداقتهن. لم تكن أيٌّ من صديقاتها مهتمة بالرياضة، ولم يكن لديهن طموح للحصول على درجات جيدة، ولم يتضايقن عندما فضلت "أجلا" العودة إلى المنزل لإنهاء واجباتها المدرسية بدلًا من الذهاب معهن إلى التسوق. وفوق ذلك، شعرت بالملل من حديثهن اللامتناهي عن الأولاد. كان مدهشًا كم تحدثن عنهم كثيرًا؛ فقد سئمت منهم في المنزل، لذا كانوا آخر شيء تريد التفكير فيه أو التحدث عنه حين قابلت أخيرًا بعض الفتيات.

انتهت "أجلا" من إعادة الوسائد على الأريكة حين سمعت طرقة على الباب. خرجت على أطراف أصابعها إلى الصالة، ونظرت من العين السحرية وتفاجأت برؤية "إنجيمار". تسبَّبت زيارته التي قام بها من قبل في توتر أعصابها. لكنها اكتشفت الآن أنها تستمتع برفقته، وما ساعد في ذلك أنه قرَّر الطرق بدلًا من السماح لنفسه بالدخول دون دعوة.

رحَّبت به وأدخلته، ثم ذهبت إلى المطبخ وفتحت زجاجتين من البيرة وأعطته واحدة دون أن تسأله إن كان يريدها. أخذ "إنجيمار" الزجاجة وجلس في غرفة المعيشة. وهذه المرة، جلس على الأريكة وترك لـ"أجلا" كرسيها ذا الذراعين. كانت هذه هي أنواع التفاعلات التي استطاعت فهمها. كان التعامل مع الأولاد والرجال أمرًا سهلًا ومباشرًا تمامًا. كان عالمهم عبارة عن هرم محكم التنظيم دائمًا ما يعيدون ترتيبه. كان الكرسي أمام المدخل إشارة للقوة، ودلت أريكة ظهرها للباب على الخضوع. أصبحت "أجلا" بليغة في قراءة رموز الحياة الذكورية بسبب نشأتها وسط مجموعة من الإخوة. استقرت على الكرسي وابتسمت لـ"إنجيمار" وهو مستلقٍ على الأريكة يشرب البيرة. قال "إنجيمار":

- سمعت من "جون" أن عملية إعدام الدين الكبير ستتم خلال أسبوع.

رفعت "أجلا" زجاجتها ومالت لتحيته بها ثم قالت:

- لن يضر إذا احتفظنا بذلك لأنفسنا، فقط للوقت الحالي.

رفع "إنجيمار" حاجبه مندهشًا، فأوضحت:

- سأكون سعيدة بالضغط على الرجال لبعض الوقت.

فابتسم "إنجيمار" قائِلًا:

- أنتِ منافسة. تسبقين بعدة خطوات إلى الأمام، أليس كذلك؟

فأجابت موافقة:

- أجل. أفعل ذلك معظم الوقت.

يمكنها اللعب مع الرجال طالما استطاعت. كانت ستخبرهما أن نصف الدين قد تم شطبه وسيكونان سعداء بذلك. كان بإمكانها إخبارهما أنها كانت تعمل

على الباقي، وسيضمن هذا لها السلام والهدوء. وبهذه الطريقة، سيتأكدان من عدم قيام أي من زملائهم في البنك السابقين بإقحام "أجلا" في أي من تحقيقات النائب العام.

77



قاومت "ماريا" إغراء شرب القهوة عند تأخر الوقت في المساء. وعلى أية حال، سبب لها ضميرها ما يكفي من المشكلات التي ستمنعها من النوم. قررت أيضًا البقاء في المكتب للتأكد من نوم "ماجي"، حتى لا تضطر إلى التحدث الليلة مطلقًا. تثق أنه يستطيع، بحدسه، معرفة متى تتصرف بشكل سيئ، ويعرف متى أساءت التصرف بالفعل.

في الواقع، منذ خروجها من شقة "أجلا" وهي تتساءل كثيرًا عما فعلت. ما الذي كانت تفكر فيه بحق الجحيم؟

أعدت جدول بيانات يوضح بالتفصيل جميع مكالمات "أجلا" من وإلى الأرقام القليلة على التليفون الآيسلندي، والتي أمدها بها موزع الشركة، والأرقام التي استخرجتها من التليفون الذي سرقته من "أجلا". كان هناك رقمان موجودان في التليفونين؛ رقم غير مسجل تعرف "ماريا" أنه لـ"سونيا جانرسدوتير"، التي بدا أن "أجلا" تتصل بها في أي وقت بالنهار أو الليل، الآخر لـ"جون كلود بيرجر"، حارس المبنى المُسَجل كمحل إقامة "أجلا" القانوني في لوكسمبورج. عَلَّمت "ماريا" على صف المكالمات التي تخص

"سونيا" و"جون كلود" بالأصفر، فكانت مكالمات شخصية، ليس لها أهمية، ثم بدأت بالتعليم على الأرقام حسب البلد.

بدأ معظمها بـ 352، وهذا للوكسمبورج، ثم مجموعة من المكالمات خلال أسبوع تبدأ بـ 33، وكانت لفرنسا، بدأت كل منها بالرقم 1، مما أوضح أنها في باريس. ومرتان، اتصلت "أجلا" بأرقام تبدأ بـ 32 وكان على "ماريا" البحث عنها، لتجد أنها تشير إلى بلجيكا. بعد ذلك، وجدت بضع مكالمات لأرقام تبدأ بـ 44، أي بريطانيا، ومعظمها بـ 20، مما يعني لندن.

أظهر لها ترتيب المكالمات حسب التاريخ منوالًا معينًا؛ بداية من مكالمة من لوكسمبورج إلى بلجيكا، ومن هناك إلى فرنسا ثم انتهت في لندن. استخدمت "ماريا" دليل لوكسمبورج الإلكتروني وبدأت في كتابة الأرقام للبحث عليه. كان منها مطعمان، فلونتهما بالأصفر، والباقي للبنوك ولصندوق استثماري. تأكدت "ماريا" أنه بمجرد وصولها إلى جميع الأرقام، ستتمكن من رؤية رحلة مكالمات بالمؤسسات المالية في جميع أنحاء أوروبا.

تناثرت في الجدول عشرات المكالمات لأرقام رأتها عدة مرات في سجلات مكالمات المشتبه بهم أثناء تحقيقات الانهيار المالي، فالأرقام 1-345 و1-284 كانت لجزر "كايمان" و"تورتولا". لا بد أن "أجلا" كانت تخطط لشيء ما.



78



تجمع حشد كبير حول الضريح، وحول "ناتي" التي وقفت بجانب صورة السيد "خوسيه" في آخر المبنى تستقبل العناق والقبلات وأكاليل الزهور من الضيوف الذين حرصوا على توجيه اهتمامهم لها، حتى أن البعض جثا على ركبتيه لتقبيل يديها. كان معظمهم من سكان البلد. راقبت "سونيا" الناس بدهشة وهم يضعون النقود في يدي "ناتي" ويتمتمون بتعازيهم، بينما وضعت يدها على رؤوسهم كأنها قسيس يعمِّد الأطفال ويباركهم.

حملت "ناتي" جرة فخارية فخمة لمراسم العزاء، ووضعتها على المذبح أمام الصورة. وفجأة، انحنت للصلاة وهي ترشم الصليب على نفسها مرارًا. كانت ترتدي الأسود من رأسها إلى أخمص قدمها؛ فستان مفصل أحضرته لها الخياطة قبل المراسم أظهر جاذبيتها بشكل مثالي، بينما اختفى نصف وجهها العلوي وراء الشبكة التي تدلت من قبعتها. وقفت "سونيا" تحاول ضبط ثوبها الذي أحضرته لها الخياطة، والذي التصق بها كالبلاستيك، وهي تتساءل عما يوجد داخل تلك الجرة. الشيء الوحيد المؤكد أنه لم يكن بداخلها رماد السيد "خوسيه".

عَرِفَت من محادثة قصيرة مع السائق أن السيد "خوسيه" بنى الضريح منذ فترة طويلة، وأنه كان يستخدم للولائم من قبل. أخبرها السائق بفخر أنه لطالما كان أفضل ضريح بين المقابر، ثم عبس وجهه وهو يهمس أنه أيضًا لم يعش ليرى الضريح الذي يبنيه تاجر مخدرات آخر في مكان قريب، وهو من ثلاثة طوابق.

وعند ابتعاد السائق، ظهر رجل آخر بجانب "سونيا". كانت على وشك تحيته بلطف حين تجمدت ابتسامتها على الفور، فسبق لها رؤية هذا الوجه والشعر الناعم من قبل. كان أحد الرجلين اللذين اختطفاها هي و"توماس" في "فلوريدا". شعرت تلقائيًا بموجة من الغثيان، وعندها استعادت الشعور بإحكام الشريط الملفوف حول معصمها مرة أخرى.

قال الرجل بالإنجليزية:

- اسمي "سيباستيان".

ومد يده بينما تراجعت "سونيا" تلقائيًا خطوة إلى الوراء، فقال وهو يأخذ ذراعها ويوجهها إلى غرفة جانبية صغيرة:

- أعلم أنكِ غاضبة مني، لكننا بحاجة إلى التحدث.

قالت "سونيا" وقد تملكها الخوف بينما كان على وشك إغلاق الباب:

- لا تغلقه!

رغم علمها أنه - منطقيًا - لن يستطيع اختطافها مرة أخرى والخروج بها وسط المراسم بالخارج.

قال "سيباستيان":

- هذه مسألة حياة أو موت، يجب أن تسمعيني. هناك الكثير على المحك. أكثر مما يمكنكِ تخيله. أرجوكِ أن تستمعي إليَّ.

ثم نزل ليجلس على مقعد خشبي بجانب الحائط وضم يديه معًا كأنه يصلي. شعرت "سونيا" بالتوتر يختفي من جسدها الآن بعد أن جلس الرجل ولم يعد يحوم حولها. بالطبع كان بمكنها الاستماع إلى ما يريد قوله الآن.

حين عادت "سونيا" إلى القاعة، اقتربت منها امرأة صغيرة ترتدي معطفًا ملونًا، وأعطتها طبقًا مغطى بورق فضي وتمتمت شيء بالإسبانية لم تستطع "سونيا" فهمه. حاولت الاعتذار ورد الطبق إلى يدي المرأة، لكنها هزت رأسها ورشمت صليبًا على نفسها ثم رحلت. تركتها واقفة بثوب من الجلد الصناعي اللزج، وطبق طعام في يديها، تراقب الناس وهم يخرجون من الضريح. عصف عقلها بالكثير من الأفكار المتنوعة، والتي أثارتها المحادثة مع "سيباستيان" والاقتراح الذي قدمه، فقد يكون الحل لجميع مشكلاتها، أو يمكن أن يكلفها حياتها.

تحول كل هذا إلى حلم غريب؛ هلاوس قد يتخيلها شخص مصاب بضربة شمس. بالتفكير في الأمر، تمكنت من رؤية خط واضح؛ سلسلة من الأحداث. لقد كان طريقًا، بلا شك، مملوءًا بالتقلبات والمنعطفات، بدايةً من قرارها الأول بكسب بعض النقود عن طريق تلك المهمة الغامضة للمحامي "ثورجير" منذ عام ونصف، وصولًا إلى هذه اللحظة، وهي تقف في حرج وسط ضريح مكسيكي في "كولياكان" تفكر في قرار لم تكن مستعدة لأخذه. كانت مشكلة رؤية تسلسل الأحداث هكذا أنه، بعد انقضاء الأمر، يصبح كل شيء واضحًا جدًا، لكن لا توجد طريقة ممكنة لتَوَقُع أي منها.



79



ظل يتردد بأذن "سونيا" سلسلة من الأغاني التي عزفتها فرقة "مارياتشي". ومع ذلك، الشيء الوحيد الذي استطاعت تحديده من كلمات الأغاني، هو اسم السيد "خوسيه" - أو مستر "هوزي" - كما قرأته على شفاه المغنيين الذين ارتدوا ملابس ملونة. واضح أن الموسيقى أعجبت الضيوف، حيث رفعوا كؤوسهم باستمرار تحيةً للفرقة.

قالت "ناتي" إن هذا النوع من الموسيقى يدعى "ناركو-ريدوس"، وهي الأغاني التي تصف ما كان عليه "خوسيه" كرجل عصابات، وهي مشهورة جدًا.

وأثناء الحفلة، قاموا بمغادرة الضريح برفقة الرجال الذين جلبوهم من المطار: السائق والرجل الصامت الذي لا يزال يرتدي نظارته الشمسية رغم ظلمة الجو الآن. وقد انضم لهم "سيباستيان" في المقعد الخلفي بينها وبين "ناتي". توقفت السيارة خارج مبنى منخفض ونزلوا يتبعون السائق. انتشرت رائحة الغاز والفحم في الهواء الدافئ، حيث أعد معظم سكان المدينة وجبة العشاء في ذلك الوقت. مشى السائق إلى أحد الأبواب الحديدية وطرق عليه، وفتح الباب على الفور رجل نحيف يرتدي ملابس قذرة، فدخلوا وتوقفوا أمام شيء على أرضية أسمنتية جرداء، حيث وجدوا وعاءً معدنيًا عملاقًا.

سألت "سونيا":

- ما هذا؟

فقالت "ناتي":

- إنه صدفة "بطلينوس".

انتظرت "سونيا" تفسيرًا أفضل، ولكن لسبب ما، حدق بها الجميع كأنهم ينتظرون ردة فعلها تجاه الشيء المعدني على الأرض.

- ثم؟

- ستقومين بتثبيت الصدفة على سفينة متجهة من أوروبا إلى آيسلندا، ثم نقلها إلى واحدة أخرى متجهة من آيسلندا إلى الولايات المتحدة. إنه طريق مفتوح، ولن نقلق بشأن جرينلاند بعد الآن. يقومون في الولايات المتحدة بفحص السفن القادمة من الجنوب، وليست القادمة من الشمال، فيمكننا إذًا حمل أربعين كيلوجرامًا في كل صدفة.

وابتسمت "ناتي" بارتياح.

- ماذا تقصدين؟ أتعني أنه من المفترض بي أن أضع هذه الصدفة على متن سفينة؟

قالت "ناتي":

- بل تغوصين، وتثبتينها تحت السفينة.

لو لم تكن "سونيا" خائفة جدًا، لضحكت.

- لا أعرف الغوص.

كانت هذه حماقة.

- يمكنك أخذ دورة للتعلم. سأدفع ثمنها. يمكن لأي شخص أن يتعلم الغوص.

ضحكت "سونيا" باستسلامٍ وقالت:

- أعتقد أنكِ مجنونة حقًا. لا يمكنني تثبيت هذا في سفينة. لا أظن أنه يمكنني حتى حملها.

ثم انحنت واختبرت وزن الطبق المعدني. كان ثقيلًا كما يبدو، فقالت:

- سأغرق في القاع بهذا الشيء.

فاستطرد الرجل النحيل بالإنجليزية وهو يلوح بيديه:

- لا. لا. سيكون به عوامات. لا مشكلة في السباحة به حين توجد العوامات.

رددت "ناتي":

- لا مشكلة. لا توجد مشكلة بالنسبة لكِ. هناك غلاف مطاطي بداخله لإدخال البضائع، وهذا نظام تم استخدامه عدة مرات. سيوضح لك "سيباستيان" كيف يعمل بالضبط.

ثم استدارت وتوجهت نحو الباب، لكنها توقفت لتسأل الرجل النحيل متى سيكون "البطلينوس" جاهزًا.

فأجاب الرجل بانحناء:

- يمكن لـ"سيباستيان" استلامه خلال أسبوعين.

فاستدارت "ناتي" ببطء وعيناها نحو الرجل، وتحدثت بالإسبانية، وبينما لم تستطع "سونيا" فهم الكلمات، بدا واضحًا في لهجتها أنها تهاجمه. تمتم الرجل بشيء بدا كاعتذار، وبدأ يرتجف بعنف لدرجة تعثره في الكلام. قالت "ناتي" شيئًا بدا وكأنها كلمتها النهائية، ثم بصقت على الأرض عند قدمي الرجل وأومأت برأسها للسائق، الذي جاء رد فعله سريعًا، فالتقط عصا طويلة من المقعد وضرب بها ساق الرجل بقوة فوقع على الأرض وهو يئن من الألم.

كادت "سونيا" أن تسرع لمساعدته إذا لم يمنعها "سيباستيان" ويوجهها نحو الباب، وهو يهمس في أذنها:

- تظاهري أنكِ لم ترِ شيئًا.

بينما حاولت "سونيا" كتم الرعب الذي انتشر في جسدها عند سماع صرخات الرجل المثيرة للشفقة.

قالت "ناتي":

- وسيكون هناك ضربة كهذه لكل أسبوع تأخير.

تمنت "سونيا" ألا يتَرجَم لها تهديد "ناتي"، لأن بعيدًا عن صعوبة ابتلاعها، مرارًا وتكرارًا، محاولةً منها لأن تسيطر على تنفسها، لم تستطع التغلب على خوفها. رفضت ساقاها الحركة وشعرت بالإغماء. وأثناء مغادرتهم المبنى، رأت "سونيا" الرجل ملتويًا كالكرة على الأرض، وذراعيه حول ساقه المصابة.

التفتت "ناتي" إلى "سونيا" قائلة:

- كما ترين، من الأفضل أن يفي رجالي بوعودهم.

وركبت "سونيا" السيارة. وبينما أغلق "سيباستيان" الباب، رأت تلك النظرة على وجهه. وفجأة، لم يبدُ الاقتراح الذي قدمه في الضريح بعيد المنال.

80



- إلى أين نذهب الآن؟

سألت "سونيا"، متظاهرة بالفضول.

كان رأسها لا يزال مخدرًا، وشعرت كأنها على وشك الإغماء. كان "سيباستيان" قد تركهم أمام ملهى ليلي، وهمس لها "لنتحدث لاحقًا" بينما خرج من السيارة. أومأت "سونيا" برأسها بغير وعي تقريبًا. كان عليها التفكير بعمق في محادثتهما. احتاجت إلى التفكير في المنزل، في مساحتها الخاصة، وواقعها الطبيعي، بعيدًا عن جنون المكسيك، ثم قالت "ناتي":

- الآن سنأخذك إلى المنزل.

- نحن ذاهبون إلى المطار الآن؟

- أجل يا عزيزتي.. فأنا لا أنام جيدًا في المكسيك. لا تعرفين متى تأتيك قنبلة يدوية عبر النافذة. ربما حظي "خوسيه" المسكين بشعبية الناس، لكنه امتلك الكثير من الأعداء، وقد ورثتهم جميعًا الآن، وربما بضعة الخصوم الجدد أيضًا.

مرت "سونيا" بالشارع نفسه الذي أتيا منه في طريقهما من المطار في وقت سابق؛ الشارع الذي بدا مهجورًا، رأته الآن مفعمًا بالحياة. لم تكن المحلات مفتوحة فقط، بل كان الشارع مليئًا بأكشاك الطعام، وأناس يحملون حقائب تسوق. تساءلت كم يبلغ عدد شطائر التاكو ومحلات التوابل في هذه المنطقة، بكل هذه اللافتات المعروضة.

بالرغم من حلول المساء، ظل الجو شديد الحرارة حين توجها لركوب الطائرة. وكانت "سونيا" لا تزال تحمل في يدها الطبق الذي أعطته لها السيدة العجوز. بدا مهمًا لـ"ناتي" أن تأخذه معها على متن الطائرة. أخذت الطبق من "سونيا" وأعطته للمضيفة، وقالت:

- قومي بتسخين هذا الطبق؛ نحن جائعات.

على ذكر "ناتي" للطعام، شعرت "سونيا" باليأس. كانت تتضور جوعًا. شعرت أن معدتها فارغة تمامًا وبدأت بطنها تتشنج عند التفكير في الطعام. لم تكن قد أكلت شيئًا تقريبًا منذ شريحة لحم في مطعم بريكيافيك، لكنها لم تستطع تذكر كم مضى على ذلك اليوم. وفقدت الإحساس بالزمان والمكان منذ أن طرقت "ناتي" بابها. ظهرت المضيفة بالطبق بعد وقت قصير من الإقلاع، وصفقت "ناتي" بفرحة.

- "مولي" ماما ذاك رائع!

- سألت "سونيا":

- ماما؟ أتقصدين والدتك؟

قالت "ناتي":

- أجل! طبق "المولي" ذاك من صنعها؛ الدجاج بالشوكولاتة والصوص الحار. تذوقيه، إنه رائع.

سألت "سونيا" وهي تفكر في المرأة الصغيرة التي أعطتها الطبق بدلًا من الوقوف في الطابور لانتظار التحدث لـ"ناتي".

- أكانت والدتك التي أحضرت الطعام؟

لم يكن هناك ما يدل على أنها تعرف ابنتها، أو أن لديها أي رغبة في التحدث إليها.

- أجل هي. نحن لا نتحدث. إنها.. ماذا أقول؟ ليست راضية عن أسلوب حياتي.

ضحكت "ناتي" وقالت:

- لكنها لا تزال تريدني أن أتناول الطعام. تعتقد أنني نحيفة للغاية.

قالت "سونيا"، وقد شعرت فجأة بالحاجة للدفاع عن المرأة الصغيرة:

- لكنها جاءت إلى حفل التأبين!

ردت "ناتي"، رغم أنها لا تطيق أن يدافع أحد عن عيوب والدتها:

- لا شك أنها فرحت لموت "خوسيه". لم ترضَ عنه أبدًا، وقد بذل قصارى جهده ليحسِّن صورته أمامها، حتى أنه اشترى لها منزلًا رفضت الانتقال إليه. اختارت أن تعيش في كوخ من الطين وتطبخ في الهواء الطلق، فهذا ما تفعله.

صمتت "ناتي" للحظة وحدقت خارج النافذة، ثم قالت:

- تذوقيه. ليس هناك أشهى من طعام أمي.

كان الطعام شهيًا حقًا، وشعرت "سونيا" أنها أصبحت أكثر هدوءًا حين أكلت، وأخذت ملعقة أخرى من الصوص الثقيل الداكن، وراقبتها "ناتي" برضا. قالت "سونيا":

- إنه رائع.

ففرحت "ناتي". كان الأمر وكأن "سونيا" أثنت على طبخها هي وليس والدتها. تناولتا الطعام بصمت لفترة من الوقت، ثم ملأت المضيفة كأسيهما بالشمبانيا وشربت "سونيا". ورغم حلاوتها، فإنها شعرت بحرارة الصوص الذي أحرق حلقها.

فقالت أخيرًا وهي تضع طبقها جانبًا:

- كنت أتساءل.. متى ستساعدينني في استعادة ابني؟ متى ستجعلين "آدم" يوافق على حضانتي للولد؟

ابتلعت "ناتي" آخر لقمة ومسحت شفتيها، ثم قالت:

- أنا لا أعمل مثل "خوسيه". والآن بعد أن توليت المهمة، ستكون هناك تغييرات في طريقة سير الأمور. وأود معرفة كيف ستتعاملين مع شحنة "البطلينوس".

- لكنكِ وعدتِني حين ساعدتك في التخلص من الجثة، أتذكرين؟

قالت "ناتي" بنظرة تعجب كانت لتقنع "سونيا" لو لم تكن معها:

- ساعدتِني؟ أنت من قتلته. لديَّ شريط مسجل بذلك.

شهقت "سونيا" بفزع وعادت إلى الوراء من الصدمة. أخذت هذه المحادثة منحنى خاطئًا تمامًا، وقد انكشفت لعبة الصديقة والتلاحم النسوي التي اختلقتها "ناتي" في رحلتهما إلى الجنوب.

قالت "سونيا"، وهي تدرك نبرة الألم في صوتها:

- قلت إنك بحاجة إلى صديقة، والأصدقاء يساعدون بعضهم بعضًا. لماذا سافرت معك إلى المكسيك إن لم أكن صديقتك؟

وضعت "ناتي" بفمها خلة أسنان، وامتصتها لثانية ثم بصقتها على السجادة. وضاقت عيناها وهي تحدق في "سونيا" قائلة:

- أردت جعلك تشاهدين لمن تعملين. أنت تعملين لديَّ، وأنا لست "خوسيه". لا أحتاج تقديم الخدمات لشراء الحب. لا أحتاج ضريح تاجر مخدرات مهولًا. لا أبالي إن أحبني الناس أم لا، بل أكون أسعد ألف مرة إذا خافوا مني.

أغمضت "سونيا" عينيها. لم تعد قادرة على النظر إلى "ناتي". عادت محادثة "سيباستيان" إليها. أدركت تمامًا الآن ما كان يقصده حين أخبرها أنه لا يمكن لأحد أن يثق بـ"ناتي".

81



علّمت "ماريا" باللون الأحمر على كل مكالمات "أجلا" للمؤسسات المالية. كانت قد وضعت جدول بيانات لترتيب مكالماتها وقاربت على إنهائِه. لا يزال هناك رقمان يجب الكشف عنهما؛ واحدٌ مسجل بلوكسمبورج والآخر بباريس. لابد أن تكون تليفونات أفراد. بدأت بالبحث عن رقم لوكسمبورج، ولكن لم يظهر لها شيء في أي مكان. فكرت حقًا في الاتصال بالرقم، لكن هذا قد يكون خطيرًا. لم ترغب في إطلاع "أجلا" وأصدقائها أنهم مراقبون مبكرا هكذا، فيمكن للآثار أن تختفي بسرعة، كما تعلمت في تجربتها المريرة بالعمل في مكتب النائب العام.

قررت التركيز على الرقم الآخر؛ الفرنسي. كتبت "ماريا" الرقم في دليل باريس للتليفونات وظهر اسم المالك على الفور؛ "ويليام تيد". بحثت "ماريا" في "جوجل" عن الاسم الذي بدا إنجليزيًا أكثر من كونه فرنسيًا، فأظهر لها الكثير من الروابط، فأضافت "باريس" إلى مصطلحات البحث، فوجدت على الفور ما كانت تبحث عنه من أول رابط. عمل "ويليام تيد" في بنك أمريكي بباريس. تنهدت، فقد وجدت في سجلات "أجلا" ما توقعته بالضبط؛ تأكيد على تورط "أجلا" في نشاط مالي ما. ومع ذلك، لم تهدِئ هذه المعلومات آلام ضميرها حول الكيفية التي وصلت بها إلى هذه المعلومات.

نظرت إلى الساعة ورأت أنها تقترب من منتصف الليل، فأخذت تليفونها ومفاتيح السيارة، وكانت على وشك تفعيل نظام الإنذار عندما ترددت. هذا الاسم؛ "ويليام تيد"، كان مألوفًا. وليس فقط لأنه مرتبط بـ"أجلا"، كانت متأكدة أنها شاهدته في مكان ما له علاقة ببعض أموالها الخارجية، فاستدارت مرة أخرى في المكتب المظلم، وذهبت إلى غرفة الأرشيف. أدخلت رمز القفل، وفُتح الباب. لم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا حتى عثرت على الملفات التي تبحث عنها وأخذتها إلى الكافتيريا. شغلت ماكينة القهوة التي ومضت ضوءًا أحمر لتأكيد عملها. تحتاج الآن بالتأكيد جرعة كافيين إذا كانت ستطلع على كل هذه المستندات.

لم تكن ماكينة القهوة قد انتهت عندما عثرت "ماريا" على اسم "ويليام تيد" في ملفات القضية. كان قد شَهِد صفقة مالية توقفوا عن محاولة تتبعها، ولم ينفعها ذلك بشيء. ولكن في الملف نفسه، صادَفت اسمًا آخر مثيرًا للاهتمام. بعد إدراكها الأمر، لم يكن هناك شيء حول ذلك الاسم لتتذكره إذا لم تكن قد تعثَّرت به مؤخرًا؛ "جون كلود بيرجر". لكنه لم يكن حارس عقار هذه المرة، بل رئيس مجلس إدارة شركة "أفانس للاستثمار"؛ أكبر صندوق استثماري استخدمته "أجلا"، والذي علم مكتب النائب الخاص بامتلاكها له رغم أنه لم يكن باسمها. استندت "ماريا" إلى كرسيها وضحكت بصوت عالٍ. حارس عقار ورئيس مجلس إدارة، أيمكن أن تكون "أجلا" حقًا بهذه الثقة العمياء؟



82



شعر "توماس" بابتهاج والدته لرؤيته. بالكاد تمكن من تمالك نفسه واستمتع بلعب دور الفتى المدلل منذ وصولها. لم يصدق أذنيه حين أخبره والده أن والدته قادمة في زيارة. زيارة! لم تدخل المنزل منذ أن غادَرَته، ولطالما جعله والده يخرج إلى السيارة عندما تأتي لاصطحابه. لم يدعها مرة واحدة للدخول. أخذ يلعب ويقف بيديه على سريره بينما أعد والده القهوة بالغرفة المجاورة.

قالت والدته:

- لظروف عملي والسفر، لن تأتي إليَّ حتى يوم الأحد. لكننا سنقضي عطلة نهاية الأسبوع القادمة معًا.

تشقلب "توماس" على سريره. لم يأبه بتأخير العطلة التي يقضيها معها بعد مجيئها لرؤيته. كان هناك الكثير مما أراد إظهاره لها، بالإضافة إلى أنها لم يسبق لها اللعب أبدًا مع "تيدي"، الذي بدا أنه أحَبها، فقد حاول مرارًا لعق وجهها وهي جالسة على الأرض.

نادى الوالد من المطبخ لإعلامهما أن القهوة جاهزة. وعندما ذهبا إليه، وجدا أنه قد أعد الشوكولاتة الساخنة لـ"توماس" حتى يتمكن من الجلوس بجوار والدته والشرب من كوبه كالكبار.

سأل والده:

- أكل شيء على ما يرام في لندن؟

فأجابت:

- أعتقد ذلك.

رد والده:

- كوني حذرة.

قالت والدته:

- أفعل دائمًا.

قال الوالد:

- سنتحدث عند عودتك.

قالت والدته:

- سأبلغك حينها.

كان الأمر أشبه بمحادثة عادية بين أناس عاديين، وبدت والدته سعيدة للغاية، وهي تشد أذنه وتلعب في شعره، ولم يكن والده غاضبًا على الإطلاق. بدا طبيعيًا تمامًا، وكأنه سعيد بزيارة والدته. هل تحسنت الأمور بينهما؟ سبق أن حدثه معلمه عن صعوبة التعامل بعد الطلاق، حيث يتجادل الناس كثيرًا، لكن الأمر يتحسن بمرور الوقت. ربما حان الوقت الآن؟



83



توجهت "سونيا" مباشرة من المطار إلى منزل "ناتي" في "تشيلسي". وعند الباب، أخذت نفسًا طويلًا وطرقت على الفور حتى لا يتحول الخوف بداخلها إلى تردد. كان عليها ذلك على أية حال. فتح "أمادو" الباب، ومرت "سونيا" أمامه ودخلت الصالة.

- "سونيا"! ادخلي.

نادت "ناتي" ببهجة وخرجت إلى الصالة.

استقبلتها "سونيا" بفتور شديد. لم تجد سببًا للتظاهر بأن سنوات قد مرت منذ لقائهما الأخير، فلم يمر سوى يومين منذ افترقتا في مطار "ريكيافيك". أدخلتها "ناتي" غرفة المعيشة، وبدأت "سونيا" تشعر بالقشعريرة تتسلق ساقيها، فالغرفة بدت مختلفة تمامًا، لدرجة أنها لم تصدق أنه المكان نفسه؛ كانت مليئة بالنباتات والمصابيح، ولوحات ملونة معلقة على الجدران، والأثاث من خشب البامبو. جلسوا على كراسي بذراعين على جانبي طاولة صغيرة وظهر "أمادو" ومعه صينية قهوة. كانت "سونيا" على وشك الوقوف وأخذ الصينية منه، حين أشارت لها "ناتي" برأسها أن تجلس. حاول "أمادو" سند الصينية ببقايا يده، لوضعها على الطاولة؛ وانسكبت بعض القهوة من البراد. ثم وضع الفناجين، ووعاء السكر وإبريق الحليب على الطاولة

بينهما، وصب القهوة. استغرق الأمر منه وقتًا طويلًا كونه بيد واحدة، بينما جلستا تراقبان في صمت، ثم انحنى ليسند الصينية بذراعه المقطوعة وأمسكها ثم غادر الغرفة. قالت "ناتي":

- أليس هذا مؤلمًا؟!

تعلم "سونيا" أنها تقصد السخرية، وكأنها تستمتع بمشاهدة الرجل يعاني بيد واحدة. سألتها "سونيا":

- كم سأحمل هذه المرة؟

قالت "ناتي":

- أربعة، مباشرة إلى جرينلاند، حيث سيتسلمها الرجل الخاص بي. إنه يسمح لشريكه في نوك بالحصول على كمية صغيرة لخلطها مع البضاعة الرخيصة للسكان المحليين. يبدو أنهم مهووسون بأن يتم استغلالهم. يريدون الاستمتاع بأي وسيلة ممكنة. أخبركِ بهذا حتى تعرفي أنني على دراية بما يجري. من الأفضل أن يدرك من حولي أنني أعرف كل شيء. لا يخيل لأي منهم أنه يمكنهم اللعب من وراء ظهري.

- مفهوم.

وتنهدت "سونيا".

سكنها مرة أخرى شعور الاستسلام الذي صاحبها في رحلة المكسيك، ستفعل ما يطلب منها. لم تُجْدِ محاولتها لتغيير ظروفها في الوقت الحالي. لكن كان لا يزال اقتراح "سيباستيان" في ذهنها.

قالت "ناتي":

- إذا قمت بغض الطرف عن هذه الأشياء، فهذا لمصلحتي. ولكن إذا قام أحدهم بالاستقطاع والسرقة، أعتقد أن ذلك يسيء إليَّ، ولن يستطيع الرب ولا جيش من الملائكة إنقاذ ذلك الشخص. أتفهمينني؟

قالت "سونيا" وهي ترتشف من القهوة، التي يبدو أن "أمادو" قد أضاف إليها السكر دون أن تلاحظ:

- تمامًا.

- هذه آخر رحلة لكِ. يمكنك العثور على شخص آخر لنقل الشحنات الصغيرة عن طريق الجو، ويمكنك نقل الشحنات الكبيرة بـ"البطلينوس".

قالت "سونيا":

- ليس لديَّ أحد في آيسلندا. لطالما عملت بمفردي، وليس لديَّ أي فكرة عن كيفية العثور على شخص ما للرحلات الجوية. أليس من الأفضل أن يستمر "آدم" في تولي هذا؟

قالت "ناتي" بنبرة واضحة:

- لا.

انتظرتها "سونيا" لتكمل، لكنها ظلت بابتسامة على وجهها بينما تخبطت "سونيا" كسمكة عالقة في شباك الشاطئ، تحاول التفكير في طريقة للهروب.

- ماذا لو تتركي لـ"آدم" أمر ذلك "البطلينوس"؟ يبدو أنه سيعرف كيف يتصرف. لديه الكثيرِ مِن الرجال مَن يمكنهم تعلم الغوص، وهم أقوياء بما يكفي لحمل شيء ثقيل كهذا. وأنا يمكنني الاستمرار في الرحلات الجوية وطريق جرينلاند..

قاطعتها "ناتي" قائلة:

- لم يفعل "آدم" شيئًا سوى الإخفاق في الأشهر القليلة الماضية. تواصل الجمارك القبض على رجاله. لم أعد أثق به. لكنني أثق بكِ. أنتِ موهوبة. ستتولين القيادة من الأسبوع المقبل، وتجدين من يتولى الرحلات الجوية من هنا إلى آيسلندا، ويمكنك السماح لـ"آدم" بالحصول على القليل الذي يحتاجه للتوزيع في آيسلندا.

قالت "سونيا":

- لن يكون "آدم" سعيدًا بذلك.

- لقد أطلعته كيف ستسير الأمور. ليس لديه خيار سوى تنفيذ ما يقال له.

فأسرعت "سونيا":

- متى أخبرته بهذا؟ متى قلتِ له إنني سأتولى الأمر؟

قالت "ناتي"، وهي تصب المزيد من القهوة في فنجانها:

- كان هذا قبل أمس.

كان هذا مذهلًا. هل يمكن أن يكون "آدم" سعيدًا بإبعاده عن اللعبة؟ لقد كان أكثر ودًا تجاهها أمس مما كان عليه في أي وقت منذ أن افترقا. كان مهذبًا ودعاها للحضور، وكان في ترحيبه دفء غريب. أيعقل أن تكون "ناتي" قد أخبرته شيئًا يضعها في مكانة أقوى عنده؟ هل كونها صديقة "ناتي" شيئًا مهمًا؟ قررت "سونيا" أن تستغل الموقف بتذكيرها بالمعروف الذي طلبته والذي وعدت به "ناتي".

- متى ستخبرين "آدم" أنني بحاجة إلى حضانة ابننا؟

وضعت "ناتي" إصبعًا على شفتيها وقالت بصوت عالٍ:

- ششش. لا تضغطين عليَّ يا "سونيا". سنرى كيف ستسير الأمور خلال الأسابيع القليلة المقبلة، وإذا عملتِ بجد، سأرى ما يمكن فعله.

كان هذا الرد هو الذي توقعته "سونيا"، ثم وقفت لترحل وهي تقول:

- من الأفضل أن آخذ المعدات إلى الفندق لحزمها.

لكن "ناتي" هزت رأسها وقالت:

- لن تذهبي إلى أي فندق، ستبقين هنا. وأتوقع ترحيبًا أفضل من المرة السابقة التي طرقت فيها بابك. هل فهمتِ؟

أومأت "سونيا"، وجلست مرة أخرى ترتشف من القهوة المحلاة. يبدو أنها علقت في حلقها حيث لم تستطع البلع. لم يجدِ شتاتها وتخبطها، فلم تستطع التملص على أية حال. عليها نسيان جميع خططها، وأن تستسلم وتسبح مع التيار. فأيًا كان ما فعلته، فضاقت المصيدة في الانغلاق عليها.

84



سألها "ماجي" وهي تضع كومة الأوراق على طاولة السرير الجانبية:

- هل عليك إحضار هذه الأشياء إلى الفراش؟

قالت "ماريا":

- كنت سأراجع بعض التقارير السنوية. أهذا يختلف عن قراءة "يوسا"؟

وأشارت بإصبعها إلى الكتاب في يد "ماجي"، وتابعت:

- أنا أقرأ هذه الأشياء لأنني أستمتع بها، تمامًا كقراءتك لكتب الجريمة الخاصة بك.

فرد:

- أعرف.

ونام على جانبه.

لم تكن هذه علامة إيجابية. كانت إدارة ظهره إشارة لوجود شيء يضايقه. وكأنه يشعر بشيء. ربما عليها إخباره بحقيقة ما حدث مع "أجلا"، ربما يهدئه لو حدث ما تخشى، وعرف أنها كانت على وشك خداعه. أو ربما سينبهر إذا أخبرته بقصة ذهاب الزوجين إلى نادٍ للتعري، التي اختلقتها للوصول إلى "مصرفية"، فسألته:

- هل كل شيء على ما يرام؟

استدار لها "ماجي" مرة أخرى وقال مبتسمًا:

- بالطبع، كل شيء على ما يرام.

وابتسمت له.

كانت مسرورة لأنه نظر إليها وضحك.

- أنا فقط قلق لأن العمل يلتهم كل دقيقة من وقتك. عدتِ الليلة الماضية إلى المنزل في منتصف الليل، والآن أنتِ في السرير في التاسعة، مع أوراق من المكتب.

تنهدت "ماريا". إذا كان هذا كل ما يزعجه، فمن الأفضل تهدئة الأمور. فضلت التزام الصمت بشأن حادث "أجلا" المضحك ذاك، فقالت:

- أنت محق.

ووضعت التقرير السنوي جانبًا واقتربت منه.

- والآن قل لي، هل كتاب "يوسا" جيد؟

قال "ماجي" وهو يضع الكتاب جانبًا ويطفئ النور:

- جيد جدًا.

والتفت إليها ولف ذراعيه حولها. استلقت "ماريا" مستمتعة بقربها منه بينما تنتظر أن يغفو لتتمكن من التسلل إلى الغرفة الأخرى بكومة الأوراق مرة أخرى لتكمل عملها بفحص محتوياتها.

كانت هذه هي التقارير السنوية المعتمدة للسنوات العشر الماضية، بما فيها تقرير لم يكن موجودًا في ملف "صوت الحقيقة"، وهو الأحدث. قامت بفحص النتيجة المالية باختصار ورأت أن المصهر قد أدار ربحًا للمرة الأولى خلال عقد من الزمن. وكان ذلك غريبًا في حد ذاته في السنة الأولى التي أعقبت الانهيار المالي. من المؤكد أن سعر الصرف قد تغير، لكن كان لديها شك قوي أن القيود المفروضة على العملة خلال الأزمة لعبت دورًا أكبر، فقد أصبح من الصعب على المصهر دفع فواتير شركته الأم في الخارج منذ أن قرر البنك المركزي أنه بحاجة إلى الموافقة على جميع المدفوعات الرئيسية التي تغادر البلاد.



85



كانت هناك رسالة واحدة على تليفون "براجي"، فهدأ حين رأى القلب الصغير. سار كل شيء وفقًا للخطة؛ ستصل "سونيا" من لندن في منتصف الليل وسيضمن عدم وجود مشكلات. لم توجد فحوصات عشوائية حول هذه الرحلة. وغدًا، سيكون هناك ظرف بجانب الباب به ما يكفي لإبقاء "فالديس" لمدة أربعة أشهر. لقد ادخر بالفعل ما يكفي للدفع لـ"ستيفاني" و"إيمي" لعدة أشهر. ولكن عاجلًا أم آجلًا، ستحتاج "فالديس" إلى رعاية ليلية أيضًا، وسيكون ذلك أكثر تكلفة. لذا، يستحق الأمر بذل أكبر قدر ممكن من المال. وكان معاشها وراتبه كافيين لإعاشتهما حتى الآن، لكنه سيتقاعد ويحتاج مدخراتهما من أغسطس. لكن بعد أن أكدت له "سونيا" وجود المزيد من الرحلات، سيوفر هذا له المزيد من المال.

أعاد التليفون إلى الخزانة ثم أغلقها.

ستكون الطائرة في الجو الآن، وستصل إلى المطار في غضون ساعتين ونصف. يستطيع إلهاء الموظفين حتى ذلك الوقت، ولم يكن هناك شيء غير عادي في إبطاء الأمور. جعلهم يعملون وينجزون الأوراق، بينما راقب صالة الوصول بنفسه. تمشى خارج غرفة الملابس وكتب مهام اليوم على السبورة البيضاء، ثم راجع قائمة الركاب، وفحص "سونيا"، ثم كتب أنه يريد فحص راكب واحد من بين عشرين راكبًا من رحلة كوبنهاجن التي كانت تهبط قبل راكبها، وهكذا سيكون الأولاد سعداء بأخذ قسط من الراحة في الوقت الذي

تهبط فيه رحلة لندن وسينتهزون الفرصة لأخذ متنفس من الوقت. ربما يمكنه حتى إحضار المعجنات الدنماركية لهم أثناء الاستراحة، لتشجيعهم على عدم العودة إلى أعمالهم بسرعة كبيرة. لكن قد يكون هذا واضحًا جدًا. لم ينبغِ عليه الابتعاد كثيرًا عن تصرفاته الروتينية، فقد يثير الشكوك.

كان لا يزال في فكرة المعجنات عندما فُتِح باب المكتب ودخل اثنان من ضباط الجمارك الذي عرفهم من "ريكيافيك" ومعهم ضابط مخدرات معه كلب بوليسي.

قال في محاولة لأن يبدو مبتهجًا بعدما بدأ عقله في التحرك بسرعة:

- صباح الخير.

قال أحد ضباط الجمارك وردد الآخر:

- يوم سعيد.

احتشد الثلاثة حول ماكينة القهوة، والتي بدأت فورًا طحن الحبوب بصوت عالٍ. سأل "براجي" وقد شعر بالضغط يتصاعد إلى رأسه:

- ما هذه الزيارة المشرفة؟

فرد الضابط وهو يجلس متثاقلًا على كرسي:

- لا شيء، المعتاد.

وسحب قطعة بسكويت من علبة على الطاولة وقسمها إلى نصفين. أعطى أحدهما للكلب، الذي أسقطها على السجادة لمضغها.

- زيادة احتياط، أم ماذا؟

- لا. قام أحدهم بالتبليغ على الخط الساخن للمخدرات الآن. شحنة كبيرة قادمة.

قال "براجي":

- كوبنهاجن، هاه؟

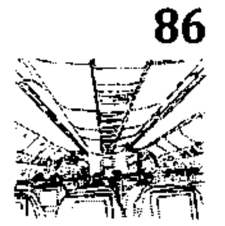
قال الضابط:

- لا.

وغمس نصف البسكوت الآخر في قهوته وأكمل:

- لندن.

86



اهتزت يدا "براجي" بشدة لدرجة أنه أوقع التليفون على الأرض حين أمسكه. سيكون من سوء حظه إذا انكسر هذا التليفون البائس في الوقت الذي احتاجه فيه. جثا بركبتيه على الأرض لتجميع أجزاء التليفون المنثورة، ثم حاول تركيبها. يبدو أن التليفون لم يكن مكسورًا، بل سقط غطاؤه، فرأى مكان قطعة مربعة مفرغة. لا بد أن تكون مكان البطارية. بعدما قام ببضع محاولات لتركيبها، أدرك أنه لا داعي للإسراع. كانت يداه ترتجفان بشدة لدرجة أنه لم يستطع السيطرة عليهما، وشعر بأن رأسه سينفجر.

بالكاد استطاع التفكير. أدرك في النهاية وجود ثلاث دوائر كهربية صغيرة يجب مطابقتها مع تلك الموجودة على البطارية، ثم دخلت بسهولة حين ركب كل شيء معًا في النهاية. ضغط على زر التشغيل ثلاث مرات حتى استجاب التليفون، ثم استغرق الأمر بعض الوقت للاتصال بالشبكة.

والآن، واجه احتمالية القبض على "سونيا"، وفكر أنه قد يكون أيضًا في خطر. لم يسبق لهم مناقشة أمر سكوتها عن مساعدته لها، لكنه افترض أنها ستقوم بذلك، فقد ذهبت إلى منزله وشاهدت "فالديس"، وعرفت سبب احتياجه المال. لم يخطر بباله قط أنها قد تورطه. ولكن الآن، بدا أن كل الأشياء التي سلم بها في السابق تتبخر؛ استيائه من دار المسنين حيث كانت "فالديس"، وافتقاده لها بشكل رهيب، ومخاوفه بشأن الكدمات التي ظهرت على جسدها، أصبحت كلها أمورًا بسيطة مقارنة بما يمكن حدوثه. خطر له فجأة أن يترك "فالديس" تموت بمفردها أثناء وجوده في السجن. أيكون هذا جزاؤها منه لحياة كاملة من الرعاية والحب؟

وحين ظهرت إشارة الشبكة أخيرًا في زاوية الشاشة، فتح "براجي" الرسائل وأرسل علامة تعجب إلى "سونيا"، لكنه، استصغرها جدًا بالنظر إلى خطورة الموقف، فأرسل رسالة أخرى بها ثلاثة صفوف كاملة من علامات التعجب. لا يمكنها أن تغفل عنها، ثم تنهد. أوشكت الطائرة على الهبوط، لذا فقد فات الأوان على تحذيره. أعاد التليفون بعد ذلك إلى الخزانة واستند على الحائط لكيلا يغمى عليه بعدما فقد الإحساس بساقيه وشعر بالدوار. صار كبيرًا بما يكفي على ذلك الضغط. كان عليه التفكير في الأمر بعناية أكثر قبل البدء في هذا الغباء. لا بد أنه فقد عقله ليسلك هذا الطريق.

87



كان الهبوط هذه المرة - على غير العادة - مليئًا بالمطبات، وتقلقلت الطائرة بشدة على ممر الهبوط عدة مرات، لدرجة اهتزاز الحقائب واهتزاز "سونيا" في مقعدها. بدا الطقس على ما يرام في الخارج، وظهرت المناظر الطبيعية بتفاصيلها في ضوء الربيع الأزرق الذي احتاج بضعة أيام أكثر دفئًا قبل أن يتحول إلى الأخضر الفاتح.

قامت بتشغيل تليفونها، الذي أصدر صافرتين. ربما كانت تتخيل، لكنها شعرت بنغمة يأس في تلك الأصوات الحادة. كاد أن يتوقف قلبها بمجرد أن رأت علامة التعجب؛ وانقبض لرؤيتها الرسالة الثانية، ذات الصفوف الثلاثة. لا بد أن هناك شيئًا خطيرًا.

تدرجت الطائرة ببطء أثناء الهبوط، وكالعادة وقف الركاب بمجرد أن انطفأ ضوء حزام المقعد، وقاموا بشد حقائبهم من الخزائن العلوية. لم تعرف "سونيا" ماذا تفعل. ربما قصدت علامات التعجب وجود كلاب تفتيش مفاجئة بمبنى المطار. ربما ينتظرونها في نهاية الممر. كانت الشحنة في حقيبة "اللاب توب" التي وضعتها عند قدميها. لم تتخذ أي إجراءات خاصة هذه المرة لإخفائها سوى بوضعها في أكياس قهوة فارغة ولفها بورق حفظ الطعام. فأخذت شكل قطعة مسطحة تمكنت من وضعها بسهولة في الحقيبة، بجوار "اللاب توب" الخاص بها. كانت الأكياس نفسها محكمة الإغلاق وملصقة

بعناية، بالعديد من طبقات البلاستيك حولها. رفضت التخلي عن قوانينها حتى عندما سخرت "ناتي" منها حين رأت احتياطاتها.

كان من المستحيل التأكد إذا كانت الشحنة مؤمنة من الكلاب، لأنها حديثة التعبئة، فلم يكن مؤكدًا أن رائحة الكوكايين قد اخترقت الطبقات الثلاثة. ولكن بما أنها لا تعرف ما تعنيه علامات التعجب، لم تستطع مغادرة الطائرة بالشحنة. كان زوجان بجانبها قد وقفا بالفعل وتوجها إلى الممر بين صفوف المقاعد للبحث عن حقائبهما، ففكرت "سونيا" ونفذت في الحال؛ نزلت على ركبتيها، وأخذت سترة النجاة من أسفل المقعد الأوسط، وأخرجت الشحنة من حقيبة "اللاب توب"، وغرزتها في السترة.

شعرت "سونيا" بتدفق الهواء في المقصورة عند فتح الأبواب. وبعد لحظة، بدأ حشد الركاب في التحرك، فوقفت أمام مقعدها تتظاهر بالبحث عن شيء ما في الخزانة العلوية. وسريعًا، نظرت حولها لتتحقق من وجود من يراقبها، وعندما تأكدت من عدم وجود أحد، وضعت سترة النجاة في الخزانة، ثم أخذت حقيبة "اللاب توب" الخاصة بها، ووقفت في طابور المغادرة.

لن يمر الكثير حتى يتم العثور على المخدرات، وستُظهِر قائمة الركاب أن هذا كان مقعدها، لذا من المحتمل ألا يكون ما فعلته هذا مفيدًا. لكنها على الأقل ستكسب الوقت؛ مساحة صغيرة للتفكير.



88



قال "براجي" لأصغر ضابطي جمارك ريكيافيك:

- سأعرفها بالنظر. يستحسن أن أذهب معكم لأخذها من الممر. وأنتما مُرَّا بالكلب خلال الأمتعة. لا أريد تعطيل الركاب لفترة طويلة، لذا من الأفضل فحص الحقائب بسرعة، لكن بدقة.

هز ضابط المخدرات كتفيه، كأنه لا يهتم ولم يأتِ إلا للأجر. لم يهتم بما قيل، بينما نظر كبير الضباط إلى "براجي" بفضول وسأله:

- كيف ستعرف "سونيا جانرسدوتير" عند رؤيتها؟

أسند "براجي" ظهره إلى كرسيه - وهي حيلة ليبدو مسترخيًا - وقال:

- هذا هو الغريب في الأمر. سبق لي استجوابها. ومع أنه لم يكن عليها شيء، أحسست حولها بشيء مريب.

- مريب؟ كيف ذلك؟

- في الواقع، لست متأكدًا من معرفتي بالأمر. لكن هناك ما يثير الريبة حولها.

وابتسم معتذرًا، فرد أحد صغار الضباط لإنقاذه قائلًا:

- نعتقد أن "براجي" لديه حاسة سادسة. فكشفه للمهربين بمجرد التحديق بهم هو أمر غامض.

تحدث الشاب بنبرة فخر، ولسبب ما، تضايق "براجي". فكر في موقف هؤلاء الشباب الذين افتخروا به، سيصدمون إذا اكتشفوا الحقيقة، فقال ضاحكًا:

- لا أعرف إن كان هناك ما يُدعى بالحاسة السادسة. ربما هي مجرد سنوات من الخبرة.

قال مسؤول الجمارك الأكبر سنًا:

- أجل، وارد.

ثم هز رأسه مُعلمًا ضابط المخدرات أن يأتي معه ويحضر الكلب، وقال:

- الهبوط في خمس دقائق. فلنبدأ.

شعر "براجي" بضعف ساقيه حين وقف وانطلق مع موظف الجمارك الأصغر سنًا، الذي أخذ يثرثر حول حلمه بالعمل في مطار "كيفلافيك" وكيف كان سيقدم طلبًا للانتقال بمجرد أن تتكون لديه الخبرة. أبطأ الشاب قليلًا عندما كانا في الممر - مراعاةً لـ"براجي" على ما يبدو - ووصلا إلى البوابة فور توقف محركات الطائرة. تساءل "براجي" إذا كانت "سونيا" قد شغلت التليفون على الفور ورأت تحذيره، أو إذا غادرت الطائرة دون أن تعرف ما ينتظرها.

من نظرة وجهها وهي تخرج من الطائرة، علم أنها شاهدت تحذيره، فقال لها:

- أيمكنك مرافقتنا؟

ثم أمسك ذراعها بلطف، مشيرًا إلى الضابط الصغير بإكمال الطريق. كان قد أخبره مسبقًا أنهم سيستخدمون ممر الطاقم لكيلا يثيروا ذعر الركاب الآخرين بالمرور عبر صالة الوصول. وحين اقتربوا من الباب، توقفت "سونيا" وانحنت لضبط حذائها.

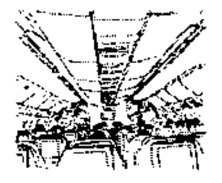
فسألها "براجي" بقلق وهو ينظر إليها:

- هل أنت بخير؟

همست "سونيا" بينما تقف:

- أسفل مقعد E19.

89



قال "براجي" للضابط الشاب:

- خذها إلى الداخل، واطلب من الأولاد مقابلتي على متن الطائرة مع الكلب. علينا البحث قبل تنظيفها.

كان يجازف، مراهنًا على احتمالية عدم معرفة الشاب بروتين المطار. راقبهما أثناء سيرهما على طول الممر، وبمجرد أن أُغلق الباب خلفهما، جرى بأسرع ما مكنته ركبتيه المصابتين في المقصورة. سار بجانب الحائط، عكس حشد الركاب المتجهين بسعادة إلى السوق الحرة. لا بد أن هؤلاء هم الأشخاص من رحلة أوسلو التي كان من المقرر هبوطها بعد عشر دقائق من رحلة لندن.

لم يستطع التقاط أنفاسه، وشعر أن رأسه كان على وشك الانفجار من الضغط المتراكم بداخلها عندما وصل إلى بوابة الطائرة؛ في الوقت المناسب لمنع الطاقم الجديد من الصعود. بدا الطيار قلقًا وفحص ساعته، واستطاع "براجي" أن يعلم بما كان يفكر.

فقال أثناء دخوله ليطمئنهم:

- لن يكون هناك أي تأخير، هناك كلب في الطريق ولن يمر عبر الكابينة.

كان طاقم التنظيف قد صعد على متن الطائرة بالفعل. لطالما بدؤوا بآخر المقصورة ومنها إلى المقدمة، لذا كان هناك طريق واضح للوصول إلى الصف التاسع عشر. كان "E" المقعد الأوسط، فانحنى لينظر تحته. لم يجد شيئًا على الأرض، فتحسس بيده أسفل الكرسي، وأحس أن هناك شيئًا آخر مع سترة النجاة. فرفع الحقيبة، وتفاجأ بثقلها. لم تكن تلك شحنة صغيرة.

كان اثنان من طاقم التنظيف في المراحيض الخلفية، وكان أحدهم منشغلًا في التقاط القمامة من بين المقاعد. انتظر "براجي" حتى انحنى الرجل، فاستدار بسرعة وأسقط الحقيبة بعناية في صندوق قمامة مفتوح على إطار معدني على عجلات. كان الوقت المناسب تمامًا، لأن الرجل قد قام وألقى بعض القمامة في الكيس، واختفت الشحنة تحتها على الفور.

- فليخرج الجميع!

صرخ "براجي" بصوت عالٍ بما يكفي ليسمعه من ينظفون المراحيض.

فسأله رجل نظافة ذو الصندوق المعدني:

- أستسمحك عذرًا؟

كان بولنديًا هزيلًا، أو هكذا افترض "براجي"؛ فقد علم من الشارة المثبتة على قميصه المجعد أن اسم الرجل هو "بافيل".

قال "براجي":

- فليخرج الجميع من الطائرة من فضلكم. هناك كلب بوليسي في الطريق.

صفق يديه لتنبيههم بالإسراع. فاستجابوا على الفور. ألقى الرجل والمرأة اللذان كانا ينظفان المراحيض بكل شيء على الأرض وأسرعا خارجًا. واضح أن "بافيل" كان على وشك القيام بذلك أيضًا كما تم تدريبه، تاركًا خلفه صندوق القمامة المعدني، لكن "براجي" أمره بأخذ ذلك الشيء الملعون معه وإزاحته من الطريق.

رغم نظرات الرجل إلى "براجي" التي اتهمته بالجنون، فإنه فعل ما قيل له. ترك الطائرة بصندوق القمامة أمامه.

جلس "براجي" بصف المقاعد الأمامي لالتقاط أنفاسه. لن ينفع "فالديس" إذا قتله التوتر بنوبة قلبية في هذه اللحظة. فأخذ نفسًا عميقًا، وعد إلى خمسة ببطء لإبطاء ضربات قلبه. فعل ذلك عدة مرات فقط عندما ظهر كبير ضابطي جمارك ريكيافيك ورجل فرقة المخدرات مع الكلب.

قال ضابط المخدرات:

- لا شيء في الأمتعة.

ووضع الكلب في الممر للبحث.

سأل ضابط الجمارك:

- هل كان أحد على متن الطائرة؟

فقال:

- لم يركب الطاقم، وكان عمال النظافة قد بدؤوا لتوهم عندما أخرجتهم. سأذهب وأتحدث معهم أثناء قيامك بفحص المقصورة.

ثم وقف ومشى في الممر، وهو يومئ برأسه إلى الطيار الذي ابتسم بصبر مصطنع.

انتظر طاقم التنظيف في مجموعة عند مدخل الطائرة. انتزع "براجي" الحقيبة من السلة المعدنية، مما أثار دهشة "بافيل"، فبادره "براجي" قائلًا:

- جمارك!

سيكون عليه التفكير بسرعة الآن.

سار بالحقيبة مباشرة إلى المرحاض خارج الممر. أخذ الحقيبة من الكيس، ووقف على مقعد المرحاض وحاول بصعوبة دفع أحد بلاطات السقف جانبًا، لكنه كان ملصقًا في مكانه واضطر إلى لكمه. لقد انفتح، لكن ظهر صدع فيه، لا يعني أن هناك أي شيء يمكنه فعله حيال ذلك. دفع العبوة إلى السقف المعلق وتمنى ألا يلاحظ أحد الشرخ في البلاط، ثم نزل بحذر من المرحاض، والتقط الكيس وعاد إلى الممر، إلى ممر الموظفين والطابق السفلي.

سرعان ما قال لـ"فيلهيلمينا"، من تراقب كاميرات المراقبة حين جاءت الآن لمقابلته:

- مثانتي تقتلني. يبدو أن عليَّ قضاء حاجتي كل خمس دقائق طوال اليوم.

كان ذلك كافيًا لإسكاتها عن كل ما أوشكت قوله.

أفرغ الكيس بعد ذلك على إحدى الطاولات الحديدية، ولبس زوجًا من القفازات المطاطية وبدأ في البحث في القمامة. لم يجد الكثير، فقط بعض أغلفة الشطائر، وزجاجتي مياه، ووعاء فارغ، ومجلة ممزقة، وأغلفة علكة وبعض القمامة الصغيرة.

تنهد قائلًا:

- لا شيء هنا بحق الجحيم.

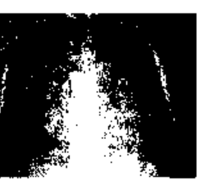
وارتفع صوت من اللاسلكي الخاص به يخبرهم أنه تم تطهير الطائرة. هزت "فيلهلمينا" كتفيها وسألت:

- أتعتقد أنها تحمله داخليًا؟

قال "براجي" وهو يجلس ويفرك ركبته:

- لن تكون مفاجأة.

90



لم تكن هذه المرة هي الأولى التي انتظرت "سونيا" فيها في عيادة "كيفلافيك" حتى يصل طبيب الأشعة لفحصها.

وكانت الممرضة المسكينة قد عادت للتو إلى منزلها عندما تم استدعاؤها مرة أخرى، وعندما رأت "سونيا"، حيتها بابتسامة متعبة، وقالت:

- مرحبا مجددًا.

قالت "سونيا" معتذرة:

- مرحبًا. آسفة لمقاطعة عشائك، ولكن يبدو أن الجمارك تحبني.

منذ ظهور علامة التعجب على الشاشة، التزام الهدوء كان كل ما حاولت فعله. قد أوضح لها "براجي" هذا منذ بداية عملهما معًا كيف تتصرف إذا تم

القبض عليها، وأن أفضل طريقة هي أن تظل هادئة، وأن تسأل كل فترة عن سبب اختيارها، ومتى ستتمكن من العودة إلى المنزل.

قال إن هذا يعطي انطباعًا بالبراءة، فاتبعت تعليماته. وسألت ضباط الجمارك بضع مرات أثناء استجوابها، الذين فتشوا كل أمتعتها تقريبًا، ثم أحضروا رجلًا بكلب حراسة، لكن دون جدوى. لم يتم اكتشاف أي شيء مريب. شعرت "سونيا" بالارتياح لأنها التزمت باحتياطاتها الدقيقة التي اعتقدت "ناتي" أنها مبالَغة، فهي تعلم أن أصغر حبة عالقة بملابس شخص ما كافية لتنبيه الكلب، لكن يبدو أنها أفلتت من العقاب. وإذا ظلوا يفتشونها هي وأمتعتها، لن يعرفوا أن الشحنة في مقصورة الطائرة.

- لماذا أنا؟

هكذا سألت الضابط الشاب مرة أخرى بينما جلسا بانتظار الطبيب لينهي فحص أشعة لبطنها. قال:

- لقد تلقينا بلاغًا. بلاغ من مجهول.

فردت:

- هذا غريب حقًا.

لكنها تعلم أنه لا يوجد شيء غريب في الأمر. لقد أبلغ "آدم" بلا شك. مكالمة مجهولة إلى الخط الساخن لمكافحة المخدرات أو إلى دائرة الجمارك، تعني معرفته أنها من وراء اعتقال اثنين من رجاله، ولا بد أن تكون محادثته مع "ناتي" هي ما أشعلت فيه نيران الانتقام. ودت لو أنها رأت وجهه حين أخبرته "ناتي" بتوليها زمام الأمور بدلًا منه. هذا يفسر كونه ودودًا للغاية عندما سمح

لها بزيارة "توماس". كان عازمًا بالفعل على الإبلاغ عنها وكانت الزيارة فرصة ليودعها "توماس".

أغمضت عينيها وأسندت ظهرها إلى الوراء ورأسها إلى الحائط. لقد أفسح الاستسلام الذي حاوطها منذ رحلة المكسيك المجال لعاطفة جديدة، والتي ولَّدت بداخلها الكثير من الحرارة، لدرجة أنها للحظة، شعرت أن الدم يغلي في عروقها. كانت غاضبة، بل ثائرة، وقد ثارت رغبتها في القتال.

قالت لضابط الجمارك:

- أعتقد أنني أعرف من وراء كل هذا. ربما يجب عليك التحدث مع "آدم توماسون" ونصحه بعدم اتهام زوجته السابقة تهم باطلة.

- ماذا؟

فقالت بينما ظهرت الممرضة في الممر:

- أخشى أنك قد أُقحِمتَ في نزاع سخيف حول الحضانة.

قالت الممرضة لموظف الجمارك:

- لا شيء بالداخل.

انحنت "سونيا" وفكت الشريط من حول كاحليها.



91



أوقفت "ماريا" سيارتها في مكان ما داخل محطة وقود بـ"سوبروت" وتركت السيارة تدور أثناء دخولها. لم يكن ذلك شيئًا تفعله عادةً، باعتبارها مناصرة للقواعد البيئية من الدرجة الأولى، لكنها أحست بالبرد الشديد منذ نهوضها من السرير لدرجة أنها قررت إبقاء السيارة دافئة. كانت درجة الحرارة الخارجية ثماني درجات فقط. ورغم أن الشمس، عمليًا، كانت قد أشرقت، لا يزال هناك وقت طويل قبل حلول الصيف.

قامت بشراء شريحة اتصال ثم أسرعت إلى السيارة ومزقت الغلاف وبدلت شريحة تليفونها بالتي اشترتها، ثم قادت الأمتار القليلة المتبقية إلى مكتب النائب العام. ولكن قبل أن تخرج، اتصلت برقم لوكسمبورج المجهول. كان الرقم الوحيد المتبقي الذي لم تتمكن من التعرف عليه في جدول مكالمات "أجلا". سمعت نغمة عالية، وتوقفًا قصيرًا، ثم نغمة منخفضة، وهو المعتاد عند الاتصال برقم تليفون في الخارج. لم يكن هناك رد، ووضعت "ماريا" تليفونها في جيبها بخيبة أمل.

تحسنت نفسيتها حين وصلت المكتب ورأت كشف الحساب الذي قد طلبته من البنك المركزي. قطَعت الظرف وراحت تتجول خارج المكتب لإلقائه في سلة إعادة تدوير الورق، وتفحصت الملف أثناء ذهابها. كان سجلًا لمدفوعات تزيد عن نصف مليار كورونا قدمتها الشركات الآيسلندية إلى كيانات خارجية على مدار الأشهر السابقة. وضعت مسطرة على الصفحة الأولى من البيان وسحبتها لأسفل ببطء. لم تجد شيئًا ملحوظًا في الصفحة الأولى، ولا في الثانية. وجدت في

الثالثة ما كانت تبحث عنه. كانت دفعة كبيرة تم سدادها في نهاية شهر أبريل من شركة الألومينيوم في آيسلندا إلى الشركة الأم في الخارج، والتي صنفت في نظام البنك المركزي على أنها سداد للقرض المقدم لتغطية تكاليف مشروع صغير. بقلم ملون، قامت بتحديد الخط، وتابعت لأسفل الصفحة، ثم الصفحة التالية، والتالية، حتى عادت ثمانية أشهر إلى الوراء. لم ترَ أي مدفوعات أخرى مماثلة. لا بد أن تكون هذه دفعة جديدة لقرض جديد.

فزعت "ماريا" بينما رن تليفونها. كانت الشريحة غير المسجلة لا تزال بداخله، ووجدت الرقم الذي ظهر على الشاشة هو الذي حاولت الاتصال به، المسجل في لوكسمبورج.

قالت "ماريا" بتوتر:

- مرحبًا؟

- أهلًا. من هناك؟

قالها رجل بالإنجليزية، ولكن بلهجة آيسلندية قوية.

أنهت "ماريا" المكالمة وأغلقت التليفون وأخرجت شريحة الاتصال. اكتشفت ما تريده. لم تحتج للسؤال عن اسم الشخص، فهي تعرفه من التسجيلات التي أعطاها لها "فينور" من مكالمات "أجلا".

كان "إنجيمار".



92



قال "آدم" لـ"ريكي":

- لا ليس في الوجه، يمكنك ركل ساقيها.

زحفت "سونيا" على بطنها تدفع نفسها بقدميها ويداها مربوطتان خلف ظهرها، بينما وقف الكلب رهن الإشارة ينبح في الزاوية. بحثوا في كل مكان، لكن دون جدوى. ووضع الكلب قدمه على الثلاجة، لكنها عرفت أن ذلك ربما يكون لشمه آثار الكوكايين الذي اعتادت الاحتفاظ به في الفريزر من المرات السابقة.

صرخ "ريكي" وهو يركلها ركلةً تلو الأخرى على ساقيها:

- أين الشحنة اللعينة؟

فتقلبت على جانبها، فضربها على ظهرها حتى استلقت على بطنها مرة أخرى، ثم عاد يركل ساقيها مجددًا.

أجابت "سونيا" مجددًا وهي تحاول لفظ أنفاسها:

- أخذتها الجمارك.

كان ذلك صحيحًا تمامًا، رغم أنها لم تكن ستخبرهم أن من أخذ الشحنة هو الضابط الذي تعمل معه، وأنه أخفاها داخل أحد مراحيض المطار. في انتظار "سونيا" لاستلامها عند رحلتها القادمة.

- كانت الأخبار ستنتشر إذا وجدتها الجمارك، وتكونين محجوزة. أين هي بحق الجحيم؟

- كان عليّ تركها على الطائرة، لا بد أن الجمارك وجدتها.

تحولت الكلمة الأخيرة إلى صياح من الألم عندما ضربها "ريكي" بحذائه على ظهرها وانتقل الألم إلى بطنها.

- ما اسم رجل الجمارك الذي تدفعين له؟

لم يكن هناك شيء غير طبيعي في صوت "ريكي"؛ كتقطعه، أو انتظاره لأخذ أنفاسه بعد ركلها كلاعب كرة قدم. كانوا يعرفون أن لديها اتصالات في الجمارك، وقد عرفوا ذلك منذ فترة، لكنها كانت تفضل الموت على إعطائهم اسم "براجي".

ثم صاح "آدم" بغضب:

- ماذا قلتِ لـ"ناني" عني بحق الجحيم؟

لهثت "سونيا":

- لا شيء.

- ماذا إذًا عن ذلك الهراء، بشأن عملك مع "ناني" مباشرةً ورميي خارج اللعبة؟

- لم تعد تثق بك بعدما أضعت شحنتين.

فصاح "آدم":

- هذا خطئك أيتها العاهرة. أنتِ من سلمتهم رجالي!

توقعت "سونيا" أن يركلها، لكنه تراجع. لم يسبق له ضربها أبدًا. كأن بداخله شيئًا دائمًا ما يوقفه في اللحظة الأخيرة. لكنه لم يتردد في السماح

لـ"ريكي" بفعل ذلك من أجله، فلما أشار له برأسه، جثا على ركبتيه، وأمسك ذقنها وبدأ في حشو إسفنجة استحمام ضخمة داخل فمها. شعرت أن فكيها على وشك الانفصال، لكنه استمر في حشو الإسفنجة بإبهامه حتى دخل كله في فمها.

شعرت تدريجيًا بتخدر جسدها كله، وركزت أفكارها على تنظيم أنفاسها، وأنفها المسدود بالدم والدموع. لم يستطع الصوت ولا الهواء اختراق الإسفنجة، لذا أحست بأن بكاءها يخرج من أعماق بطنها. حاولت دفع الإسفنجة بلسانها، لكنها كادت تتقيأ، فتوقفت وركزت على التنفس من أنفها، ثم صُدِمت بركلة ثقيلة في ذقنها أوقعتها. حاولت الصراخ، لكن لم يصدر منها أي صوت. وجدت أن هذا العنف قد أصبح هادئًا بشكل غريب لم تستطع تفسيره. وأصبحت ركلات "ريكي" أقسى وأكثر تنظيمًا، كأنه كان يحافظ على إيقاع الضرب. سمعت "آدم" يكرر:

- ليس الوجه.

ولسبب غريب، شعرت بالامتنان للحظة، رغم أنها تعلم أن عدم رغبته في ترك الكثير من العلامات الواضحة ليس لأجلها.

لعنت نفسها مجددًا على فتحها الباب. لم يكن منطقيًا وجود قفل وسلسلتين على الباب لتكون بهذا الغباء وتفتحه. كان ذلك لأن "آدم" بدا مرتاحًا جدًا حين رأته من العين السحرية، واقفًا يفحص تليفونه كما يفعل دائمًا حين ينتظر بالخارج. اعتقدت حقًا أنه سيأتي للتفاوض بطريقة ما، أو لاقتراح حل وسط للعمل معًا. لكن كان عليها أن تعرف أن "آدم" ليس من يعترف بالهزيمة أبدًا من تلقاء نفسه.

توقف الضرب للحظة، لكنها لم تستطع التنفس، حيث شدها "ريكي" من شعرها. وبسبب عدم قدرتها على الاتزان على يديها، أخذ شعرها وزنها بالكامل ورفعها به. تفاجأت حين تركه أنه ما زال ثابتًا في رأسها. ومن خلفها، ركل "ريكي" قدميها فسقطت على وجهها، واقترب منها "آدم" وقال بصوت منخفض:

- أتعتقدين أنكِ بهذا الدهاء؟ تظنين أن بإمكانك إبعاد رجالي، وسرق شحنتي، وعقد صفقة مع "ناتي"، ثم تأتيكِ الجرأة لإرسال الشرطة إلى منزلي؟

إذا لم يكن فم "سونيا" ممتلئًا بالإسفنج، لصاحت فيه هي الأخرى بأنه يجب أن يمتلك من المنطق ما يمنعه من الاتصال بالمكافحة والإبلاغ بشكل مجهول. بالطبع جاءت الشرطة لاستجوابه بعدما أخبرت الضابط عن أمر الحضانة، وقد أضافت بعض البكاء حينها لحبك القصة. وبالفعل، حصل على زيارة من الشرطة، لكن فقط لتذكيره بعدم توجيه اتهامات كاذبة.

مدَّ "آدم" يده إلى وجهها، وأمسك فكها بقوة وسحب من داخله الإسفنجة. فاجأها ذلك. فابتلعت دفعة كبيرة من الهواء، ثم تقيأت على الفور بعدما شعرت أنها تسحب شيئًا عميقًا من حلقها. همس "آدم":

- تبًا. كم أنتِ مقرفة. لا أفهم كيف أحببتك يومًا.

استشعرت الألم في كلماته، وأحسَّت بالمنطق الغريب نفسه. أشفقت عليه، وشعرت بالأسف على غضبه؛ الغضب الموجع الذي كان بسبب ما قالته وما فعلته، تمامًا كما كان غضبها خطأه.

فك "ريكي" الأشرطة من حول ذراعيها فشعرت بوخز في أصابعها المنملة، حيث عاد الدم إلى عروقها.

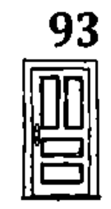
- ستخبرين "ناتي" أنك أسأت فهم الأمر. لن تتمكني من فعل أي شيء هنا. لن يمكنك التعامل. ليس لديكِ رجال، ولا حماية، ولا شيء. تكونين حمقاء إذا كنت تعتقدين أنه يمكنكِ حل محلي.

خرج "آدم" من غرفة المعيشة وخلفه "ريكي"، ثم نادى "آدم" على الكلب الذي أطاعه وهرول تجاهه:

- هيا يا "تيدي". "توماس" بانتظارك في البيت.

تكورت "سونيا" على الأرض وحاولت التحكم في تنفسها. أخذت تحرك لسانها ذهابًا وإيابًا، في محاولة لترطيب فمها الجاف الذي يؤلمها. لم يكن رد فعل "آدم" كما توقعت. اعتقدت تمامًا أنه سيكون أكثر ذكاءً، وأنه سيحاول التفاوض بدلًا من استخدام العنف، وحسبت أنها كانت في موقف أقوى، وأن صداقة "ناتي" ستحميها. لكنها علمت الآن أن حماية "ناتي" لم تمتد إلى آيسلندا، وقد اكتشفت أيضًا من أين جاء لقب "ريكي السبونج".

93



لم ترد "سونيا" عندما رنت "أجلا" جرس الطابق السفلي، لذا رنت جرس الطابق العلوي مجددًا. وبعد لحظة، سمعت صريرًا بينما فتح العجوز في الطابق العلوي الباب لها، كان كحارس للمبنى بأكمله. اعتقدت أن "سونيا" ستفتح لها إذا طرقت بابها. كانت في أمس الحاجة للتحدث معها بعد أن ظلت مستيقظة الليالي الماضية، يجول بخاطرها كل ما تتمنى قوله لها. كانت

ستحكي لها عن محاولة تقبيل "ماريا"، وعن ذهابها لنادي التعري، وعن كل شيء. كانت ستخبرها أنه خلال الأسابيع القليلة الماضية، أحسَّت وكأن صخرًا بداخلها قد تحطم، وأن مبدأها بعدم التشبث بأي شيء - والذي نفعها لفترة طويلة - قد وهن تدريجيًا، وربما دون أن تلاحظ هذا، إلى أن حدث ثقب في مبدأها الذي أدركت متأخرًا أنه كان درعها الحامي. كان ذلك هو الثقب الذي دخلت منه "سونيا" إلى قلبها. وهذا، هو ما أرادت شرحه بأرق التعبيرات التي امتلكتها، لذا تمنت أن تفتح "سونيا" الباب.

استعدت للوقوف والطرق طويلًا، كما كانت تفعل كثيرًا في السابق، فترددت حين رأت أن الباب كان مواربًا، فنادت وهي تطرق إطار الباب:

- "سونيا"!

لكنها لم تجد أي استجابة. دخلت وأحست على الفور أن هناك خطرًا ما. رأت أدراج الخزانة الصغيرة في الصالة ملقاة على الأرض بمحتوياتها.

- "سونيا"!

ربما يكون شخص ما قد اقتحم شقتها. وللحظة، فكرت أن السارق قد لا يزال في الداخل. ربما كان من الأفضل عدم النداء بصوت عالٍ. لم يكن هناك أحد في المطبخ ولم ترَ شيئًا غريبًا، لذا توجهت "أجلا" بحذر إلى غرفة المعيشة.

كانت "سونيا" ملقاةً على الأرض وعيناها مغمضتين، فأسرعت "أجلا" على ركبتيها بجانبها تهزها برفق وتقول:

- ماذا حدث؟ هل أصبتِ؟ هل وقعتِ؟ سأطلب الإسعاف.

أخرجت تليفونها الآيسلندي من حقيبتها وكانت على وشك الاتصال بالطوارئ عندما منعتها يد "سونيا" بلطف. قالت وهي تحاول فتح عينيها:

- لا. لا تفعلي. لقد كان "آدم".

بعد ساعة، كانت "أجلا" جالسة على الأريكة، تحمل رأس "سونيا" في حجرها بعدما شربتها مسكنات قوية بالبيرة، والآن، بدت "سونيا" على وشك النوم بكيس ثلج على عظم وجنتيها. شاهدت "أجلا" كيف بدأت الكدمات تظهر على ذراعيها، وفكرت: كيف يمكن لمعركة حضانة أن تصبح بهذه الشراسة؟ ولماذا لا يكتفي "آدم" بحضانة الصبي؟ لما يحاول دائمًا عرقلة "سونيا" في طريقها الواعر للوصول إليه؟ ولماذا لجأ إلى العنف؟ لم تفهم الأمر.

عندما اشتد الغضب داخلها، شعرت بأن الشعور بالذنب الذي عانت منه منذ أن دخل "آدم" عليها مع "سونيا" قد تبخر. لم تضطر للشعور بأدنى مسؤولية لتدمير زواجهما، فلم يكن "آدم" يستحق "سونيا". الرجل الذي تصل به الأمور إلى هذا، لا يستحق أي شيء.

تنفست "سونيا" بعمق الآن. بدت نائمة أخيرًا، فرفعت "أجلا" كيس الثلج من على وجنتيها وسحبت الغطاء فوقها. كانت نحيفة وصغيرة جدًا تحت الغطاء، لدرجة أن "أجلا" شعرت بالإشفاق عليها. كيف استطاع الرجل أن يضربها؟

لطالما اعتزّت "أجلا" بهدوئها تحت الضغط. فحين تصبح الأكثر غضبًا، تكون كذلك في أقصى مراحل تفكيرها. ودت بالطبع أن تستأجر رجلًا قويًا ضخمًا لتلقن "آدم" الدرس نفسه الذي أعطاه لـ"سونيا"، لكن لم يحمل ذلك أي منطق. لديها خطة أفضل بكثير من شأنها تحرير "سونيا".

94



ذُهِلَت "ماريا" حين دخلت "أجلا" مكتبها، فسألت متفاجئة:

- من سمح لك بالدخول؟

ولم تستطع "أجلا" كتم الضحك.

بمجرد ظهورها، نهض الشاب الذي كان مكتبه بجانب الباب، وقام بإدخال رقمه السري في قفل لوحة المفاتيح، كما فعل مرات عديدة من قبل، مما جعلها تدخل مبتسمة. يبدو أنه لم يشك في شيء. من الواضح أنه لم يكن معروفًا بعد بين موظفي النائب العام أن قضيتها قد انتهت ولم يعد لديها أي سبب للتواجد هنا. فقالت:

- يعرفونني جيدًا هنا.

ثم أغلقت باب المكتب خلفها وأخذت الكرسي المواجه لمكتب "ماريا".

قامت "ماريا" بضبط ياقة بلوزتها، وأمسكت كومة الأوراق على مكتبها لترتيبها، وتنحنحت ثم سألتها:

- كيف يمكنني مساعدتك؟

ابتسمت "أجلا" مرة أخرى. كان لقاءً رسميًا مختلفًا عن آخر مرة التقتا فيها. ثم قالت:

- أود حقًا استعادة تليفوني.

ودون التفوه بكلمة، فتحت "ماريا" درج المكتب، وأخرجت التليفون وأعطته لها. شعرت بالارتياح لأن "ماريا" لم تحاول الادعاء بأنها لا علاقة لها بتليفونها. تابعت "أجلا":

- لا أفترض أن لديك إذن لهذا؟

هزت "ماريا" كتفيها. بالطبع لم يكن لديها إذن. وإن كان، لذهبت بالأوراق وأخذت التليفون بشكل قانوني، دون أن تضطر إلى التمثيل. شعرت "أجلا" باحمرار طفيف في خديها وهي تتذكر الحادث.

- أفترض أنك جئِت لأخذه لأنه مسجل في لوكسمبورج ولم تستطيعي الحصول على إذن لمراقبته أو الحصول على سجل المكالمات.

وأضافت:

- يمكنني أن أجعل المحامي يتقدم بشكوى رسمية، مما سيفتح دوامة من القلق، أو يمكننا عقد صفقة؛ تنسين أنك رأيت تليفوني من قبل، وأسلمكِ "آدم" على طبق من فضة.

ثم شاهدت "ماريا" تتأرجح في كرسيها وظهر عبوس حائر على وجهها. تابعت "أجلا"، وهي تفتح مسجل التليفون وتنقر رمز القفل:

- أتذكرين "دافيث" من البنك؟

ذكرها الاستيلاء على تليفونها بأهمية قفل الملفات المهمة بكلمة مرور؛ فلا تأمن أبدًا من قد يقع تليفونها في أيديهم. قالت "ماريا" بعدم اهتمام ظاهر في صوتها:

- بالطبع أذكر "دافيث"، وكنت مدركة تمامًا أنه كان يأخذ العقوبة بدلًا من "آدم".

قالت "أجلا" وهي تنقر على زر التشغيل:

- استمعي إلى هذه المحادثة بيني وبين "دافيث".

في البداية كان هناك ضجيج غير واضح؛ ضجيج متجر قهوة. يمكن سماع صوت مرتفع لماكينة إسبريسو في الخلفية. قال صوت "أجلا" من سماعة التليفون:

"نحتاج إلى إخراج "آدم" من بعض المتاعب، هل أنتِ معنا؟".

ظهر صوت قعقعة فنجان يوضع على الصحن قبل أن يتكلم الرجل: "بالتأكيد، فقط أخبريني ما يجب عليَّ فعله".

قال صوت "أجلا":

"يمكن أن تبقى عامين في السجن".

رد قائلًا: "إنها فرصة. عامان لا شيء مقارنةً بالحكم المؤبد الذي أعيشه حاليًا".

أجاب صوت "أجلا": "اتفقنا. سنجد طريقة لتحويل ديونك إلى شركة قابضة في الخارج، ويمكنهم البقاء هناك إلى الأبد. من الأفضل أن تذهب للمنزل وتفكر كم تحتاج من المال. ولا تخجل؛ نريدك أن تعرف أننا نقدر ذلك".

"أجلا، أنتِ لا تعرفين ماذا يعنيه هذا بالنسبة إليَّ".

فقال صوت "أجلا" بوضوح: "هذا جيد".

متبوعًا بنقرة عند انتهاء التسجيل.

وضعت "أجلا" التليفون ونظرت في عينيْ "ماريا" وهي تميل بلهفة إلى الأمام فوق المكتب.

- هل تريدينه؟

ردت "ماريا":

- هل أريده؟ بالطبع! أي نوع من الاسئلة هذا؟

- في هذه الحالة، لأكون واضحة تمامًا في كل ما يتعلق بهذا الأمر. يتلقى "دافيث" صفعة لتزوير شهادة وتحصلين على "آدم"، ثم تنسين حادثة التليفون.

جلست "أجلا" تراقب تعبيرات "ماريا". كانت تقرأ أفكارها تقريبًا. في البداية، ظهرت ابتسامة شك على وجهها، التي تحولت إلى نظرة ارتياب وبعدها اهتمام وأخيرًا، إدراك، ثم وقفت وتوجهت إلى الباب.

ونادت على "أجلا" قبل أن تختفي عبر الباب:

- انتظري هنا.

فعادت "أجلا" قبل أن تكمل تصفحها على التليفون الذي استرجعته للتو. قالت "ماريا":

- موافقة.

فوقفت "أجلا"، وقالت:

سأرسل لك التسجيل بالبريد الإلكتروني. وسيتواصل معك "دافيث" لتغيير شهادته.

95

كان شعر "دافيث" مقصوصًا. وشعرت "أجلا" بأنها تفتقد خصلاته الملائكية اللطيفة، كما ربى لحية كثيفة جعلته يبدو أكبر سنًا. اعتقدت أن هذا المظهر يناسبه أيضًا، فلطالما اعتبرته طفلًا كبيرًا. قالت "أجلا":

- هناك بعض التغييرات.

خرج "دافيث"، وأغلق باب المنزل خلفه، فاختفت أصوات لعب الأطفال بالداخل.

- عليك الذهاب اليوم إلى النائب العام لتغيير شهادتك.

عبس وجه "دافيث"، وظهر عليه القلق:

- ماذا؟

- ستعترف بأنك كذبت لحماية "آدم"، لكنك ندمت وتريد الاعتراف بالحقيقة. لذا، أخبرهم بكل ما تعرفه.

أمسك "دافيث" ياقة سترتها بتوتر وقال:

- لكن، يا "أجلا"، لقد أخذت قرضًا آخر للمنزل بالفعل. اعتمدت بالكامل على صفقتنا!

وقد ظهرت بقع حمراء على بشرته الشاحبة من اضطرابه. قالت "أجلا":

- اتفاقنا قائم، لا تقلق بشأنه. يمكنني حتى زيادة المبلغ إن أردت.

ترك "دافيث" سترتها واستند إلى حائط مكسر يفصل الطريق عن درج المنزل، وقال:

- لا أفهم هذا. لا أفهم لماذا عليَّ خيانة "آدم" الآن؟

ردت "أجلا":

- لا يوجد شيء لتفهمه حقًا. كل ما عليك معرفته هو أنك إذا فعلت ما أطلبه منك، فلست بحاجة إلى الاعتراف بذنب لم تفعله، مما يعني أنك ستفلت من عقوبة بالسجن وتظل صفقتنا سارية. إنها نتيجة أفضل بالنسبة لك.

قال "دافيث":

- وأسوأ بكثير بالنسبة لـ"آدم".

ردت "أجلا":

- أجل، وهو المطلوب.

- اعتقدت أنكما معًا في هذا الأمر.

قالت "أجلا":

- لفترة طويلة هذا ما ظننته أيضًا. ولكن عندما تشتد الظروف، تكتشف من هم حقًا أصدقاؤك. أنت تفهم بالطبع.



96



جلس "توماس" في الخلف بسيارة الشرطة يتظاهر بالاستمتاع ببرنامج الأطفال الذي قررت الشرطية أنه يناسبه. لم تدرك أنه كان كبيرًا على مشاهدة "بي بي لونج ستوكنج"، وأنه، بالتأكيد، كبير كفاية لإدراك غرابة ما يحدث، ولرغبته في معرفة ما تدور حوله هذه الرحلة.

لم يكن رجال الشرطة الذين أتوا لأخذ والده يرتدون زي العمل، لكن الآخرين الذين جاؤوا إلى الطائرة كانوا يرتدونه مع قبعات بيسبول، وأخبروه أنهم سيصحبونه إلى منزل والدته. ظل يسأل مرارًا عن سبب أخذ والده، لكن الشرطيتين قالتا إن والدته ستشرح له، وأنه لن يستطيع البقاء مع والده في الوقت الحالي.

كان الذهاب إلى والدته هو كل ما أراده "توماس". ومع ذلك، شعر بعدم الارتياح. كان غريبًا أن يرى الغرباء وهم يأخذون والده بعيدًا بأصفاد في يده بينما راحت "ديسا" تبكي ذهابًا وإيابًا. ندم الآن لأنه لم يتحدث إلى والده لفترة طويلة. فبدأ يبكي عندما خرجوا من نفق "هفالفوذور"، لكن الشرطية التي تقود قامت بتشغيل صفارات الإنذار للحظة لتبهجه، وقد نجحت. ضجيج مرتفع يبهج الجميع. علمت والدته ذلك، ولهذا اعتادت تشغيل موسيقى "السالسا" بأعلى صوت كلما شعر بالإحباط.

كلما اقتربوا من المدينة، زاد تطلعه لرؤية والدته. كانت لتشرح ما حدث، كما قالت الشرطية، ثم يذهبان للقيام بشيء ممتع معًا. وبما أن الشرطة قد أخذت والده بعيدًا، قد يمكث مع والدته لفترة أطول.

كان "تيدي" جالسًا على المقعد بجانبه. أخذ "توماس" يمسح بيده على فروه الناعم ويلف أحد أصابع يده الأخرى داخل عروة معطفه. بدا "تيدي" هادئًا تمامًا، لم تقلقه حتى صفارة الإنذار. لطالما استطاع الوثوق به. كان أفضل كلب يمكن تخيله. ستسعد والدته بالتأكيد برؤية كليهما.

97



استيقظت "سونيا" بابتسامة على وجهها، وعرفت "أجلا" أن هذه الابتسامة بسبب وجود ابنها معها. كان قد قبلهما في الليلة الفائتة وذهب إلى غرفته مع الكلب، وعندما قامتا تطمئنان عليه من باب الغرفة بعد ساعة، كان يغط في نوم عميق هو والكلب الذي نام عند قدميه. أدركت "أجلا" فجأة أنه يمكن أن تستمر الأشياء على هذا النحو في المستقبل، ويمكن للحياة بأكملها أن تصير مثل ذلك المساء. والآن، أصبح كل شيء أحلى مما كان عليه في الليلة السابقة، ثم مدت يدها تمسح برفق على ظهر "سونيا" المليء بالكدمات. سألتها:

- كيف تشعرين؟

فردت "سونيا" أنها بخير. ومع ذلك، ناولتها "أجلا" المسكنات من على طاولة السرير. بوجود كل هذه الكدمات العنيفة، لا شك أنها لا تزال تتألم.

ابتلعت "سونيا" الأقراص وعادت إلى النوم مجددًا بينما نهضت "أجلا". نظرت في غرفة المعيشة، حيث جلس "توماس" يشاهد التليفزيون بملابس النوم. ثم سألته إذا كان يريد القهوة، فضحك وعاد يركز في الشاشة مرة أخرى.

وقفت في المطبخ تحضر القهوة. فكرت أن عليها إحضار ماكينة إسبريسو جديدة بدلًا من تلك الماكينة البدائية التي لا جدوى منها. كان عليها شراء بعض الأشياء لهذا المكان. كثلاجة جديدة، لأنها تعبت من صرير هذا الباب.

ثم رن تليفونها الذي استعادته من مكتب "ماريا" وتأكدت من عدم مراقبته، فردت بسعادة. كان "ويليام" يتصل من باريس. قال:

- لقد تمت عملية النقل.

وعرفت "أجلا" أنه يقصد التحويل إلى حساب "آدم" في "تورتولا". كان مبلغًا كبيرًا، رغم أنهم يطلقون عليه دائمًا "الدين الصغير". قالت "أجلا":

- شكرًا.

ثم ودعها "ويليام" بفرنسية مرحة. طلبت "أجلا" بعد ذلك رقم "يوهان"، الذي أجاب على الفور.

- أيمكنك إخبار "آدم"، حين يخرج، أنني قمت بالتحويل عنه؟ أتكلم عن "الدين الصغير".

فقال "يوهان":

- أنتما الاثنان لا تتحدثان كثيرًا هذه الأيام..

قالت "أجلا":

- لا. لكن لا تقلق. قمت بتصفية نصف الديون الكبيرة وأعمل على الباقي. فقط ابقِ النائب بعيدًا عني حتى أنتهي من المهمة.

قال "جون":

- أنتِ..

وسكت قليلًا.

لم تعرف "أجلا" إذا كان سيسبها أو يهنئها، فأنهت المكالمة قبل أن تأخذ منحنى آخر. لم يبدُ أنه يعرف ماذا يقول. عليه أن يكون راضٍ أنها تعمل لتحريرهم جميعًا من الدين، لكنه مذعور على الأرجح؛ فقد سلمتهم "آدم" على طبق من فضة. أما بالنسبة لها، فقد أرادت إبقاءه في حالة من الخوف المستمر.

عندما جهزت القهوة، ملأت فنجانين، ولونتهما بالقليل من الحليب، ثم حملتهما إلى غرفة النوم. قالت "سونيا" وهي تجلس في السرير:

- وخدمة في الغرف أيضًا. ما هذه الرفاهية؟

جلست "أجلا" على حافة السرير ترتشف قهوتها، وقالت:

- بكل جدية، أي منا الرجل؟ أهذا نوع من أسرار المثليات؟ شيء تعرفينه لكن لا تريدين قوله؟

قالت "سونيا":

- سبق أن أخبرتك. أنا الرجل.

لكن "أجلا" استطاعت أن ترى من تعابير "سونيا" أنها تغيظها فقالت مترددة:

- لكن أظن أنني يمكن أن أكون الرجل.

ضحكت "سونيا"، وردت:

- وأعتقد أنني الرجل أيضًا.

ثم ارتشفت القهوة.

- أحقًا؟

- ربما كلتانا الرجل. ربما نحن الاثنتين من ذاك الجنس نفسه.

98

قلبت "سونيا" شرائح البصل في القدر. وعندما ذبلت قليلًا، أضافت الثوم والزنجبيل اللذين جهزتهما بالفعل واستمرت في التقليب برفق حتى انبعثت الرائحة إليها. أرادت فجأة تناول حساء متبلًا على الغداء، وقررت الاستسلام لرغبتها. كان الطهي دائمًا مهدئًا، وخاصة صنع الحساء. لكن أفكارها تراكمت مع المكونات التي أضافتها إلى القدر. كان كل مكان بجسدها أسود وأزرق، وآلمتها كل حركة. أعطتها "أجلا" اثنين من مسكنات الألم القوية ذلك الصباح، لذا لم تتألم كثيرًا. ما خفف الألم أيضًا هو سماع "توماس" في غرفة المعيشة، وهو يتحدث إلى نفسه ويلعب بمكعبات "الليجو" الخاصة به على الأرض. كانت تلك اللحظة هي بالضبط ما أرادته من الحياة؛ رائحة الطهي وصوت ابنها وهو يلعب بسعادة في الغرفة المجاورة.

تمنت لو يزول الخطر الذي طالما حاوطهما. لم تعرف كم سيقضي "آدم" في الحبس لأمور البنك، لكنها أملت أن يطول ذلك بقدر الإمكان. كان التوقيت مثاليًا بشكل لا يصدق. فبعدما تأكد أنها أُهلكت من الضرب، تم القبض عليه في قضية التلاعب بالسوق، المتورطة فيها "أجلا" أيضًا. في الواقع، كان مدهشًا أنه لم يتم القبض عليه في القضية من قبل، حيث تم إغلاق القضية، وفقًا لكلام "أجلا".

لكن اعتقاله الآن يناسبها تمامًا. كان هناك شيء ظريف حول الطريقة التي تتحول بها الحياة بهذه الطريقة، وقد أرادت المزيد من هذا الحظ. أضافت مسحوق الكاري وبذور البصل، وقلبت كل شيء في الزيت حتى أصبح لونه ذهبيًا وتغيرت الرائحة. كان ذراعها يؤلمها للغاية، إلا أنها كافحت لفتح علبة لبن جوز الهند؛ كان عليها أن تستخدم فتاحة العلب ببطء. نعم، كان يوم الحركات البطيئة. احتاجت أيضًا إلى وقت فراغ للتفكير، وبعناية. كانت بحاجة إلى مواجهة حقيقة وجود تهديدين. من جانب كان "آدم" وأتباعه، و"ناتي" على الجانب الآخر. كلاهما غرس مخالب عميقة بداخلها، وإن هربت من أحدهما، سيكون لديها الآخر للتعامل معه، وقد قادها ذلك إلى عرض "سيباستيان".

أضافت مكعب مرق إلى القدر وقلبته حتى ذاب في لبن جوز الهند الذي أخذ تدريجيًا لون الكاري الأصفر. أثناء البحث في الثلاجة، عثرت على جزرتين عجوزتين، فقامت بتقشيرهما وتقطيعهما إلى مكعبات صغيرة من أجل الحساء، ولكن لم تجد قطعة واحدة من البروتين في "الفريزر" غير الروبيان، وكان سيفي بالغرض.

خفَّضت الحرارة تحت القدر، فغلى ببطء ووضعت الغطاء عليه، ثم جلست على طاولة المطبخ تحدق خارج النافذة للحظة. ربما وصلت إلى النقطة التي كان من الأفضل التوقف عندها عن محاولة السباحة إلى السطح. ربما حان

الوقت للغوص في الأعماق، على أمل أن تجد شيئًا صلبًا في الأسفل يكون كموطئ قدم في القاع تدفع نفسها منه إلى الأعلى.

أمسكت تليفونها لتتصل بالرقم الذي سجلته قبل ثمانية أيام عندما كانت في المقابر في المكسيك. رن عدة مرات بمجموعة متنوعة من النغمات حيث كانت الإشارة تصل بين الشبكات، وفي النهاية، أجاب صوت "سيباستيان". قالت "سونيا":

- فكرت في الأمر كثيرًا، وأنا موافقة.

قال "سيباستيان":

- سأرسل لك المساعدة. ليكن الرب معك.

كانت هناك علبة بها ثلاث بيضات في الثلاجة وقد مر تاريخ صلاحيتها، لكن الجميع يعلم أنه يمكن الاحتفاظ بالبيض لفترة طويلة بعد التاريخ المدون على العلبة، لذلك قامت بكسر الثلاثة على الحساء بعناية.





شعرت "ماريا" بحماسة مفرطة مع بدء دوامها ذلك الصباح. بدأته بكوبين من القهوة بينما انتظرت إحضار "آدم" من الحبس الاحتياطي للمقابلة الأولى، والتي كانت، كعادة هذه اللقاءات، صعبة وقصيرة. كان "آدم" غاضبًا ومرتبكًا، وقد وجد المحامي الخاص به صعوبة في شرح الموقف له، لذا لم يكن هناك جدوى من التعمق في أي شيء. بعد أربع وعشرين ساعة في زنزانة بسجن

"سكولافورذوستيجور" القديم في وسط المدينة، سيهدأ قليلًا، وسيكون أكثر هدوءًا بعد ثماني وأربعين ساعة. لم يكن هناك أي سبب لاحتجازه على ذمة التحقيق، حيث كانت جميع القضايا بحوزة النائب العام. وبابتعاده عن الساحة، لم يكن هناك ما يمكنه فعله لإلحاق الضرر بقضيتهم. ورغم ذلك، لم يضر حبس البعض من ذوي البدلات لبضعة أيام كافية لتلقينهم درسًا لترك الغطرسة، ونتيجته المعتادة، حرصهم على قضاء أطول فترة ممكنة في مقابلاتهم، فقط للحصول على بعض الصحبة. وكان ذلك مناسبًا، فالهدف هو حثهم على الحديث. وباعتبارها قد حصلت على أمر اعتقال في قضية "آدم"، من الأحرى أن تستفيد منها على أكمل وجه.

والآن جلست تنتظر عودة النائب العام من غدائه. كان هذا أول يوم له في العمل بعد الإجازة، وكان محاصرًا منذ اللحظة التي مر فيها عبر الباب. عامةً، لم يعتد الابتعاد عن مكتبه للأكل. لذا كان سيعود قبل الواحدة. كانت قد أعدت له جميع الوثائق تتطلع إلى سماع رأيه فيما قد تكون الخطوة التالية. قامت بذلك بالضغط على زر الكابتشينو في ماكينة القهوة. يمكنها الإثارة بعد كل هذا الكافيين، لكن لا بأس، فهذا يوم للعمل، وليس للجلوس بالمكتب. قال النائب العام عند دخوله:

- أردتِ التحدث إليَّ؟

وتبعته "ماريا" إلى مكتبه. أخذت المستند الأول، بيان البنك المركزي، من الكومة التي تحملها، ووضعته على المكتب أمامه، مشيرة بإصبعها إلى المعاملة التي كانت قد علَّمتها بالفعل. وقالت:

- يمكنك أن ترى هنا المبلغ الضخم المحول من المصهر إلى الشركة الأم في الخارج. الدفعة مسجلة بسجل الصرف الأجنبي كدفعة لتكاليف قرض لمشروع الصغير.

- حقًا؟

وارتدى النائب العام نظارة القراءة.

- هذه الدفعة جديدة، ولكن يشار إليها من الآن أنها ربع سنوية.

وهمهم النائب العام في نفسه وهو يحدق في البيان.

وتابعت "ماريا":

- هذه دفعة كبيرة جدًا لدرجة أنه خلال العام، سيُظهر المصهر خسارة طالما يتم دفعها، وطبقًا للاتفاقية مع الدولة الآيسلندية، لا يدفعون ضرائب أثناء سداد تكاليف المشاريع الصغيرة.

أومأ النائب العام برأسه، وقال:

- لطالما لعبت شركات المصهر هذه الألعاب. "رفع قيمة البضائع المتنقلة" هو ما كان يُطلق عليه قديمًا، عندما باعت الشركات الأم المواد الخام إلى المصهر بأسعار فلكية حتى يتمكنوا من خلق تكاليف أعلى وفقد أي مكاسب هنا.

قالت "ماريا":

- هذا صحيح. لكن هذا دين جديد تمامًا، ولم يتم البدء في أي استثمار من المصهر لمشروع جديد من شأنه تبرير هذه الأرقام، لقد تحققت بالفعل.



100



لم تلبث أن غادرت "ماريا" محكمة المقاطعة حين رن تليفونها في جيبها. كانت قد أحكمت غلق معطفها في وجه البرد القارس، بعيدًا عن ضوء الشمس في أوائل صيف ريكيافيك. لم ترد على المكالمة، وذهبت إلى الساعة في منتصف الساحة للتدفئة من ضوء الشمس. كانت قد تمشت من المكتب حتى المحكمة لاستغلال الوقت في التفكير والتخلص من انزعاجها بعد محادثتها مع النائب العام. لم تستطع فهم الأمر، فقد عملت مع "فينور" منذ يومها الأول في مكتب النائب العام، وهي تعلم دائمًا أن أساليبه لم تكن كلها علنية. ولكن الآن، عندما اتصل النائب العام بـ"فينور"، ووضع التليفون على مكبر الصوت ليتمكن كلاهما من التحدث معه، تظاهر بعدم معرفته بالموضوع؛ وكذلك النائب العام. ومع ذلك، في البداية، أخبرها "فينور" أن هذا كان بعلم النائب العام.

أم لم يكن؟

فجأة شعرت "ماريا" بالقلق عندما أدركت أن ما تتذكره من محادثة "فينور" لم يكن واضحًا تمامًا. كانت متأكدة من أنه قال نحن. "لا يمكننا تبرير الطريقة التي تلقينا بها هذه التسجيلات"، وما إلى ذلك. افترضت "أننا" تعني هو والنائب العام. والآن، يبدو من المحتمل أن "فينور" لم يصرح قط بوضوح أن هذا التحقيق الغريب، غير العادي يتم تنفيذه بمعرفة رؤسائهم.

رن تليفونها مرة أخرى في جيبها، وسمعت صوت "فينور" الرخيم بمجرد أن أجابت:

- هل تقدمت للتو للحصول على أمر قضائي لمراقبة تليفون "إنجيمار ماجنسون"؟

استندت على الجانب المشمس من برج الساعة. كانت هناك الكثير من الأسئلة التي تريد طرحها عليه. قالت:

- جيد أنك اتصلت يا "فينور". هناك الكثير الذي نحتاج إلى مناقشته. ونعم، لقد غادرت للتو محكمة المقاطعة. قررت أن أتصرف بمفردي في هذه القضية، بعد خيانتك لي الآن، فقط من خلال التظاهر بعدم معرفة أي شيء عنها.

قال بصوت منخفض يكاد يكون همسًا:

- أرجوكِ أخبريني أنك تمزحين.

- أعلم أننا لا نحصل على الكثير من خلال مراقبة خط أرضي بشكل عام، ولكن..

قاطعها "فينور" بصوت يرتجف:

- لا تتقدمي بطلب للحصول على أمر قضائي لمراقبة مكالمات "إنجيمار". لا تفعلي ذلك. عودي واسحبي الطلب الآن قبل أن ينهار كل شيء! تبًا، تبًا، تبًا!

وأنهى المكالمة.



101



استقبلتهم أشعة شمس الصيف المشرقة حين خرجوا بدراجاتهم من الباب الخلفي. بدا "توماس" رائعًا في خوذته التي تبدو على شكل فطر. لم تستطع "سونيا" التوقف عن الابتسام بسببها. لطالما أحبت هذا الوقت من العام؛ بما فيه من أمسيات ساكنة، وبهجة منتصف الليل، ورائحة العشب التي انتشرت في الهواء. كان جسدها كله يؤلمها من الضرب، لكنه لن يمنعها من القيام بنزهة بالدراجة.

وقفت "أجلا" أمام الموقد تُحَضِّر العشاء. قالت إنها بحاجة إلى ساعة من الهدوء لإنهاء الطهي، مع أن "سونيا" أخبرتها أنها لا تزال ممتلئة بعد حساء الغداء، وسيفضل "توماس" القليل من المكرونة وصلصة الطماطم، عن أي شيء أكثر تعقيدًا. لكن "أجلا" أصرت. لذلك، قرروا الخروج والتنزه بالدراجات.

قام "توماس" ببعض الاهتزاز قبل أن يسيطر على المقود ليحفظ توازنه. وقادت "سونيا" دراجتها خلفه حول زاوية المبنى، حيث وقفت سيارة چيب سوداء ضخمة بنوافذ قاتمة.

ظهر منها "ريكي السبونج"، كأنه سائق سيارة أجرة وهو يفتح الباب الخلفي قائلًا:

- أتريد توصيلة؟

فصرخ "توماس" بسعادة وهو يلقي دراجته ويركض إلى "ريكي" ليلقي بذراعيه حوله:

- "سبونج"!

شعرت "سونيا" فجأة بغثيان قوي، لدرجة أنها كادت تفقد الوعي، فقد استفزتها رؤية هذا الرجل وهو يرفع ابنها ويدور به. وكان "توماس" قد بدأ التسلق بالفعل على مقعد السيارة الخلفي.

فصرخت في "ريكي"، بصوت عالٍ بما يكفي ليسمعها دون أن تقترب منه، لكن بعيدًا عن مسامع "توماس":

- لن أركب سيارةً معك، أيها الوغد. "توماس"، نحن في نزهة بالدراجات، أليس كذلك؟ هيا.

نادت عليه، وأطل "توماس" برأسه من السيارة وعيناه تتحولان في ارتباك بينها وبين "ريكي".

قال "ريكي"، وهو يشير لها أن تجلس في المقعد الخلفي:

- أنتِ ذاهبة إلى اجتماع.

وهزت "سونيا" رأسها بالنفي.

فقال "ريكي" وحدق بها:

- يرسل "سيباستيان" تحياته.

- "سيباستيان"؟

وقفت "سونيا" لحظة وحدقت في "ريكي" بدهشة وقالت:

- "سيبستيان" أرسلك؟

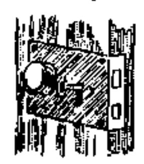
- "سيباستيان" يرسل تحياته.

كرر "ريكي"، ثم نظر إلى "توماس" قائلًا:

- أما نحن، فسنأكل الآيس كريم، بينما تحضر والدتك اجتماعًا.

صاح "توماس" بحماس بنوع الآيس كريم الذي يحبه؛ بالشوكولاتة والفانيليا، بينما جلست "سونيا" بجانبه.

102



"هوني ثور جونارسون"، هكذا حُفِر على اللوحة المذهبة على صندوق البريد. قرأتها "سونيا" مرتين لتتأكد من أنها لم تخطئ، وتوقفت على الدرج بينما ترددت في طرق الباب. أعطتها اللوحة اللامعة وأواني الزهور المنقوشة على السلم والستائر الشبكية في النوافذ انطباعًا غريبًا بأن سيدة مسنة هي التي تسكن هذا المنزل، وليس الرجل الذي تشير إليه الصحافة كنجم سياسي. لم يكن لديها أي فكرة عما قد يريده "هوني ثور" منها، أو عن علاقته بـ"سيباستيان". كان "هوني" مع "آدم" في المدرسة، وقد التقيا عدة مرات في الحفلات والتجمعات، لكن من الواضح أنها لم يكن لها تأثير كبير عليه لأنه لم يتعرف عليها عندما التقيا خارج مكتب "ثورجير" ذات مرة.

انقبض قلب "سونيا" عند ذكر الاسم: "ثورجير". لا بد أن يكون "ثورجير" هو الرابط. سبق أن سألته عن معرفته بـ"هوني ثور"، وأجابها أنه مسؤول الشئون المالية لحملته الانتخابية. لكن ربما تكون علاقتهما أعمق من ذلك. أيمكن أن يكون "هوني ثور" هو الرابط بينهم جميعًا؟

طرقت "سونيا" برفق، ثم انتبهت لوجود جرس، فرنته أيضًا. فسمعت صدى من النغمات الموسيقية داخل المنزل، كأنها قادمة من أجراس كنيسة بعيدة. وظلت تتردد حتى ظهر "هوني ثور" عند الباب:

- مرحبًا. ادخلي.

كانت تحية طبيعية، لكن غير رسمية. كأنهم مجرد معارف، لا أصدقاء مقربين. تبعته عبر المدخل وتساءلت إذا ينبغي أن تخلع حذاءها، لكنها قررت ألا تفعل لأنه كان نظيفًا وجافًا، وأيضًا أرادت أن تكون جاهزة للمغادرة بسرعة إذا حدث شيء واضطرها الأمر. فبرغم تعرض جسدها للضرب والكدمات، كانت لا تزال مستعدة.

قال "هوني ثور" بمجرد أن وصلا إلى غرفة المعيشة:

- أخبرني "سيباستيان" أنك مستعدة.

فحصت "سونيا" الغرفة بعينيها بسرعة، ولم تصدق تنوع أثاثها. اصطدمت عيناها بأريكة جلدية بنية اللون، بدت فخمة وجديدة. لكنها لم تتوافق مع طاولة القهوة العتيقة المُطَعمة بالأبيض والذهبي، ثم رأت ثلاجة "وستنج هاوس" بالأحمر الساطع بأحد طرفي الغرفة تناقض كل شيء آخر. بدا "هوني ثور" من النوع الذي يريد كل شيء حوله بسيطًا. كان رجلًا نحيلًا بشعر قصير ولحية قصيرة أنيقة، ويرتدي بدلة تبدو من أغلى الأنواع. سألته "سونيا" بدهشة:

- ماذا بينك وبين "سيباستيان" بحق الجحيم؟

وقف "هوني ثور" بصمت ونظر إليها، كأنه يحاول التحقق من معرفتها أكثر مما يجب، ثم ذهب إلى الثلاجة الحمراء، وأخرج زجاجتين من البيرة وأعطاها

واحدة. أخذتها "سونيا" وهي تفكر أن عليها شرب المزيد. بدا الجميع يريدون منها أن تشرب هذه الأيام. تحدث بصوت منخفض، ولكن بكلماتٍ ثِقال:

- كلما عرفتي أقل، كان أفضل.

فشعرت "سونيا" بتقلصات معدتها بينما تابع:

- كل ما تحتاجين معرفته هو أنه إذا قمت بذلك، سنكون خلفك تمامًا.

سألت بهدوء:

- ومن تكونون؟

عاد إليها رفيقها الدائم؛ الخوف. وعاد بقوة لدرجة سيطرت على صوتها الذي تحول لهمس. كانت روح خائفة في جسد تائه؛ هكذا كانت في تلك اللحظة. ورغم معاناتها، واصلت خنقها الشبكة الممسكة بها.

قال "هوني ثور":

- "سيباستيان" في أمريكا وأنا في أوروبا.

ورفع زجاجته ليشرب. رفعت "سونيا" زجاجتها أيضًا حتى شفتيها، لكنها لم تشرب منها، وقالت:

- قال "سيباستيان" إنني إذا فعلت ذلك، فسأكون حرة.. تمامًا.

واستطاعت "سونيا" استشعار الشك في حديثها.

- تسببت لنا ألاعيبكِ في الكثير من المتاعب، لدرجة أنني شخصيًا سأكون سعيدًا أن أنفصل عنكِ. ذكر "آدم" أن صديقك في الجمارك هو من أوقع برجاله

في "كيفلافيك". ولم تكتفِ بذلك، بل جعلتِ صديقتك تحبس "آدم". لكن عليَّ الاعتراف، أنت ماكرة.

فكرت "سونيا" في السؤال الذي تبدأ به؛ ما دور "هوني ثور" الحقيقي في كل هذا؟ وما قصده بأن "أجلا" هي السبب في القبض على "آدم"؟ وكيف عرفوا بأمر "براجي"؟

ثم سألت:

- أيمكنك أن تضمن أن يتركني "آدم" بسلام؟ والتأكد من أنه سيسمح لي بحضانة "توماس"؟

كان ذلك هو السؤال الأكثر إلحاحًا؛ سلامة "توماس"، وسلامتها.

قال "هوني ثور" وهو ينهي زجاجته:

- لا مشكلة. فقط أخبرينا إذا احتجتِ أي شيء آخر.

شعرت "سونيا" بالإغماء وخارت ركبتاها، فجلست على الأريكة الجلدية. قد يكون هذا هو الحل. فإن كان هذا الرجل يتمتع حقًا بالسلطة التي يزعمها ويمكنه تنفيذ وعوده، قد يملك الحل لجميع مشكلاتها. أما بشأن حصولها على حريتها، كان هذا أمرًا يخصها وحدها، وكانت تلك فكرة مرعبة.

فسألته:

- لماذا تعتقد أنني قادرة على القيام بذلك؟

كان السؤال لنفسها بقدر ما هو لـ"هوني ثور"، فأجاب:

- لصلابتك. أعلم أنك من قتل السيد "خوسيه". شاهدت الفيديو. لا يبدو أنك تخافين من أي شيء.

"لو كنت تعرف فقط".. فكرت "سونيا" وهي تحاول منع نفسها من الارتجاف بينما ظهرت أمام عينيها صورة السيد "خوسيه" في بركة الدماء واسترجعت صوت الوحش الجائع يزأر في الطابق السفلي.

- لم أكن أقتله في الفيديو، بل كنت أساعد "ناتي" في إخفاء الجريمة بعد أن قتله شخص آخر.

- هذا ما قلتِه.

علق "هوني ثور" بابتسامة خبيثة ثم غمز لها.

103



شعر "توماس" بتوهج وجنتيه حين قرصتهما جارتهما وأخبرته كم هو طفل لطيف. كان هو ووالدته قد طرقا بابها لترى "تيدي"، وللتأكد من أنه ليس لديها مانع من أنهما يحتفظان به. قالت والدته هذه قاعدة؛ يجب استئذان الجيران أولًا إذا أرادوا الاحتفاظ بحيوان في المبنى، فقالت الجارة لوالدته:

- أخبريني عن الأمر.

- أصبح هذان الوحشان جزءًا من العائلة.

ود "توماس" المشاركة في الحديث. أراد أن يضيف أنه يعتبر "تيدي" شقيقه حتى لا ترفض وجوده، لكنه لم يضطر لقول أي شيء. سبقته مُرحبة:

- سيسرني وجوده بالطبع.

بدت له امرأة لطيفة، فلطالما امتدحت "توماس" كلما التقيا على الدرج، وأحيانًا أثناء إقامته، كانت تطرق الباب لمشاركة ما تخبزه معهما. ابتسم لها "توماس" وشكرتها والدته، وبدا أن "تيدي" يبتسم أيضًا، عندما تدلى لسانه خارج فمه. كان كلبًا مطيعًا لدرجة أنه بدا في بعض الأوقات كاللعبة عندما جلس بهدوء كلما طُلِب منه.

- أهو معك بشكل دائم الآن؟

همست الجارة لوالدته، وعرف "توماس" أنه لم يكن من المفترض أن يسمع لأنهما كانتا تتحدثان عنه وليس عن الكلب.

فقالت والدته بصوت منخفض:

- يبدو ذلك، فزوجي السابق قيد الحبس الآن.

لم تكن هناك حاجة للهمس، فقد عرف "توماس" كل شيء عن الأمر. أوضحت والدته أن والده قد أفسد بعض الأشياء في البنك، لذا ستكون الأمور صعبة لبعض الوقت.

قالت الجارة:

- لا شك في ذلك، فدائمًا ما يخفق أمثاله من الرجال. حدثني عما حدث.

لم يعرف "توماس" عما كان يفترض به أن يحدثها به، لكنه يدرك تمامًا أن والده قد خرج من هذا الوضع بشكل سيئ. لم يكن جيدًا أن ينتهي بوالده الأمر

في السجن. شعر بتعاطف كبير عندما فكر في أن والده محبوس في غرفة صغيرة بقضبان على نوافذها. لكنه فعل مثلما وصته والدته حين يشعر بالحزن: "فكر بسرعة في شيء آخر". وكان من الأفضل عدم التفكير كثيرًا في الأمر. فضل التفكير في "تيدي"، الذي كان يهرول الآن على الدرج صعودًا إلى شقة الجيران التالية. كان "توماس" سعيدًا جدًا لوجوده في ذلك المكان مع كلبه ووالدته.

104



صعدت "ماريا" الدرج إلى منزل "فينور". حاولت الاتصال به عدة مرات، بعدما تملكتها الحيرة داخل المحكمة المحلية لسحب المذكرة التي تقدمت بها لمراقبة مكالمات "إنجيمار"، لكنه لم يرد. سبق أن قامت من مقعدها أمام التليفزيون عدة مرات في الليلة السابقة لمحاولة الاتصال به، ولكن دون جدوى. والحل الوحيد لمحاولة نسيان ذلك اليوم السيئ كان محاولة النوم بجانب "ماجي". كان الأسوأ بين كل الأيام، ولم يبدأ اليوم بشكل جيد أيضًا، فلم يحضر "فينور" إلى العمل، وقد نظر إليها النائب العام بغرابة عندما ذهبت إليه في ذلك الصباح تسأله مرارًا إذا كان متأكدًا أنه لا يتذكر مناقشة تحقيقها مع "فينور"، وسألها:

- هل أنت بخير يا "ماريا"؟

لكنها لم ترد. لم تعرف إذا كان كل شيء على ما يرام أم لا.

لم تنتظر حتى يفتح "فينور" الباب، فأمسكت بالمقبض وفتحت الباب في منتصف الطريق، فنادت:

- مرحبًا؟

وفي اللحظة نفسها، ظهر "فينور" في الردهة. يرتدي معطفًا ووشاحًا حول رقبته، وحذاءً رياضيًا أبيض على بدلته، مما جعل شكله غريبًا. ورأت حقيبة سفر بجانب الباب.

سألت "ماريا"، مطمئنة من أنه قد يكون هناك تفسير لعدم رده على مكالماتها:

- أكنتِ بالخارج؟

فأجاب "فينور":

- لا، أنا ذاهب إلى الخارج. لاستراحة مطولة، مطولة كثيرًا.

قالت "ماريا":

- نحن بحاجة إلى التحدث.

تضايق "فينور" وقال:

- لا. ما لا نحتاج إليه هو التحدث. وفي الواقع، وجودك هنا الآن ثقيل للغاية.

نظرت "ماريا" إليه بتعالٍ. لم تظهر عليه أي علامات للانزعاج، أو أنه يقوم بخدعة ما. كل ما لاحظته عليه هو الرعب، فسألته:

- ماذا يحدث؟

أجابها:

- لا شيء.

وانتزع مفاتيح السيارة من خطاف بجانب الباب، فدخلت "ماريا" وأغلقت الباب خلفها، ثم قالت:

- أشعر أن لديَّ الحق في معرفة ما يجري.

تنهد "فينور" بعمق، وفك الوشاح من حول رقبته، وقال:

- اعتقدت أنه كان واضحًا أن الأمر بيني وبينك فقط، وأنك لن تناقشيه مع أي شخص سواي. ومن ثم، تقحمين النائب العام في الأمر، ثم تذهبين إلى المحكمة المحلية لتقديم مذكرة مراقبة؟

فردت "ماريا" بإصرار:

- ما فهمته هو أنك منحتني هذه المهمة لتوصيلها إلى تحقيق رسمي، وكانت تلك خطوتي التالية.

قال "فينور":

- أولئك الذين يعملون مثلنا في التحقيقات الجنائية يبدؤون بالشكوك أو الأدلة، ثم يكملون من هناك. ويكون الهدف دائمًا هو تأكيد تلك الشكوك أو دحضها. نعترف جميعًا بأننا في معظم الأوقات نريد أن تؤكد التحقيقات ما نشتبه فيه. فهذا ما يجعل الأمر ممتعًا، ويحثنا على المُضي. إنه القوة الدافعة وراء ما نقوم به. لكن أحيانًا، يا عزيزتي "ماريا"، يكون الأمر سيئًا للغاية حين يتضح صحة ما نشتبه فيه، وهذه واحدة من تلك الأحيان.

- أنا لا أفهم ما كل هذا، يا "فينور".

حاولت "ماريا" جاهدةً السيطرة على نبرة صوتها، ومنعه من الارتفاع أو الانهيار تحت الضغط.

- لماذا إذًا كلفتني بهذه المهمة إن لم يكن هذا شيئًا من المفترض التحقيق فيه؟

- لأنك طالما تمنيت الإمساك بشيء موثوق منه لا محالة، لا تشوبه شائبة. لكن هذا يجب أن يتم سرًا، دون اكتشاف أحد، لأن الوحيدين الذين يمكنك الإشارة إليهم بإصبع الاتهام في هذا البلد هم الفاشلون والمحتالون المعتادون. أما المجرمون الحقيقيون، الرؤوس الكبيرة، فهم محميون، وهذا شيء يجب أن تكوني قد بدأتِ في اكتشافه.

حمل "فينور" حقيبته ومر من أمام "ماريا" وفتح الباب، فخرجت "ماريا" و"فينور" خلفها، ثم أغلق الباب حتى تأكد من صوت القفل وأسرع أسفل الدرج، فصاحت خلفه قائلة:

- من هو "إنجيمار ماجنسون"، وماذا يخطط أن يفعل؟

استدار "فينور" وأشار لها بإصبعه كمعلم صارم:

- عليكِ نسيان كل هذا والاهتمام بشيء آخر. انسِ كل شيء، في الحال.

105

جلست "أجلا" في مطعم بالقرب من شاطئ "نوثولسفيك" الحراري وطلبت الأكل وبدأت في تناول سلطة الدجاج عندما وصلت "ماريا" متأخرة قليلًا عن موعدها. قالت بفظاظة حين كادت "أجلا" تعطيها قائمة الطعام عندما جلست:

- لا. لست هنا لتناول الطعام معك.

- حقًا؟

مسحت "أجلا" فمها بمنديل وحدقت بـ"ماريا". لم تكن أنيقة ونظيفة كالعادة. كانت سترتها مجعدة، وشعرها مربوطًا دون ترتيب، ولم تضع أي نوع من المكياج. قالت "ماريا" بصوت خافت وهي غاضبة جدًا، لدرجة أنها لم تستطع التقاط أنفاسها:

- أنتِ أسوأ مصرفية.

فوضعت "أجلا" شوكتها ورشفت الماء من كأسها وهي تقول بهدوء:

- أهذا جديد؟ أتذكر سماعها منك من قبل، عندما استجوبتني.

قالت "ماريا":

- وجدت إجابة على السؤال الذي أطرحه منذ فترة طويلة؛ من أين أتت الأموال منذ البداية.

التقطت "أجلا" شوكتها مجددًا، ووضعتها في السلطة ثم أكلت. فضلت المضغ بينما تتحدث "ماريا"، لكي تمتنع من قول أي شيء.

تابعت "ماريا":

- لقد كونت نظرية حول الأمر، وهي أنك، والرئيس التنفيذي؛ "يوهان"، و"آدم"، تتآمرون لإيجاد طريقة لإرسال الأموال إلى خارج البلاد لشركة ألومينيوم معينة، حتى تتمكنوا من إرسال الأرباح إلى الخارج والتهرب من دفع الضرائب في آيسلندا.

"وللحصول على تكاليف طاقة أقل"، فكرت "أجلا" أثناء تناول ملعقة أخرى.

كان خفض أسعار الطاقة جزءًا من العقد المبرم مع الحكومة، طالما أن المصهر كان يعمل بخسارة. لكن لم تكن "ماريا" تعلم ذلك بالطبع، لسرية العقود.

- لذا أعتقد أن ثلاثتكم، كبار البنك، تتآمرون لأخذ كومة النقود السرية للمصهر وإرسالها إلى جميع أنحاء العالم، ثم السماح لها بالظهور مرة أخرى هنا كاستثمار أجنبي في البنك، مما سيرفع سعر السهم.

فكرت "أجلا" وهي تمضغ: "صحيح جدًا، عدا أننا لم نأخذ الأموال. لقد اقترضناها، بإذن من إنجيمار". لكنها لم تقل شيئًا بصوت عالٍ.

قالت "ماريا" بابتسامة ساخرة، أو ربما كان من المفترض أن تكون:

- ثم انهار كل شيء واختفى المال. وهذا جعل من "إنجيمار"؛ ملك الألومينيوم، رجلاً غير سعيد.

"أنتِ أذكى مما كنت أظن"، هكذا فكرت "أجلا" وهي تأكل ملعقة أخرى وتمضغها ببطء أثناء انتظار "ماريا" للمتابعة.

- ولكن الآن، بعد الانهيار المالي، ودون وجود أي وسيلة لغسل الأموال خارج البلاد بالطرق المعتادة كما فعلتِ من قبل، قدمت معروفًا لـ"إنجيمار" باختراع دين لقرض لم يتم أخذه مطلقًا.

شَرَقت "أجلا"، فسعلت وشربت بعض الماء. لم تشك أن "ماريا" قد تقرأ تفكيرها لهذه الدرجة، فاعتذرت قائلة:

- الفلفل، علق في حلقي.

لكن "ماريا" تهكمت بسخرية، وتابعت:

- والآن تذهب جميع أرباح المصهر مباشرة إلى خزائن الشركة الأم في الخارج، وهذه الشركة العملاقة لا تدفع أي ضرائب في آيسلندا، لأن مصهرنا الصغير اللطيف الذي يلتهم تقريبًا كل حصة تصديرات البلد يتم تشغيله بخسارة مصطنعة. يجب أن تكوني فخورة بنفسك يا "أجلا". أنتِ حقًا كنز وطني.

وقفت "ماريا" وكانت على وشك المغادرة عندما اشتبكت قدمها بالكرسي، فوقع على الأرض. كان هناك لحظة من الصمت حيث توقف زبائن المطعم عن الكلام وأخذوا ينظرون إليها، فانحنت "ماريا" وعدلت من وضع الكرسي ثم خرجت. شعرت "أجلا" بالأسف عليها؛ فبعد أن وضعت كل أوراقها على الطاولة، لم تكن بينهما ورقة رابحة. لم تملك دليلًا ولا شهود ولا قضية للتحقيق.

جمعت "أجلا" ما تبقى من طبقها وأكلته، ثم شعرت بتوهج خديها. أصبح شعور الخزي دائمًا ما يظهر كطفح جلدي على خد واحد، وكأنها قد صفعت للتو. لكنها تخلصت من ذلك الشعور. لم يكن هناك سبب للخجل. كانت هذه هي الطريقة التي تتم بها الأعمال هذه الأيام، وقد كافح الكثير من المُنَظِّرين لفهمها. كانت البلاد مفتوحة على مصراعيها، وجميع مواردها معروضة للبيع بأسعار زهيدة. وإذا لم تستغل الموقف، لفَعَل شخص آخر. هذه هي الطريقة التي تعاملت بها مع الحياة. لم يكن هناك سبب للندم، فما تفعله يقوم به الآخرون.

إن كانت "ماريا" قد علمت بأنهم مدينون لمؤسسة إجرامية مسنودة ببضع مئات الملايين بعد الانهيار المالي مباشرة، وأنها سددت الدين بالأمس فقط عبر حساب "آدم" في "تورتولا"، ربما إذن، كانت لتخجل من نفسها.



106



بناء على طلب "سونيا"، تقابلا في مكتبة المدينة. لم ترد أن يأتي إلى منزلها في وجود "توماس". والآن بعد أن رأته، عرفت أنها قد فعلت الصواب. كان قد وصل مباشرة من السجن، بسروال رياضي مجعد، وشعر أشعث، ولحية حديثة. لم يكن الرجل الذي عرفته. حتى إنه كان ينحني أثناء سيره إلى حيث جلست في غرفة القراءة بالمكتبة بجانب الباب الرئيسي.

سألها وهو جالس أمامها:

- هل أحضرتِ الأوراق؟

أومأت برأسها، وناولته الملفات ومعها قلم، فنظر إليها، وأمسك القلم ووقع عليها. ثم سأل:

- هل ستكون هناك عطلة نهاية أسبوع للوالد؟

أومأت "سونيا" مرة أخرى:

- بالطبع ستكون هناك عطلة نهاية الأسبوع للوالد. أنا لست بغبائك.

ندمت على قسوتها في اللحظة التي نطقت فيها الكلمات. وعلى غير العادة، لم يكن هناك رد صاخب من "آدم". فقط همهم بهدوء، كأنه يوافقها.

- ربما يمكننا أن نبدأ بعد شهر أو نحو ذلك، بعد الانتهاء من الإجراءات وكل تلك الأشياء، عندها لا أظن أن يتم حبسي مرة أخرى.

قالت "سونيا":

- حسنًا. سأخبر "توماس".

سألها "آدم" وقد نظر لها في عينيها لأول مرة:

- كيف شرحتِ له الأمر؟

- أخبرته أنك ارتكبت خطأً في البنك.

بدا "آدم" مرتاحًا ومتعجبًا وهو يسأل:

- خطأ؟

ربما توقع منها أن تخبر "توماس" بالأهوال عنه، لكن لم يخطر ذلك ببالها. فبينما كان "توماس" غاضبًا من والده، لم ترغب في زيادة ذلك الغضب، لأن هذا لن يؤثر إلا في نفسية "توماس" أكثر. قالت "سونيا":

- هذا صحيح. خطأ.

وتوقع شيء ما بداخلها أن يشكرها. لكنه سرعان ما حول عبوسه لابتسامة مزعجة، وسأل:

- كيف الحال مع الكلب؟

لم تستطع "سونيا" أن ترد الابتسامة. أجابت:

- لا ضرر من وجود كلب مدرب في المكان.

لأنه إذا سار كل شيء كما خططت، لن يحتاجوا إلى مواهب الكلب؛ وسيكون "تيدي" مجرد حيوان أليف، وإذا نجحت الخطط وقابلت توقعات "سيباستيان"

و"هوني ثور"، لن يكون هناك المزيد من أعمال الكوكايين أو أي شيء له علاقة به في منزلها.

استعادت "سونيا" الأوراق ووقفت، ثم قالت:

- وداعًا يا "آدم".

فأجابها:

- وداعًا.

شعرت لأول مرة بحقيقة هذا الوداع، وأنه بمجرد خروجها من هذا المكان، سيصبح "آدم" جزءًا من ماضيها.

عندما خرجت إلى الشارع، اتصلت بـ"ثورجير" وسمعت صوته النعس. فتصورت أنه لا يزال يرتدي رداء النوم نفسه الخاص به. فسألته:

- هل يمكنك أن تحضر لي بعضًا من مخدِّر "الروبينول"؟

ثم كرَّرت السؤال حين بدا متحيرًا.

- أريد جرعة من "الروبينول" تكفي لتخدير فيل، أيمكنك إحضارها ووضعها في صندوق البريد الخاص بي؟

قال "ثورجير":

- نعم، لا مشكلة. متى تحتاجينها؟

أجابت "سونيا":

- في أقرب وقت ممكن.

قال:

- لم أظن أنكن أيها المثليات تعلمن بهذا النوع من الأشياء.

وأقفل الخط.

107



لم يبدُ لـ"صوت الحقيقة" أثر في أي مكان. كان هناك رجلان عريضان ببدلات زرقاء وأقنعة غبار، يفرغان كل شيء من شقته في "جريتيسجاتا". اقتربت "ماريا" من المدخل، لكن ليس كثيرًا، لأن الرائحة الكريهة التي كانت بالداخل في السابق قد تفاقمت حول الباب، حيث انتقلت الأشياء إلى الخارج.

سألت أحد الرجال بالزي الأزرق:

- هل "مارتين" موجود هنا؟

وضع الكيس الأسود من يديه ورفع القناع عن وجهه وأجاب:

- لا. لقد نُقل مجددًا إلى قسم الأمراض النفسية. لذا ننتهز الفرصة للتخلص من كل هذا الهراء.

صُدمت "ماريا". سبق أن أخبرها أنه إذا تم حبسه في قسم الأمراض النفسية مرة أخرى، فسيكون ذلك بسببها. لكنها بالكاد شعرت بالذنب. بالنظر إلى القمامة التي يتم إخراجها، كان الرجل مجنونًا تمامًا.

- هل يوجد أحد من أقاربه أو أصدقائه هنا؟

- نحن فقط مُكَلَّفان. لكن يمكنني الاتصال بمكتب المدينة نيابة عنكِ لمحاولة الوصول لأحد من أقربائه، إذا كان الأمر مهمًا.

قالت "ماريا":

- لا. كنت سأعيد له شيئًا ما استعرته من قبل.

وأظهرت الملف الخاص بمعلومات المصهر، فقال الرجل:

- فقط يمكنك وضعه في هذه السلة. نتخلص بداخلها من كل شيء.

- كل شيء؟

- نعم. يوجد عفن ينمو داخل كل شيء والحشرات في كل مكان، أو هكذا قيل لي. يحتاج المكان بأكمله إلى التعقيم. وقد كُلفنا بالتخلص من كل شيء، للسلامة البيئية.

قالت "ماريا" وهي تبتسم:

- أتفهم ذلك.

أومأ لها الرجل وأنزل قناعه مرة أخرى قبل العودة لاستكمال مهمته. وقفت في حيرة على الرصيف، لا تعرف إذا كان عليها أخذ الملف معها أم لا، عندما رن تليفونها. ردت:

- مرحبًا.

أجاب النائب العام:

- مرحبًا.

ثم سعل قبل أن يتابع:

- يبدو أن كل شيء قد انتهى، لكن بمأزق.

بدا غير مرتاح، وكادت "ماريا" تخيله، يسير ذهابًا وإيابًا كما يفعل دائمًا حين يحتاج إلى التركيز.

- كل ماذا؟

- دعينا لا نراوغ يا "ماريا". تعرفين ما أتحدث عنه، بشأن مهمتك الخاصة.

قالت "ماريا":

- لم يكن هناك شيء خاص حول الأمر. كنت أقوم بمهمة طبيعية، وهو أمر طلب مني "فينور" العمل عليه، وعلى حسب ما فهمت، كان ذلك بعلمك.

لم تذكر شيئًا عن شكوكها التي راودتها حول الأمر. لطالما كانت قلقة طوال الوقت، لكنها قمعت ذلك الشعور لأنها أرادت المهمة. استسلمت للشخصية الجامحة بداخلها التي دائمًا ما حاربت لترويضها، وسمحت لنفسها القديمة بالسيطرة.

- هذا مبرر سخيف، ولن نتطرق لأكثر من هذا. أنا أتصل فقط لأخبرك أنك في إجازة طويلة.

- إجازة؟

- نعم. بأجر كامل، بالطبع.

- إلى متى؟

- حسنًا، لنفترض أنها لأجل غير مسمى. وسيتولى آخرون قضية التهرب الضريبي التي كنتِ تعملين عليها، وكذلك قضية التلاعب بالسوق الخاصة بكِ،

الذي تورط بها "آدم". سنرى إذا كانت الأمور ستتضح في الأسابيع والأشهر المقبلة، لكنني سأتفهم إذا قررت البحث عن وظيفة أخرى.

- إذن ما فهمته هو أنك تتصل بي لفصلي؟ هل هذا ما تقوله؟

- لا تأخذي الأمر على محمل شخصي. يمكن لهذا أن يحدث في مثل هذا العمل؛ أن يضل الناس طريقهم.

وأنهت "ماريا" المكالمة.

لم يكن ليطردها أبدًا؛ فسيكون ذلك مبالغة وجذبًا للانتباه. ولفصل شخص، كان لا بد من التبرير. لكن إعطاء موظف إجازة في انتظار تحقيق لأجل غير مسمى، كان معضلة أكبر بالنسبة لها.

ضياع الطريق؛ هذا ما ذكره. ولعل هذه كانت المشكلة. ربما ضلت وجهتها وهامت ترتكب خطأ ما؛ خطأ لا رجوع عنه.

توجهت بعد ذلك إلى السلة وألقت بها ملف "صوت الحقيقة". ظهر أحد الرجلين خلفها مباشرةً يحمل حاوية بلاستيكية مليئة بالورق أفرغها في السلة أيضًا، فاختفى الملف تحتها. بدا هذا الحدث الطفيف مهمًا فجأة، فكرت في كونه إشارة، فقد اختفى الملف تحت القمامة، وأصبح مستحيلًا رؤيته في الكومة.

شعرت "ماريا" بإرهاق مفاجئ، كأنها كانت في رحلة طويلة وشاقة، ثم جلست على الرصيف. رأت صدعًا في الأرض، عند التقاء الأسفلت بحافة الرصيف، حيث خرج من باطنه أحد البراعم، كانت نبتة الهندباء. رأت لها ورقتين، واستطاعت أن ترى أنها على وشك التفتح؛ فقد ظهر بريق طفيف لرأس الزهرة الأصفر. وبعد أن مالت وكانت على وشك قطفها، قررت ألا تفعل. فقد تنمو الأعشاب الضارة مرة أخرى، فجذورها عميقة جدًا.

108



ظل "براجي" لفترة في سيارته خارج المنزل، وهو يرى سيارتي الإسعاف والشرطة أمام منزله. لم تكن هناك أضواء زرقاء ولم يكن أحد على عجلة من أمره. لم يكن هناك سبب للهرع بعد أن فارقت الحياة عجوز مريضة. كان في طريقه إلى المنزل على طريق "ريكيانسبراوت" عندما اتصلت به "إيمي" وهي تبكي. تقول إنها لا يمكنها إيقاظ "فالديس" من قيلولتها. بقي هادئًا. وطلب سيارة إسعاف. وحينها فقط، أدرك أنه قد استعد جيدًا لهذه اللحظة منذ فترة طويلة.

والآن، بعد أن انتظر خارج المنزل، ارتاحت نفسه لحدوث الأمر كما ينبغي، وكما أراد. انتهت حياة "فالديس" في بيئة آمنة ومحبة؛ في بيتهما، في المنزل الذي عاشا فيه لمدة ربع قرن. انتهت حياتها بأفضل طريقة ممكنة. كانت أمنية كل مسن أن يأتيه الموت بسرعة، أثناء نومه. لكنه لم يتوقع تحقيق تلك الأمنية على الفور. تصور أن ذلك لن يحدث حتى بضعة أشهر، أو حتى عام، ولطالما اعتقد أنه سيكون إلى جانبها حينئذ.

كادت أن تنهار ركبتاه أثناء سيره تلك المسافة القصيرة إلى الباب. شعر أن الألم قد تفاقم بطريقة ما، وكأن وجود "فالديس" كان علاجه السحري، وقد انتهى الآن.

بمجرد أن قام "براجي" بمعانقة "إيمي"، التي كانت لا تزال تبكي بصمت، سأله ضابط الشرطة الودود، الذي أعطاه كوبًا من القهوة أعدَّها له مراعاةً للموقف:

- أتريد الدخول والجلوس معها قليلًا قبل وصول متعهد الدفن؟

فأجابه بعدما أخذ منه القهوة:

- نعم. عليَّ توديعها.

ذهب إلى غرفة المعيشة وخفض سرير "فالديس" إلى أقل مستوى حتى يتمكن من الجلوس عليه بجانبها. لم يجد ما يدل على أنها لم تكن نائمة، غير مسحة زرقاء على شفتيها، وأن هيكلها الرقيق بدا أرق حجمًا. مد يده إلى الفرشاة على طاولة السرير، وفك ضفائرها ثم مشط شعرها برفق. سبق أن زها هذا الشعر الفضي باللون الذهبي ذات مرة تحت شمس إيطاليا في شهر العسل، وقد ابتهج لفرصة الإمساك به ملء يده، بينما كانا على سرير الفندق، يحلمان بطفلهما الأول. وخزه قلبه. يجب عليه الاتصال بالأولاد عاجلًا أم آجلًا، وسيكون أمامهم رحلة طويلة من أستراليا.

ولبرهة، تحسر على المدة التي مرت دون أن يأتوا لرؤية والدتهم، لكنه تجاهل الفكرة. فقد مر وقت طويل منذ أن تعرفت على أحد، وهم منشغلون بحياتهم على أية حال، ولديهم أطفالهم وأحباؤهم في بلد آخر.

قام "براجي" بتمشيط شعرها حتى فاضت تموجاته الفضية على الوسادة، ثم قام وقبلها، أولًا على الجبهة، ثم على وجنتيها، وأخيرًا على شفتيها الزرقاوين. وهمس قائلًا:

- إلى اللقاء يا حبيبتي، "فالديس".

ثم مسح دمعة من عينه، وأكمل:

- شكرًا لكِ على كل شيء. أراكِ مجددًا على الجانب الآخر.

أو هكذا أمِل، على الأقل، فإن كانت الحياة الأخرى، التي طالما آمنت بها "فالديس" بشدة، حقيقية، قد تكون حياته بأكملها - محاولًا أن يكون رجلًا صالحًا - كافيةً لتشفع له مسيرة حياته الإجرامية القصيرة والمتأخرة. كان متأكدًا على الأقل من أن "فالديس" ستبلغ الرب كلمة طيبة عنه.

109





قال "توماس":

- أريد بيتزا.. بيتزا "المارجرين".

وأشار إلى طلبه في قائمة الأطفال، فابتسمت "سونيا".

لم تصحح له لأنها تضحك دائمًا عندما يخطئ بقوله "مارجرين" بدلًا من "مارجريتا". ولما اختار، ذهب إلى المرحاض. لقد شرب بالفعل كوبًا كبيرًا من الصودا، لذلك ستكون هناك بضع زيارات إلى المرحاض خلال الساعة التالية. حدقت "أجلا" في "سونيا" بنظرة حالمة، كما فعلت خلال الأيام القليلة الماضية منذ أن وجدتها ملقاة على الأرض؛ مضروبة وعاجزة. يبدو أنها قررت أخيرًا كيف ستعيش معها، ودورها في حياتها؛ ستكون حاميتها. وبالنظر إلى الحالة التي كانت عليها "سونيا" عندما وجدتها على الأرض، لم يكن هناك مانعٌ في تدليلها قليلًا. سألتها "أجلا":

- هل أحضر لكِ أي شيء آخر؟

مشيرة إلى بوفيه السلطات الذي غرفت "سونيا" منه بالفعل لنفسها بسخاء.

فأجابتها وهي تبتسم لـ"أجلا":

- لا شكرًا. سأنتظر شريحة اللحم.

وابتسمت لها "أجلا" هي الأخرى.

كانت قد بدأت تبتسم مؤخرًا فقط. كان شيئًا على "سونيا" أن تعتاد عليه. حدقت كل منهما في عينيِّ الأخرى لفترة من الوقت، وقرصت "أجلا" ساقها من تحت الطاولة، ثم ضحكت وسألتها:

- من منا الرجل؟

واضح أن ذلك السؤال قد أصبح مزحة دائمة بينهما. دائمًا ما تثير "أجلا" هذا الموضوع حين تكون في حالة مزاجية جيدة، جيدة لدرجة السماح لنفسها بالمزاح. فقالت "سونيا" بحزم:

- أنتِ الرجل.

- حقًا؟

لم يحدث فرق بما أجابت به "سونيا" على السؤال، فلم يبدُ أنها ترضي "أجلا" أبدًا. قالت "سونيا":

- أجل.

وانحنت بالقرب منها لتهمس:

- عادة ما تكونين بالأعلى حين ننتهي، أليس كذلك؟ إذن أنتِ الرجل.

قالت "أجلا":

- لكن حين أفكر في الأمر، لا أعتقد أنني الرجل.

- أتدركين أن هذا كسؤال زوج من عيدان الطعام؛ أيهما الشوكة؟

- ماذا؟

حدقت "أجلا" بها بارتباك.

لكن لم تستطيعا مواصلة الحديث بعد عودة "توماس" من المرحاض وجلوسه معهما على الطاولة. في المرة التالية التي تطرح فيها "أجلا" السؤال، كانت "سونيا" ستدعي أنها الرجل، وفي المرة التي تليها، ستغير رأيها مرة أخرى، وهكذا سيستمر الأمر حتى تمل "أجلا"، وتدرك أن الأسئلة الغبية تدعو لإجابات غبية.

- لقد قررت أن أترك عملي.

- عمل الكمبيوتر؟

- أجل، فقد مللت من أجهزة الكمبيوتر. لا يمكنني القيام بكل هذه الرحلات إلى الخارج بعد أن أصبح "توماس" يعيش معي.

وفي ذهنها، أعدت "سونيا" خطابًا حول الشبكات وأنظمة إدارة المحتوى وخدمات البرمجة. فعلت هذا دائمًا كلما سألتها "أجلا" بالضبط عما تفعله، ثم تستسلم "أجلا" تمامًا كما تفعل هي دائمًا بمجرد أن تبدأ "أجلا" في الحديث عن الأمور المصرفية. لكن هذه المرة لم تكن هناك حاجة للخطاب، حيث ظهرت نظرة شغف على وجه "أجلا". قالت "أجلا":

- أعتقد.. أعتقد أن هذا قرار حكيم. كما أخبرتكِ كثيرًا من قبل، من الغباء أن تعملي بهذه الصعوبة عندما أكون في.. إممم، حسنًا، ماذا أقول؟ موقعي هذا.

عرفت "سونيا" أن هذا ما تحلم به "أجلا"؛ الاحتفاظ بها، وامتلاكها، فقالت "سونيا":

- قد أحتاج قبول بعض المساعدة منك، إذا تركت هذا العمل.

- تعلمين أنني سأكون سعيدة بذلك يا "سونيا"، كما أخبرتك من قبل.

كان واضحًا أن "أجلا" تحاول كتم حماستها مجددًا، بينما انطلقت أفكارها في العمل. وقالت:

- أتريدينني أن أشتري منزلًا؟

ثم ترددت وتابعت:

- أعني.. لنا؟

أجابت "سونيا":

- ربما. دعينا نفكر في الأمر.

فابتسمت "أجلا" ابتسامة واسعة. أضافت "سونيا":

- لكن لا يعني هذا أنكِ تملكينني.

فهزت "أجلا" رأسها ورفعت يديها أمامها وهي تردد:

- أعرف. أعرف.

سأل "توماس":

- أيمكنني الحصول على المزيد من الـ"سبرايت"؟

وقبل أن ترد "سونيا"، نادت "أجلا" على النادل وطلبتها.

ابتسمت "سونيا" لرؤية "توماس" سعيد جدًا بمشروبه الغازي، ولنظرة "أجلا" الراضية. حاولت أن تخفي ابتسامتها. لكنها، لوهلة، شعرت بقلبها يلين، ليس بشغف الحب أو بأي نوع من الترقب، بل بسعادة مُرَيْئة حلوة تتغلغل تدريجيًا عبر عروقها، كذوبان جليد الربيع وهو يبحث في الأرض عن مجرى.

شعرت بتليفونها يهتز في جيبها، فتنحت السعادة اللطيفة جانبًا، وأفسحت الطريق لصدمة خوف وتوتر تملكت قلبها كقطعة ثلج باردة عندما نظرت إلى الشاشة ورأت أنها رسالة من "ناتي".

"لندن، السبت، البطلينوس جاهز".

سألت "سونيا":

- أيمكنك الاعتناء بـ"توماس" من أجلي خلال عطلة نهاية الأسبوع؟

- ماذا؟

تفاجأت "أجلا" بالسؤال أكثر من إجابة سؤال من كان فيهما الرجل.

- يجب عليَّ السفر لمدة يومين. إنها رحلتي الأخيرة إلى الخارج الآن بعد التصفية.

فقالت "أجلا:

- لا أعرف كيف أعتني بالأطفال.

قال "توماس"، والترقب على وجهه:

- سأريكِ كيف تعتني بي.

رأى أمامه عطلة نهاية أسبوع فاخرة بلا شك؛ بكل تلك الحلوى والألعاب التي لا نهاية لها.

قالت "أجلا":

- حسنًا، إذن. سنكون بخير.

110



في المرة الأولى التي وقفت فيها "سونيا" أمام هذا الباب الخشبي الهائل، أشعرها ذلك المنزل بالرعب. وبعد أن تعرفت على الأشخاص الذين يعيشون بداخله، والحيوان المفترس الذي احتفظوا به في القبو، كانت تخشى المخاطر بالداخل، لكن الآن، سمَّرها الرعب في مكانها. كل الأشياء التي فعلتها في هذا المنزل؛ من تنظيف بركة من الدماء، وحشو جثة داخل "فريزر"، ونشرها إلى قطع وإطعامها إلى النمر، بدا كل هذا الآن في غاية السهولة مقارنة بما جاءت تفعله اليوم. أيًا كان ما سيحدث اليوم، ستكون آخر مرة تدخل فيها من هذا الباب. سيقرر هذا اليوم مصيرها.

فتح "أمادو" لها. ظهر صوت صرير الباب الذي يشبه الصراخ، بينما تساءلت "سونيا" للمرة الألف إذا تعمد السيد "خوسيه" و"ناتي" إهماله لدَب الرعب في قلب زوار هذا المكان. لم تقل شيئًا لـ"أمادو"، لكن تلاقت أعينهما لثانيةٍ حين تصافحا وأرخت قبضتها، لتترك "الرويبنول" في يد "أمادو".

صاحت "ناتي" وهي تدخل غرفة المعيشة:

- "سونيا"! عزيزتي! مرحبًا!

وقفت وعانقت "سونيا"، وقبلتها بشفتيها المبتلتين. ابتسمت "سونيا" في حرج وأشاحت بوجهها بعيدًا، بينما رفضت "ناتي" ردة فعلها، وأمسكت وجهها بكلتا يديها وقبلتها عدة مرات. اكتشفت "سونيا" آخر مرة، عندما لم تملك خيارًا سوى قضاء الليلة في هذا المكان، أن "ناتي" لا تمانع التغلب على مقاومتها. على العكس، فقد وجدت الأمر مثيرًا.

رأت أنه قد تم تغير أثاث الغرفة مرة أخرى؛ وُضِعت الآن سجادة بيضاء سميكة على الأرض، وفوقها أثاث ثقيل أضاف أجواء السبعينيات. قالت "سونيا" وهي تنظر حولها:

- أنيق جدًا.

واتضح أن تعليقها أسعد "ناتي"، فردت:

- لطالما أردت أن أكون مصممة ديكور. ربما يجب أن أحضر بعض الدورات التدريبية أولًا. لم يفُت الأوان بعد للحصول على بعض التعليم.

ثم عادت تستلقي على أريكة عميقة وجلست "سونيا" على الكرسي المواجه لها. كان أعلى من الأريكة، ومنعها توترها أن تستمتع بالجلوس في الكرسي مثلها. وافقتها "سونيا" وهي تبتسم:

- لا. لم يفُت الأوان أبدًا.

أما إذا نجحت خطة "سيباستيان"، والتي كانت خطتها أيضًا الآن، فبالتأكيد قد فات الأوان. زاد صدى زئير النمر القادم من أسفل القبو من تركيزها على أفكارها.

دخل "أمادو" بالقهوة ووضعها بينهما على المنضدة. فسكبت "ناتي" وشربت وأخذت "سونيا" فنجانها، ثم رفعته إلى شفتيها دون أن تشرب. تناولت "ناتي" رشفة طويلة من فنجانها وتنحنحت، ثم قالت ضاحكة بصوت عالٍ:

- لقد وصل "البطلينوس"، لكن المطاط مقطوع به، وسيستغرق إصلاحه يومين. أود رؤية ساقي الرجل الذي صنعه الآن!

كانت ضحكتها أشبه بسهام تقطع في جسد "سونيا". ذلك ما شعرت به. ومع حرارة المكان، سال العرق فوق شفتها العليا، كأنها تعلم أن هذا الضحك يمهد لقدوم شيء أسوأ بكثير، فقد ضحكت "ناتي" كثيرًا في الليلة التي باتت فيها "سونيا" معها، ثم تابعت:

- جهزت لكِ مقابلة مع مدرب غوص. ستقابلينه غدًا في المركز المائي.

نظرت "سونيا" حول غرفة المعيشة كما لو كانت تتأمل الديكورات الجديدة، وأخذت تلمح "ناتي" من حين لآخر. يبدو أنها أنهت نصف قهوتها الآن. طلَّ "أمادو" برأسه من الباب. في المرة الثانية التي استرق فيها النظر، أملت "سونيا" ألا تكون "ناتي" قد لاحظت، لأنه كما قال "سيباستيان"، يمنعه توتره من تولي أي شيء كبير بنفسه، بالإضافة أنه لم يكن لديه سوى يد واحدة.

أنهت "ناتي" فنجانها ووضعته على الطاولة، ثم رأتها "سونيا" تنظر إلى فنجانها، لاحظت أنها لم تمسسه. وللحظة، رأت نظرة استجواب في عينيها. فقررت "سونيا" أن تلفت انتباهها في اتجاه آخر. سألتها:

- أتعرفين رجلًا يدعى "هوني ثور"؟

ورأت أن هدفها قد تحقق. من نظرتها، لم يكن هناك شك بمعرفتها به، كما أنه لم يعجبها السؤال، فردَّت بحدة:

- لماذا تسألين؟

هزت "سونيا" كتفيها، وقالت:

- كنت أتساءل فقط عن علاقته بكل هذا، فهو زميل "آدم" من المدرسة.

قالت "ناتي"، وقد تقلبت شفتاها باشمئزاز:

- "هوني ثور" هو واحد من أولئك الرجال الذين لا يحبون أن تترأسهم امرأة.

- حقًا؟

- أجل. لم تكن لديه مشكلة في تنفيذ طلبات "خوسيه"، لكن منذ أن أصبحت المسؤولة، أصبحت له الكثير من التجاوزات.

ابتسمت "سونيا" بعد أن تأكدت من شكوكها؛ كان نِزاع سلطة. استأذنتها "سونيا" لدقيقة.

وقفت وخرجت إلى الصالة، ودخلت تحبس نفسها في حمام الضيوف وضربات قلبها كقرع طبول. جلست على المرحاض وأخذت بضعة أنفاس سريعة لتوصيل الأكسجين إلى دماغها. عليها الانتظار لمدة ربع ساعة. وفي ذهنها، ظلت تردد مكاسب تنفيذ هذه المهمة: "الأمن، الحرية، راحة البال، توماس.. الأمن، الحرية، راحة البال، توماس".

أثناء رؤيتها تدفق المياه داخل المرحاض لفترة، حملت نفسها على التنفس عدة مرات متتالية، وقفزت على الفور بكلتي قدميها عند وصولها للمائة؛ كنوع من الحماسة لما ستقدم عليه، ثم فتحت الباب، وخرجت إلى الصالة. لم تستطع رؤية "أمادو" في أي مكان، ولم يكن هناك صوت من غرفة المعيشة، فتسللت إلى الباب وألقت نظرة إلى الداخل وهي جاهزة للبدء. كأنها تتوقع أن تجد النمر

يتجول في الأرجاء. لكن جاء زئير آخر من الأسفل يؤكد أن الوحش لا يزال محبوسًا في قفصه في القبو. لم يوجد شيء لتخشى منه سوى ضعفها. قال "سيباستيان" عندما جاء يضع لها الخطة: "إنها قضية بقاء. وهذا يعتمد على كونكِ ذئبًا أم أرنبًا، ولا تعيش الأرانب طويلًا في هذا العمل".

توجهت "سونيا" بهدوء إلى غرفة المعيشة، وكل ذرةٍ بأعصابها مشدودة، وحواسها أكثر وعيًا من أي وقت مضى. لم تكن أرنبًا جبانًا، بل حيوانًا أكبر؛ جاهزًا للفتك بأعدائه لحماية صغاره. كانت أقوى من الذئب وأكثر رعبًا من النمر. كانت دبًا قطبيًا.

111



كانت "ناتي" لا تزال على الأريكة، لكنها تقلبت على جانبها وتسربت قطرات من اللعاب إلى شعرها الأسود اللامع.

اقتربت "سونيا" منها بحذر، وتبعتها عينا "ناتي". تفاجأت "سونيا" بمدى وضوح عينيها. بدا أنها كانت مستيقظة ومدركة تمامًا، رغم شلل جسدها. أخرجت "سونيا" حبل النايلون من جيبها وعقدته، ثم وضعته حول رقبة "ناتي". اتسعت عينا "ناتي" وشعرت "سونيا" بالحاجة إلى قول شيء ما، أن تشرح لـ"ناتي" لِمَ ستقتلها بالضبط، ولكن لم تكن هناك كلمات من شأنها تبرير ذلك. لم يكن هناك سوى هذه الكلمة في ذهنها؛ القتل.

جلست على الأريكة بجانب "ناتي" وأحكمت الحبل حول رقبتها. تمتمت "ناتي" بشيء غير مفهوم، لكنها لم تقم بأي حركة، حتى شدت "سونيا" الحبل بكل قوتها. فأخذ جسد "ناتي" يرتجف بشدة. ثبتت "سونيا" عينيها على السقف وشدت بأقصى قوة وهي تفكر: "الأمان، الحرية، راحة البال، توماس" وتتجنب النظر إلى عينيّ "ناتي" أو يدها المشلولة التي تنقبض باستمرار. كما لو كانت تحاول، عبثًا، إيجاد أي أمل أو منفذ للحياة. تلك الأيدي الناعمة التي حملت من الخبث والضرر لـ"سونيا "أكثر مما يمكن أن تحمله الأيدي الوحشية.

عصفت بقلبها رياح الكراهية أعقبها شعور بالإرهاق، وتبخرت قوة الدب القطبي الذي شعرت به من قبل، فأفلتت الحبل بينما امتلأت عيناها بالدموع. وبينما فعلت، سعلت "ناتي" وكافحت رئتاها للتنفس. لم تستطع "سونيا" قتل شخص آخر. كان هذا الجسد المشلول أقوى من كل خوفها المتراكم، وأقوى من كل الكراهية، ثم صرخت منتحبة:

- لا أستطيع أن أفعل ذلك. لا أستطيع حمل نفسي على إنهاء هذا.

وحينها، جاء "أمادو" إلى غرفة المعيشة وحدق في "ناتي" التي لهثت لأخذ أنفاس عميقة، واعتلى اليأس وجهه الداكن.

112



لم يتبادلا الكلمات. بدا الأمر وكأن أعينهما هي التي تحدثت. تكورت "سونيا" على الأرض، غير قادرة على البقاء بالقرب من "ناتي" وهي مشلولة تسعل، نصفها على الأريكة ونصفها خارجها.

بطريقة ما، دفعت نفسها إلى الوراء بقدميها، بعيدًا عن "ناتي" وعينيها الجاحظتين اللتين كانتا تراقبانها، لم تكن نظرات اتهام أو خوف، بل توسل. وعندما التصقت بحائط غرفة المعيشة، فقدت السيطرة على نفسها وصرخت بكل طاقتها. لم تستطع التحكم في صوتها، وانفجر الخوف والألم من داخلها. شعرت في صراخها بتحرر غريب؛ كأنها تنفس عما بها، واستمر صراخها بينما صعد "أمادو" فوق "ناتي" على الأريكة، وأمسك الحبل بيده وشده بقوة.

بعد فترة طويلة، توقفت "ناتي" عن الارتجاف، وشَخَصت عيناها إلى الأعلى معلنةً مفارقتها الحياة. ظلا يجلسان بصمت في غرفة المعيشة؛ "سونيا"، لا تزال على الأرض، بينما قام "أمادو" وترك جثة "ناتي" ولا يزال الحبل ملتفًا على يده. جف العرق على وجهه، مما جعل بشرته الداكنة تنطفئ قبل ظهور ضوء الشارع الأصفر بالخارج لينيرها مجددًا.

فهمس بحذر:

- أنا حر، وكذلك أطفالي.

كأنه لم يستطع تصديق الأمر.

- أكانت تصل شرورها لأطفالك أيضًا؟

- طالت شرورها أطفال الجميع. وقد حاولتُ معرفة مكان أطفالها من أجل "سيباستيان"، لكنها تبقيهم في مدرسة داخلية، ودائمًا ما تنقلهم لسلامتهم. لكنها تعرف مكان أطفال أي شخص آخر، ولطالما هددتني باختطاف أطفالي.

أغمضت "سونيا" عينيها، فقد تحررت أيضًا الآن. تم إطلاق سراحها أخيرًا. وفي اللحظة التي ستخرج فيها من هذا المنزل، سيكون العامان الماضيان صفحة

مطوية. وتستطيع حينئذٍ العودة كشخص عادي يعيش حياةً عاديةً مع "توماس"، وربما مع "أجلا". بمكنها حتى أن تمنح "أجلا" فرصة لائقة.

سأل "أمادو":

- "الفريزر" ثم النمر؟

قالت "سونيا":

- أجل. ولا تطمع في الاحتفاظ بالرأس.

ضحك "أمادو"، ونظر إلى "سونيا" التي ضحكت هي الأخرى. وصمتا، ثم نظرا في أعين بعضهما وضحكا مجددًا، كأنها هيستيريا. لكن ما زالت "سونيا" تشعر أن هناك ما هو عالق بها يمنعها من ترتيب أفكارها. أخذت عيناها تتحول من "أمادو" إلى جثة "ناتي" وتضحك، بينما انهمرت الدموع على خديها. لم تبكِ من أجل "ناتي" أو مصيرها، بل لندمها على أنها بعد ما حدث اليوم، فقدت جزءًا منها إلى الأبد.

113



سألت "أجلا":

- "بارميزان" أم جبن عادي؟

رد "توماس" بالنبرة التربوية الناضجة التي استخدمها طوال عطلة نهاية الأسبوع كلما وجدها في حيرة:

- عادي. الأطفال يحبون الجبن العادي.

لم يسبق لها أن جالست طفلًا في مراهقتها كما كان يفعل أصدقاؤها. بدلًا من ذلك، كانت تمضي ساعات خارج المدرسة أمام ماكينة تصوير لشركة محاسبة كبيرة. كان ذلك هو المكان الذي تعلمت فيه الكثير من خلال قراءة التقارير السنوية المتنوعة للشركات الكبيرة. لكنها لم تعرف أبدًا أيًا من أساسيات التعامل مع الأطفال التي تَصور الكثيرون أن النساء تولد على دراية بها.

قامت بوضع "البارميزان" على شريحة الخبز الخاصة بها، والجبن العادي على شريحة "توماس". مرت العطلة الأسبوعية على نحو جيد؛ عرفت فيها كل شيء عن الأولاد وما أحب "توماس" فعله. فشاهدا كرة القدم على التليفزيون، وأخرجا الكلب عدة مرات للتمشية، ولعبا ألعابًا متنوعة، كالورق والغميضة، ثم جلس ساعات طويلة على الأرض بمكعبات "الليجو" الخاصة به. وهي حظيت بالهدوء الذي مكنها من مباشرة العمل بالحسابات الخارجية والتحقق من المواقع المالكة، ووجدت أيضًا بعض المنازل لتلقي "سونيا" نظرة عليها.

والآن، كانا يجلسان أمام بعضهما حول طاولة المطبخ الصغيرة عندما رن جرس الباب وبدأ الكلب في النباح. توقف "توماس" حينها عن المضغ واعتلت وجهه نظرة خوف، فحدق بـ"أجلا" بفمه المفتوح والطعام بداخله ثم سألها:

- من هناك؟

أجابت "أجلا":

- لا أعرف.

ثم قامت لفتح الباب.

وقفت في الردهة امرأة عجوز ترتدي معطفًا ووشاحًا حريريًا فوق شعرها، كأنها قادمة من السبعينيات، وأخذ "تيدي" في الالتفاف حولها وشم حذاءها.

قالت المرأة:

- أنا والدة "سونيا"، وأنا هنا لآخذ "توماس".

وقفت "أجلا" للحظة تحدق في المرأة التي نظرت إليها. كان هناك تشابه واضح بينها وبين "سونيا". كانت امرأة جميلة، لكن بشفتين رفيعتين محددتين، لم يبرزهما سوى أحمر الشفاه الذي كانت تضعه. قالت "أجلا":

- أيمكنني أن أقدم لكِ بعض القهوة؟ لقد أعددت البعض للتو.

ترددت المرأة؛ وبدا أنها لا تعرف كيف تتصرف بعد ذلك. لكنها هزت رأسها بالرفض في النهاية قائلة:

- لا. أنا هنا فقط لآخذ الصبي.

نظرت "أجلا" إليها من أعلى لأسفل. لم تكن لتعطيها الصبي. فلن تغفر لها "سونيا" ذلك أبدًا. لكنها لم تستطع أيضًا أن تغلق الباب في وجهها. لم ترغب أن تكون سببًا في سوء العلاقات بين الأم وابنتها. آخر شيء أرادت فعله هو زيادة الأحمال على "سونيا" فيما يخص والدتها. لذلك، قررت "أجلا" العودة إلى خطط التفاوض التي طالما ساعدتها في البنك؛ مزيج الشد والجذب الذي تنتصر به دومًا دون أن يدرك الطرف الآخر ما حدث بالضبط.

- لم تذكر "سونيا" أي شيء عن هذا الأمر، لذا سأضطر إلى الاتصال بها. لكن تفضلي لإلقاء التحية على "توماس".

قال "توماس" من خلف "أجلا":

- مرحبًا جدتي.

لان وجه المرأة وابتسمت الشفتان الرفيعتان.

فقال وهو يمسك يد جدته ويسحبها إلى الداخل:

- توجد قهوة هنا.

قامت "أجلا" بإعداد الكوب ووضعته على طاولة المطبخ بجانب علبة الحليب، ثم قالت، مشيرة للمرأة أن تجلس:

- تفضلي.

بدت مترددة وهي تنظر بريبة حولها، وجلست "أجلا" بهدوء مصطنع وأمسكت تليفونها لتتصل بـ"سونيا"، وهي تعلم أن المكالمة ستذهب مباشرة إلى البريد الصوتي. قالت:

- "سونيا" لا تجيب. هي في طريقها للعودة. وسنذهب أنا و"توماس" إلى المطار لاحقًا لاصطحابها.

قالت المرأة:

- إذن من الأفضل ألا أنتظر. هيا يا "توماس"، ستذهب مع جدتك.

نظر "توماس" إلى كلتيهما في ارتباك، وبدون إدراك، انسل خلف "أجلا". شعرت بكامل يده تمسك قماش سترتها بإحكام. ولوهلة، امتلأ قلبها بالفخر. كانت تلك الحركة الصغيرة التي قام بها مهمة للغاية، فقد تحركت أوتار قلبها باحتمائه بها. قالت "أجلا":

- "توماس"، لِمَ لا تذهب إلى غرفتك وتحضر وحش "الليجو" الذي صنعته لتريه لجدتك؟

فجرى إلى الغرفة هربًا من الموقف. نهضت "أجلا" واقتربت خطوة من المرأة التي تراجعت قلقًا، ثم أخبرتها بصوت منخفض:

- لن يذهب "توماس" إلى أي مكان دون إذن "سونيا". والآن، بعد أن حصلَت على حضانته، عليك التفاوض معها إن أردتِ رؤية "توماس".

قالت المرأة بغضب:

- لا يمكنني التفاوض مع شخص يترك طفله مع أناس أمثالك.

تقبلت "أجلا" وجهة نظر الطرف الآخر؛ فهي تحمل جزءًا من الصواب، حتى الآن. قالت "أجلا":

- أتفهم أنه قد تكون لديكِ مخاوف. بالطبع، فقد انتشر وجهي في جميع الصحف، ولم تكن الأخبار المرفقة أفضل شيء. لكن في الواقع، الأمر نفسه ينطبق على زوج ابنتك، والد "توماس". أفترض أنك قد علمتِ بكل ما حدث، أليس كذلك؟

أسرعت المرأة:

- لهذا السبب أنا هنا. يحتاج "توماس" شخصًا سويًا لتربيته، على اعتبار أن والده قد تخلى عنه بسبب مشكلاته.

فكرت "أجلا" أن الوقت الآن مناسب لتأثير لطيف على رأي الطرف الآخر:

- تعشق "سونيا" ابنها أكثر من أي شيء آخر، والعكس كذلك، فـ"توماس" متيمٌ بوالدته، كبقية الأطفال، ويجب أن يكون الأطفال مع والديهم.

- مع والديهم، بالضبط. وماذا تفعل هذه الوالدة؟ تتركه بحوزة مجرمة نصابة عديمة الأخلاق.

ردت "أجلا":

- وقد نجحت في العناية به، وسار الأمر بشكل رائع. يذهب إلى النوم مبكرًا وأقوم بوضع الجبن العادي في شطائره.

وقف "توماس" في المدخل الآن وفي يديه كتلة مكعبات كان فخورًا بها جدًا ذلك الصباح، وقرر أنها على شكل وحش.

- اجلسي من فضلك لتري ما صنعه "توماس" بمكعبات "الليجو" هذا الصباح.

ذهب "توماس" إلى جدته وأعطاها كتلة المكعبات وهي تجلس على الكرسي.

فقالت "أجلا":

- اشربي قهوتك قبل أن تبرد.

114



غلب على "ريكيانيس" اللونين الرمادي والأصفر رغم حلول الربيع، وظهرت الحقول الشاسعة بجانب البحر كبقع خضراء شاحبة، وبدت حقول الحمم البركانية التي غطت شبه الجزيرة مغطاة بطبقة طحالب رقيقة، بالكاد تتغير من موسم إلى آخر. جلست "سونيا" في مقعدها المجاور للنافذة بينما قاربت الطائرة على الهبوط، تسند رأسها على الزجاج ومستمتعة بالمناظر الطبيعية. ولأول مرة، منذ فترة طويلة، لا تحمل شيئًا لتوصيله. كانت حرة.

لكن الحرية كان لها شعور مختلف عما توقعته. شعرت بالبهجة، وبخمول غريب داخلها، كما لو كان هذان الشعوران كالزيت والخل في زجاجة؛ لا يمكن مزجهما إلا بجهد كبير. وحتى حينها، لن يُعرف أي طعم سيكون الأقوى. هذا ما قاله لها "سيباستيان" في تلك الغرفة الصغيرة بضريح المكسيك. قال لها: "لن تكوني الشخص نفسه مجددًا. سيتغير كل شيء عندما تقتلين شخصًا ما. وهذا هو ثمن الحرية". لم تهتم بما قاله في ذلك الوقت لانشغالها بالخطة نفسها، وتابع: "أنتِ الوحيدة التي تسمح لها "ناتي" بالاقتراب منها دون حارس شخصي"، فردت عليه:

"وأمادو أيضًا. يمكنك حمل أمادو على فعل ذلك".

"لا يوجد خوف من أمادو. لكن سيغلبه التوتر لدرجة أنه سوف يسكر ويفسد القصة بأكملها، ثم إن لديه يدًا واحدة فقط".

لم يكن "سيباستيان" يدرك إمكانيات "أمادو"، فقد امتلكت تلك الذراع الواحدة قوة لا تصدق، وهي ما استخدمها لخنق الحبل حول رقبة "ناتي". حاولت "سونيا" التناسي والتفكير في شيء آخر؛ بعد أن عاد يطاردها مجددًا وجه "ناتي" أثناء لفظها الأنفاس الأخيرة. جاهدت لنقل أفكارها إلى مكان آخر، وإلى شيء آخر مبهج قبل أن تستحوذ عليها الكآبة. أما الآن، فقد صارت بأمان، وأصبحت حرة، وستذكّر نفسها بهذا مرارًا.

أملت أن يكون الوقت في صالحها. ستفكر في الأمر على هذا النحو، بحيث عندما تضطر "أجلا" إلى الذهاب إلى السجن، ستؤدي عقوبة كلتيهما، فقد قضت هي الأخرى عقوبة طويلة بما يكفي، رغم أنها لم تكن عقوبة رسمية داخل جدران السجن.

من الآن فصاعدًا، قررت أن تدفع ضرائبها في الوقت المحدد، وألا توقف سيارتها أمام حنفية حريق أبدًا، ولا تستسلم لإغراءات عبور الطريق حين تقفل الإشارة. وعندئذٍ، بالتدريج، تأمل أن تغفر لها الحياة. كان "سيباستيان" قد قال لها:

"الأمر يتعلق بالمصالح التجارية. هناك اتفاق بيني وبين رجل آيسلندي لتقسيم الأمور بيننا بمجرد خروج "ناتي" من اللعبة. سيهتم هو بأعمال أوروبا، وأتصرف أنا فيما يخص أمريكا. كان السيد "خوسيه" قد وعدني بأعمال أمريكا، ولديَّ طرقي الخاصة في ذلك الوقت، ثم أقنعته "ناتي" بالبدء في وصل طريق آيسلندا. ومنذ ذلك الحين، وعملي أصبح فوضويًا. قامت بعد ذلك بقتل الرجل العجوز بعد أن كانت على وشك استخدام "البطلينوس" وكل هذه الأشياء!".

"قتلتِ العجوز؟ ناتي هي التي قتلت السيد خوسيه؟".

تفاجأت "سونيا" تمامًا، لدرجة أنها لم تتساءل من كان الآيسلندي الذي ذكره. افترضت أنه "آدم"، وليس "هوني ثور". لم تفكر حتى ماذا كان يقصد بـ"البطلينوس" إلا بعد بضع ساعات.

هبطت عجلات الطائرة على الممر وشغلت "سونيا" تليفونها، فأصدر صوتًا لتنبيهها بوجود رسالة. وبرغم علمها أنها لا يمكن أن تكون من "براجي"، الذي أخذ إجازة طويلة بعد وفاة زوجته، ما زال القلق يحوم حولها. لكن بمجرد أن قرأت الرسالة، غمر الحب قلبها.

وصلت "أجلا" ومعها "توماس" لاصطحابها. وخلال بضع دقائق، ستمشي عبر الصالة دون الشعور بأي خوف من الجمارك، ولن تفكر حتى في شحنة

الكوكايين التي كانت لا تزال في مكان ما داخل سقف مرحاض بالمطار. لكن قد يكون تأمينًا إذا احتاجته في أي وقت.

خارج المطار، جلست "أجلا" و"توماس" يغنيان لفريق الـ"آبا" في السيارة. عزمت أن تزرع قبلة على جبين كل منهما؛ قبلة كبيرة، وأن يستمروا جميعًا في الغناء طوال طريق "ريكيانسبراوت" إلى المدينة. كان اختيار الأغنية الأولى لها، بما أن هي العائدة من الخارج. لم تحتج إلى التفكير، فكانت ستختار الأغنية نفسها كالعادة:

"ما هو اسم اللعبة؟"



محمد خطاب

#كتب_مختلفة #أيسلندا

"من أفضل 30 رواية جريمة في آخر 40 سنة" - صحيفة "لو تيمب"

تعود بطلة الرواية "سونيا" في هذا الجزء الثاني من ثلاثية ريكيافيك لتقع في المصيدة مرة أخرى، بعد أن اعتقدت أنها أوشكت على النجاة من الفخ الذي نصبه أباطرة المخدرات. فهي تعود إلى نقطة الصفر من حيث بدأت في آيسلندا، مضطرة لمساعدة أباطرة المخدرات مجددًا في التهريب. لذا تحاول من جديد أن تضع خططها لإيجاد مخرج والهروب منهم وكذلك من صديقتها "أجلا" المتورطة في اختلاسات مالية كبيرة أثرت على اقتصاد أيسلندا.

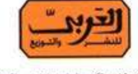
لكن الأمور ليست بهذه السهولة كالمعتاد، فكلما جهزت خطة للهروب، يقابلها عائق جديد، سواء مع ضباط الجمارك في المطار أو أن تتورط مع زعماء عصابات جدد في دول أخرى. كل هذا يجعلها تظل عالقة في وسط فخ جديد يمنعها من استكمال خطتها بنجاح، فهل تنجح في المؤامرة الجديدة المفروضة عليها أم لا؟

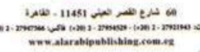


ليليا سيجورادوتير

كاتبة أيسلندية، ولدت عام 1972، اشتهرت بكتابة قصص الجرائم والمسرحيات والسيناريوهات. بدأت حياتها المهنية في الكتابة عام 2008. وصدر كتابها الأول "خطوات" ضمن كتب الجرائم عام 2009.

ثم اهتمت بكتابات المسرح. وفازت بجائزة المسرح الأيسلندي لأفضل مسرحية عام 2014. وفي عام 2015، بدأت في كتابة سلسلة من كتب جرائم جديدة، وهذا ثاني كتاب لها في السلسلة المكونة من ثلاث روايات جريمة وقد حققت نجاحًا كبيرًا وتُرجمت إلى لغات عدة. اختارتها مجلة نيويورك لمراجعات الكتب كأفضل رواية إثارة للعام 2017، ورشحت لجائزة العمل الأول 2018 بالمملكة المتحدة. كما تم اختيارها من قبل نادي "ذا تايمز" و"ذا صنداي تايمز" من بين أفضل كتب جريمة في آخر خمس سنوات 2020.





60 شارع القصر العيني 11451 - القاهرة
ت: 27921943 - 2 (20+) - 27954529 - 2 (20+) فاكس: 27947566 - 2 (20+)
www.alarabipublishing.com.eg



تصميم الغلاف: آلاء هيكل